

نَظَرَاتٌ فِي كِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

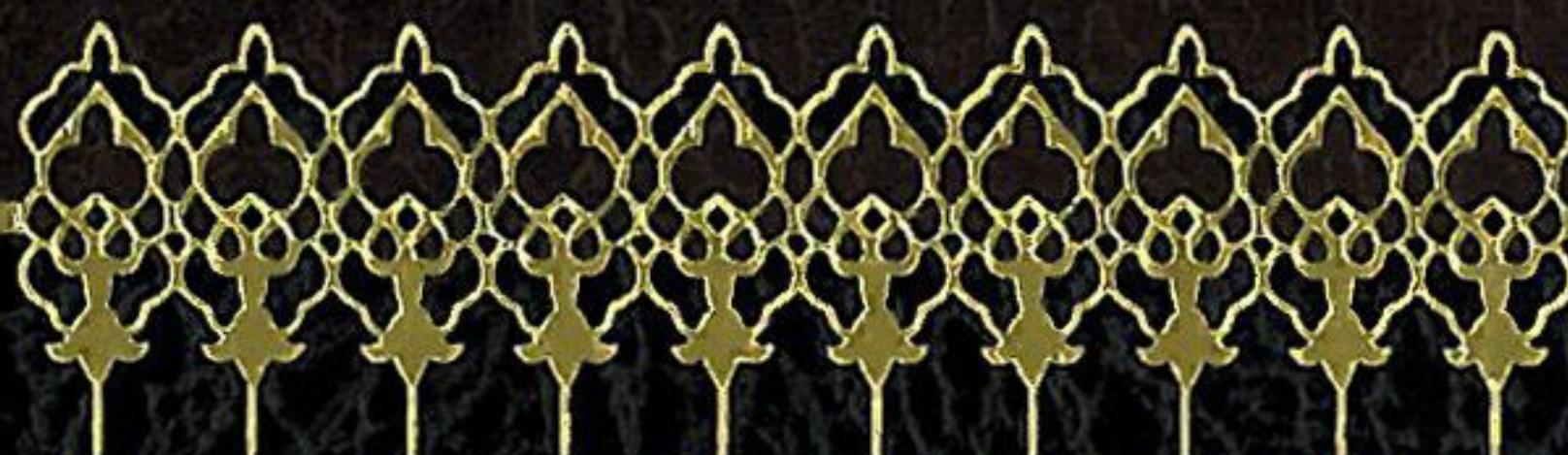
لِكَلَامِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

لِشَيخِ أَبْنِي بَكْرِ جَبَلِي بْنِ إِبْرَاهِيمَ زَانِي

بِقَدَّمِ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُرْوَنِي

١٤٩١ - ١٣٦٤

يَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى



مَكَتبَةُ  
الْبَوْبَرِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح ورثة المؤلف عبدالعزيز عبدالله الرومي، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية لثناء النشر

الرومي، عبدالعزيز عبدالله الرومي

نظرات في كتاب أيسر التفاسير. / عبدالعزيز عبدالله الرومي. -

الرياض، ١٤٣٢ هـ

٤٢٢ ص: ..سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٨٨٣٥-٥

١ - القرآن، - التفسير الحديث ١ - العنوان

١٤٣٢/١٠٧٢٥

٢٢٧,٦ ديوبي

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٧٢٥

٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٨٨٣٥-٥

جُمِيعُ الْحُقُوقِ مُحْفَوظَةُ  
الطبعة الأولى  
٢٠١٢ - ١٤٣٣ هـ

مكتبة  
الثواب

شارع جرير - الرياض - المملكة العربية السعودية

٤٧٦٣٤٢١ - فكس ٤٧٧٤٨٦٢

الرياض ١١٤١٥ - ص.ب ١٨٢٩٠



## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأصلي على رسوله محمد وآلله وصحبه  
وأسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فإن كتاب (أيسر التفاسير لـكلام العلي الكبير) للشيخ الفاضل أبي بكر جابر الجزائري، متعدد الله بالصحة والعافية، من الكتب النافعة المشهورة، وقد ظهر لي عليه بعض التبيهات فأردت وضعها بين يدي القارئ لتتم الفائدة علماً بأن النسخة التي بين يدي هي الطبعة الأولى الصادرة عام ١٤٠٧هـ.

أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّتْ قَدْرَتِهِ أَنْ يَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِلْمُؤْلِفِ وَجَمِيعِ إِخْرَانِنَا  
الْمُسْلِمِينَ بِمِنْهُ وَكَرْمِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

١٦٤

## عبد العزير بن عبد الله الرومي

۱۴۲۱ - ۱۳۷۴

## الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا أَءَ آمَنَّا ...﴾ [البقرة: ١٤].

قال المؤلف في ص ٢٤ من الجزء الأول من تفسيره: الإيمان الشرعي التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون بحق.

قلت: الحق أن معنى الإيمان الشرعي أوسع مما ذكره المؤلف؛ فليس الإيمان الشرعي هو مجرد التصديق؛ بل الإيمان قول وعمل واعتقاد، وكما يعبر عنه بعض أهل السنة بقولهم : الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق والإقرار ضمن قول القلب، الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد - تصدق الرسول فيما أخبر والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له.<sup>(١)</sup>

وممن ذكر معنى الإيمان أبو عبيد القاسم بن سلام، يرحمه الله، قال بعد سياقه الخلاف في تعريف الإيمان:

وإن نظرنا في اختلاف الطائفتين فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت: الإيمان بالنية والقول والعمل، وينفيان ما قالت الطائفة الأخرى: ثم ساق الأدلة على ذلك.<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ صالح الفوزان : تفسير الإيمان بالتصديق بوجود الله تفسير قاصر، ومخالف لما عليه أهل السنة من أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.<sup>(٣)</sup>

(١) مجموع الفتاوى ص ٧/٦٢٨

(٢) الإيمان لأبي عبيد ص ١٠

(٣) التعقيبات على صفوۃ التفاسیر ص ١٧ وشرح العقيدة الواسطية ص ١١

وقال شيخ الإسلام؛ الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، بعد كلام له في الفتوى ص ٣٠٨ : ٧

ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل، عند أهل السنة، من شعائر أهل السنة.

وقال أيضاً في الفتوى ص ٦٤٢ ج ٧ :

اسم الإيمان يستعمل مطلقاً، ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتبعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ويُدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلتها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف، والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

وقال أيضاً في الفتوى ص ١٤٠ ج ٧ :

وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يُعلق به شيء من أحكام الإيمان، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله:

﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقد حكى ابن القيم، يرحمه الله، في كتابه (الفوائد) أقوالاً في الإيمان، ثم نفاحاً وقال بعدها ص ١٢١ :

والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانتقاد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه: تجريد متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله

رسوله، وبالله التوفيق.

ويتضح مما تقدم: أن التصديق جزء من الإيمان وليس الإيمان هو التصديق فحسب؛ بل هناك مقومات أخرى للإيمان هي: القول والعمل، والله المستعان.

## الموضع الثاني :

قوله تعالى: ﴿... ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ...﴾ [البقرة: ٢٩].

قال المؤلف في ص ٣٤ من الجزء الأول من تفسيره: ثم استوى إلى السماء: علا وارتفع قهراً لها؛ فكونها سبع سموات.

أقول : لو توقف المؤلف - وفقه الله - عند قوله: علا وارتفع؛ لسلم من الزلل ولكن قوله قهراً لها فيه حصر للعلو بنوع واحد من أنواعه، وهو علو القدر؛ بل قد يفهم منه البعض إنكار علو الذات الثابت لله سبحانه وتعالى بأنواعه الثلاثة وهي: علو القدرة، وعلو القدر، وعلو الذات.

قال الشيخ صالح الفوزان<sup>(١)</sup>، (وهو العلي، أي: له العلو المطلق، علو الذات؛ بكونه فوق جميع المخلوقات على العرش استوى، وعلو القدرة؛ فله كل صفات الكمال ونعوت الجلال، وعلو القدرة؛ فهو قادر على كل شيء والمتصف في كل شيء لا يمتنع عليه شيء) إ . ه .

ومؤلف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿... ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ...﴾ [فصلت: ١١]

قال: أي قصد بإرادته الريانية إلى السماء؛ فاختلف التفسير مع اتحاد النص، والسبب في ذلك الاضطراب هو عدم الرجوع إلى كلام أهل الحق والسنّة والاعتماد على الفهم الشخصي.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه<sup>(٢)</sup> أقوال علماء السلف في معنى هذه الآية: ﴿... ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ...﴾، فنقل عن ابن أبي حاتم في تفسيره عن

(١) شرح الواسطية ص: ٢٦

(٢) الفتاوى ج ٥ ، ص ٥١٨

أبي العالية: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ يقول: ارتفع، وذكر البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، قال : قال أبو العالية: استوى إلى السماء، أي: ارتفع فسوى خلقهن.

ثم نقل شيخ الإسلام كما في الفتاوى<sup>(١)</sup>، قول الفراء وجماعة: أن معنى استوى إلى السماء (عمد إلى خلق السماء)، وقال بعد نقله: وهذا الوجه من أضعف الوجوه؛ فإنه قد أخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض".

فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض فكيف يكون استواه عمده إلى خلقه؟ لو كان هذا يعرف في اللغة أن استوى على كذا بمعنى أنه عمد إلى فعله، وهذا لا يعرف قط في اللغة، لا حقيقة ولا مجازاً، لا في نظم ولا في نثر.

ومن قال استوى بمعنى عمد ذكره في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ دُخَانٌ﴾، لأنه عُدِّي بحرف الغاية، كما يقال: عمدت إلى كذا، وقصدت إلى كذا، ولا يقال عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أن ما ذكره في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً، وهو قول أحد من مفسري السلف؛ بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك، كما قدمناه عن بعضهم؛ وإنما هذا القول وأمثاله ابتدأ في الإسلام لما ظهر إنكار أفعال رب التي تقوم بها، ويفعلها بقدرته ومشيئته واختياره؛ فحينئذ صار يُفسّر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقوايلهم. وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف، فلا؛ بل

(١) الفتاوى ج ٥ ، ص ٥٢٠ .

أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب لا يُعرف لهم فيها قولان، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات وإن اختلفت عباراتهم فمقصودهم واحد؛ وهو إثبات علوّ الله على العرش.

وقال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في سياق رده على مؤولي الاستواء:<sup>(١)</sup>

إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذين خاطبنا الله بلغتهم، وأنزل كلامه بها نوعان : مطلق ومقيد؛ فالمطلق لم يوصل معناه بحرف مثل : (ولما بلغ أشدّه واستوى)، وهذا معناه: كمل وتم، يقال استوى النبات واستوى الطعام وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدّها: مقيد بـ(إلى) كقوله: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المُعْدَى بـ(إلى) في موضعين من كتابه في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾.

والثاني: في سورة السجدة : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾، وهذا بمعنى: العلو والارتفاع، بإجماع السلف.

والثالث: مقيد بـ(على)؛ كقوله: ﴿ لِتَسْتَوْا عَلَى ﴾، وقوله: ﴿ وَأَسْتَوْتُ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾، وقوله: ﴿ فَأَسْتَوَى عَلَى ﴾، وهذا أيضاً معناه: العلو والارتفاع والاعتدال؛ بإجماع أهل اللغة، انتهى كلامه ، يرحمه الله .

قلت: يتحصل من كلام هذين الشيفيين الإماميين أن معنى استوى إلى السماء ارتفاع، وردّ قول من قال أن معنى (استوى): عمد، والحكم عليه بأنه من أضعف الوجوه، والقول بأنه لا يعرف في اللغة لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز، كما أنه لا يوجد في مأثور كلام العرب

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٠٦.

من النظم والنشر ، وهذا الكلام المردود وهو تفسير (استوى) بمعنى (عمد) هو ما سار عليه المؤلف، وفقه الله، في هذا التفسير. وقد رأيت التنبية على أنه مردود منقوص عند أهل العلم، والله أعلم.

### الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنِّيُعُولُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية في حاشية ص ٣٦ من الجزء الأول من تفسيره:

ليس في المسألة ما يدعو إلى الاستغراب أو الإنكار؛ إذ كتاب المقادير فيه أسماء الموجودات كلها، وكذلك سائر صفاتها وأحوالها. والعرض التلفازي اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله تعالى الموجودات أمام الملائكة، وذكر آدم لأسمائها كما علمها بتعليم الله تعالى له.

قلت: الكلام على هذا من وجهين:

الأول: إن الله سبحانه وتعالى: (أخبرنا أنه علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ..) إلى آخر سياق الآيات، وهذا يقتضي من الإيمان بذلك كما ورد؛ فنعلم أن الله علم آدم الأسماء ثم عرضهم.

الوجه الثاني: تشبيهه عرض الأسماء على الملائكة بالعرض التلفازي غير مقبول ولا سليم، والقول بأنه يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله تعالى الموجودات على الملائكة كذلك غير سليم؛ فالمؤلف عليه التصديق بذلك والتسليم به، ولو لم يعلم كيفيةه؛ فتفصيل الكيفية من الأشياء التي لم نتعبد بها، والقول بأن العرض التلفزيوني يسهل إدراك الكيفية غير صحيح؛ لأننا لا نحتاج إلى ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فليس عرض الأسماء على الملائكة كالعرض التلفزيوني؛ فهذا غريب يصعب القطع بكتيبيته.

ومعلوم قطعاً أن الصحابة، رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله، كانوا أقوى إيماناً من الذين أتوا بعدهم؛ لأنهم في القرون المفضلة، فهل المعاصرون الذين شاهدوا التلفزيون أقوى إيماناً من الصحابة؟ أقول بالتأكيد ليسوا أقوى إيماناً . فالله المستعان.

#### **الموضع الرابع:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

قال المؤلف عند كلامه على هداية الآيات في ص ٥٥ من الجزء الأول من تفسيره :

فالمنافق إذا قال هو مؤمن أو مسلم ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغنى النسبة عنه شيئاً.

قلت: قول المؤلف لم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه يفهم منه أن العمل ليس من الإيمان؛ وإنما هو بالقلب.

وقد تقدم الكلام على معنى الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد، وأن العمل من الإيمان عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ...﴾ [البقرة: ١٤]، وذلك في الموضع الأول من هذه التبيهات، وتم هناك نقل كلام الإمامين:شيخ الإسلام ابن تيمية، وأبي عبيد القاسم بن سلام، رحمهما الله، والله أعلم.

#### **الموضع الخامس:**

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال المؤلف في ص ٨٥ من الجزء الأول من تفسيره:

فثم وجه الله : هناك الله تعالى؛ إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقاً أو غرباً، شمالاً وجنوباً، وجد الله؛ إذ الكائنات كلها بين يديه.

قلت: عبارة المؤلف فيها إجمال، وقد نقل ابن كثير ، يرحمه الله، في تفسيره<sup>(١)</sup>، عن عكرمة عن ابن عباس (فثم وجه الله) قال : قبلة الله أينما توجهت شرقاً وغرباً، وقال مجاهد: حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها الكعبة ، وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، يرحمه الله، في تفسيره : <sup>(٢)</sup> (فأينما تولوا) وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره؛ إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمنون بالصلاحة في السفر على الراحلة ونحوها فإن القبلة حيثما توجه العبد، أو تشتبه القبلة فيتحرى الصلاة إليها، ثم يتبين له الخطأ .. إلى أن قال (فثم وجه الله إن الله واسع عليم) فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه وهو - تعالى - واسع الفضل والصفات عظيمها عليم بسرائركم ونياتكم.

### **الموضع السادس:**

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ...﴾ [البقرة: ٣٠].

قال المؤلف في ص ٢٥ من الجزء الأول من تفسيره :

ال الخليفة من يخالف غيره .. ثم قال : يأمر تعالى رسوله أن يذكر قوله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة يخلفه في إجراء أحکامه في الأرض .. إلى آخر كلامه .

(١) الجزء الأول ص : ١٥٨ .

(٢) الجزء الأول ص : ١٢٨ .

قلت: تعبير المؤلف بأن الخليفة في الأرض يخلف الله في إجراء  
أحكامه غير سليم.

وقد رد علماء السلف هذه العبارة، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن  
تيمية<sup>(١)</sup>:

والخليفة لا يكون خليفة إلا مع مغيب المستخلف وموته؛ فالنبي ﷺ إذا  
كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها، كما أن سائر من استخلفه  
النبي ﷺ لما رجع انقضت خلافته، وكذلك سائر ولاة الأمور إذا استخلف  
أحدهم على مصره في مغيبه بطل استخلافه إذا حضر المستخلف؛ ولهذا لا  
يصلح أن يقال إن الله يستخلف أحداً عنه؛ فإنه حي قيوم مدبر لعباده منه  
عن الموت والنوم والغيبة، ولهذا لما قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله، قال  
لست خليفة الله؛ بل خليفة رسول الله وحسبي ذلك، والله سبحانه وتعالى  
يوصف بأنه يخلف العبد كما قال ﷺ: "اللهم أنت الصاحب في السفر  
والخليفة في الأهل"، وقال في حديث الدجال: "والله خليفي على كل  
مسلم"، وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق  
كان قبله كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَّفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ... ﴾ [يونس: ١٤]  
﴿ ... وَآذَكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلُّفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٌ ... ﴾ [الأعراف: ٦٩]  
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي  
الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾ [النور: ٥٥]. وكذلك قوله:  
﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [البقرة: ٣٠] أي عن خلق كان في  
الارض قبل ذلك، كما ذكره المفسرون وغيرهم، وأما ما يظنه طائفة من  
الاتحادية وغيرهم: أن الإنسان خليفة الله فهذا جهل وضلال. ومن العلماء  
المعاصرين الذين ردوا هذه العبارة فضيلة الشيخ صالح الفوزان وفضيلة

(١) منهاج السنة النبوية ص: ٤٧٩.

الشيخ محمد جميل زينو في رسالتهما في التبيه على أخطاء الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه (صفوة التفاسير) وذلك في الصفحتان من ٩٧ إلى ١٠٠ من الرسالة المذكورة، وفهم الشيخ عبد الرحمن الميداني في رسالة خاصة عن هذه العبارة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في منهاج السنة النبوية ص ٥٠٩ ج ١ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَقِيْلَأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوَّ بَعْضِ دَرَجَتِكُم﴾ [الأنعام: ١٦٥] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَقِيْلَأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يوحنا: ١٤] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]. أي: خليفة عمن قبلك من الخلق، ليس المراد أنه خليفة عن الله، وأنه من الله كإنسان العين من العين؛ كما يقول بعض المحدثين القائلين بالحلول والاتحاد؛ كصاحب (الفتوحات المكية). إلى أن قال: والمقصود هنا أن الله لا يخلفه غيره؛ فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو، سبحانه، شهيد مدبر لخلقته، لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو، سبحانه، خالق الأسباب والمسارات جميعاً؛ بل هو، سبحانه، يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله، ويروى أنه قيل لأبي بكر رض عنه يا خليفة الله، فقال: بل أنا خليفة رسول الله وحسبي ذاك. انتهى باختصار.

#### الموضع السابع :

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ...﴾ [البقرة: ١٥٧]، قال المؤلف في ص ١١٠ من الجزء الأول من تفسيره : الرحمة : الإنعام؛ وهو جلب ما يسرُّ، ودفع ما يضرُّ، وأعظم ذلك دخول

الجنة بعد النجاة من النار .

قلت: لا يخفى أن تفسير الرحمة بالإنعم تأويل لصفة الرحمة الثابتة لله عز وجل؛ فالإنعم من آثار الرحمة ولوازمها وليس هو الرحمة . وما يوضح صفة الرحمة لله عز وجل قول الإمام ابن القيم: المسلك الثالث مسلك الرحمة؛ فإنها المسؤولية الشاملة العامة للموجودات كلها، وبها قامت الموجودات فيه، التي وسعت كل شيء، والرب وسع كل شيء رحمة وعلماً فوصلت رحمته إلى حيث وصل علمه؛ فليس موجود سوى الله إلا وقد وسعته رحمته وشملته وناله منها حظ ونصيب، ولكن المؤمنون اكتسبوا أسباباً استوجبوا بها تكميل الرحمة ودوامها، والكفار اكتسبوا أسباباً استوجبوا بها صرف الرحمة إلى غيرهم؛ فأسباب الرحمة متصلة دائمة لا انقطاع لها.

وأما قول المؤلف: وأعظم ذلك دخول الجنة ، فلا شك أن دخول الجنة أمر عظيم ومطلب كريم، ولكن هناك أمراً أعظم منه وأجل وهو رؤية المؤمنين لربهم في الجنة؛ كما ثبت ذلك في الحديث الذي رواه مسلم<sup>(١)</sup> عن صحيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة، الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبَيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتتجنا من النار؟ قال فُيُكشِّف الحجاب؛ فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل " ففي هذا الحديث إثبات أن أعظم ما أُعطي أهل الجنة هو النظر إلى ربهم تبارك وتعالى.

وفي صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً : عن أبي سعيد الخدري حديث في إثبات رؤية المؤمنين لربهم وفي آخره قوله : فيقولون " ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول : لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول : رضاي فلا أسلط عليكم أبداً "

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٣ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٧٧ باب معرفة طريق الرؤية

ففي هذا الحديث التصريح بأن رضا الله أفضلي من النعيم الحسي الذي يُعطاه أهل الجنة، وبذلك يتبيّن أن تصريح المؤلف: وأعظم ذلك دخول الجنة، غير مسلم، فقد ثبت بالدليل أن رضا الله أفضلي من دخول الجنة؛ حسب نص الحديث، وبسبب رضا الله ، سبحانه وتعالى، عن المؤمنين أدخلهم الجنة فيه؛ نالوا ما نالوا من نعيمها، ولا يخفى ما في عبارات المؤلف في هذا الموضع وفيه غيره من الإجمال الذي قد يحصل بسببه الإيهام. والله الموفق.

### **الموضع الثامن:**

قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿.....لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]. وقد أورد المؤلف عند تفسيره لهاتين الآيتين في صفحتي ١١٦ و ١١٧ من الجزء الأول من تفسيره العبارات التالية :

فأنزل الله تعالى هذه الآية إن في خلق السموات .. إلى قوله يعقلون مشتملة على ست آيات كونية كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله ، إلى أن قال : ففي هذه الآيات الست أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله تعالى .. ثم قال: الآيات التزيلية القرآنية تثبت وجود الله رباً وإلهاً .

قلت: جاء كتاب الله عز وجل لتقرير توحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فتوحيد الإلهية هو الذي جرى فيه الخلاف بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وأممهم وأما تقرير وجود الله فلم يكن محل خلاف.

قال الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية<sup>(١)</sup>: (وَمَا الاعتراف بالخالق فإنه علم ضروري لازم للإنسان لا يغفل عنه أحد؛ بحيث لا يعرفه بل لابد أن

(١) درء تعارض العقل والنقل .

يكون قد عرفه وإن قدر أنه نسيه؛ ولهذا يعد التعريف بذلك تذكيراً فإنه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد).

وقال أيضاً ، يرحمه الله،<sup>(١)</sup> (والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة لا يصير به الرجل مؤمناً؛ بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شيء حتى يشهد أن لا إله إلا الله ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله).

وقد تكلم الشيخ صالح الفوزان على هذه العبارة في تعقباته وملاحظاته على كتاب (صفوة التفاسير) للصابوني، فقال<sup>(٢)</sup>: كثيراً ما يكرر المؤلف مثل هذه العبارة: وجود الله... مع أن وجود الله تعرف به جميع طوائف البشر؛ وإنما الخلاف في توحيد العبادة، وهو ما دعت إليه جميع الرسل ونزلت لتقريره جميع الكتب. وأما توحيد الريوبية الذي منه . كما يسميه . وجود الله؛ فليس محل نزاع وإنما يذكر في القرآن الكريم للاستدلال به على توحيد العبادة لا لأجل إثباته؛ لأنهم يقرؤون به. والشاهد على هذا كثيرة، حتى إبليس مُقر بوجود الله، والمؤلف ينقل عبارات الرازى وغيره من علماء الكلام على علاتها. انتهى كلام الشيخ صالح.

وعن معنى العبادة وتوضيحه يقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، في منهاج السنة النبوية، ص ٤٤٨ ج ٢:

فالعبادات مبناهما على أصلين أحدهما: أَنَّا يُعبد إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ شَيْئاً؛ لَا مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا وَلَا صَالِحاً وَلَا شَيْئاً مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

والثاني: أَن نَعْبُدَهُ بِمَا أَمْرَنَا بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَعْبُدَهُ بِمَا لَمْ يُشَرِّعْهَا اللَّهُ، سُبْحَانَهُ، وَلَا رَسُولُهُ ﷺ.

والعبادات تتضمن كمال الحب وكمال الخضوع؛ فمن أحب شيئاً

(١) درء تعارض العقل والنقل ص ١١ / ٨ .

(٢) انظر ص ٢٩ .

من المخلوقات كما يحب الخالق فهو مشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْبِهُمْ كَحْبٌ﴾ **اللهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ**  
[البقرة: ١٦٥]، وفي الصحيحين عن ابن مسعود **قال: قلت يا رسول الله  
أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت ثم أي؟ قال: أن  
تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، ثم أي؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك،  
فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَخْرَ وَلَا يَقْتُلُونَ  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْثُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].**

#### الموضع التاسع :

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ اللَّهُ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ بِكُلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حِيمَهِ  
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّاَلِيْلِ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكُوَةَ وَالْمُؤْفُوتَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ أَبَاسُ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَقُّونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال المؤلف في ص ١٢٧ من الجزء الأول من تفسيره عند الكلام على هذه الآية: وهذا هو مبدأ الإحسان وهو مراقبة الله والنظر إليه وهو يزاول عبادته.

قلت: قول المؤلف والنظر إليه – أي إلى الله – غير سليم؛ فمراقبة الله بأن يعمل العبد العمل وكأنه يرى ريه، فهذا هو مبدأ المراقبة. وأما القول بأن العبد ينظر إلى ريه في الدنيا فغير صحيح، فقد ورد حديث ذكره الإمام ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>، ورواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر **قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أتى أرأه.** قال الإمام ابن

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم تحقيق عواد المعتق ص ٢٤٧ .

القيم: فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: معناه كان ثم نور أو حال دون رؤيته نور فأى أرأه، قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيح (هل رأيت ربك؟ قال: رأيت نوراً).

في صحيح مسلم<sup>(١)</sup>: قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال: أنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: (تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت).

فلو قال المؤلف - وفقه الله - يعبد ربه وكأنه ينظر إليه؛ لكان دائراً مع النصوص وملتزمًا عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن عدم التقيد بعبارات وأسماء الشرعية، التي درج العلماء عليها في الاستباط والاستدلال يؤدي إلى هذا الخروج عن الصواب، كما أنه يؤدي إلى تورط المؤلف بعبارات المبتدةة من المتصوفة وغيرهم، ولعل كثيراً مما يحصل من ذلك غير مقصود، ولكن إهمال عبارات السلف ومصطلحاتهم الشرعية التي أخذوها من الكتاب والسنة يؤدي إلى الوقوع في مثل هذه الأخطاء والزلات، نسأل الله أن يهدينا وسائر إخواننا إلى الصواب والرشاد، وأن يجنبنا مواطن الزلل إنه جواد كريم.

#### الموضع العاشر :

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال المؤلف في ص ١٣٧ من الجزء الأول من تفسيره :

من هداية الآية:

١ - ( قرب الله تعالى من عباده؛ إذ العوالم كلها في قبضته وتحت

(١) صحيح مسلم ص: ٢٤٤٥ جزء ٤ .

سلطانه ولا يبعد عن الله شيء من خلقه إذ ما من كائن إلا والله تعالى يراه ويسمعه ويقدر عليه وهذه حقيقة القرب).

قلت: ما ذكره المؤلف تفسيراً للقرب هو تفسير للقرب العام وليس هو القرب المراد بالقرآن، وهو القرب الذي اختص الله به المحسنين والمؤمنين، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية كلاماً يوضح معنى القرب المراد بالكتاب والسنة؛ قال ، يرحمه الله،<sup>(١)</sup>:

أما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه "الباطن"، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، فهذا قربه من داعيه وقال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فذكر الخير وهو قريب من لفظ الرحمة وهي مؤنة إيداعاً بقربه تعالى من المحسنين؛ فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل؛ فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطنون .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره<sup>(٢)</sup> : والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

(١) طريق المجرتين لابن القيم ص ٢٢ .

(٢) تفسير ابن سعدي ص ١/٢٢٤ .

## الموضع الحادي عشر

قوله تعالى: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا...﴾ [الأنعام: ٧٠] في ص ٦٢١ من الجزء الأول من تفسيره عند أراد المؤلف إيضاح معنى هذه الجملة كتب "أَبْسَلُوا" بدلاً من "أَبْسَلُوا" فبدل النص.

## الموضع الثاني عشر :

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال المؤلف في ص ١٥٨ من الجزء الأول من تفسيره : "النبيون: جمع نبى؛ المراد بهم الرسل؛ إذ كل نبى رسول؛ بدليل رسالتهم القائمة على البشارة والندارة المستمدة من كتب الله تعالى المنزلة عليهم".

قلت: رأى المؤلف بعدم التفريق بين الرسول والنبي غير صحيح، فقد فرق بينهما علماء السلف قديماً وحديثاً؛ فمن العلماء القدامى الذين فرقوا بينهما شارح العقيدة الطحاوية ، يرحمه الله، حيث قال<sup>(١)</sup>: وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول وأحسنها: أن من نباء الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو النبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو النبي وليس برسول؛ فالرسول أخص من النبي فكل رسولنبي وليس كلنبي رسولًا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون وغيرهم؛ بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها.

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان<sup>(٢)</sup> : وهذا مسألة تحتاج إلى بيان وهي الفرق بين النبي والرسول فالفرق بين النبي والرسول على المشهور: إن الرسول ذَكَرْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ، وَالنَّبِيُّ إِنْسَانٌ ذَكَرْ أُوحِيَ

(١) شرح الطحاوية ص ١٦٧ .

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٥٤

إليه بشرع ولم يُؤمر بتبلیغه، وكل من النبي والرسول يوحى إليه لكن النبي قد يُبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة؛ كأنبياء بنى إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وهي خاص في قضية معينة؛ وأما الرسل فإنهم يُبعثون في قوم كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته، فهم يُرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم.

والرسول أفضـل من النبي والرسـل يتـقاضـلون، قال تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وأفضل الرسل أولـو العـزم وـهم خـمسـة: نـوح وـإـبرـاهـيم وـمـوسـى وـعـيسـى وـمـحـمـد عـلـيـهـمـ الصـلاـةـ والـسـلامـ، وـهـمـ الـمـذـكـورـونـ فيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ:

﴿وَلَذَّ أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ سَرْجِينَ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا غَلِظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الْدِينِ مَا وَصَّنِيَّ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنِيَّ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ...﴾ [الشورى: ١٣].

وأفضل أولـيـعـزـمـ الـخـلـيـلـانـ إـبـرـاهـيمـ وـمـحـمـدـ عـلـيـهـمـ جـمـيـعـاـ أـفـضـلـ الصـلاـةـ والـسـلامـ وـأـفـضـلـ الـخـلـيـلـينـ مـحـمـدـ ﷺـ.

### الموضع الثالث عشر :

قولـهـ تـعـالـىـ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَيْنَاهُمْ ثُمَّ يُمِيتُنَّاهُمْ ثُمَّ يُحْيِيُنَّاهُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال المؤلف في ص ٣٣ وص ٣٤ من الجزء الأول من تفسيره: إن إماتة الحي وإحياء الميت كلـاهـماـ دـالـ على وجود الله تعالى وقدرته .. ثم قال : إقامة البرهان على وجود الله وقدرته ورحمته .

قلـتـ: الدـعـوةـ التـيـ جاءـ بهاـ القـرـآنـ هيـ الدـعـوةـ إـلـىـ الإـقـرارـ بـالـإـلـوـهـيـةـ وـالـعـبـادـةـ وـتـقـرـيرـ تـوـحـيدـ اللهـ بـأـسـمـائـهـ وـصـفـاتـهـ، وـإـثـبـاتـ الـبـعـثـ وـالـمـعـادـ وـلـيـسـ

الدعوة إلى الإقرار بوجود الله؛ إذ إن الكفار مقررون بوجود الله ولكنهم منكرون لتفرده بالإلوهية، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ . وقال عز وجل : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقُهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ .

فالكافر المخاطبون بالقرآن لا ينكرون وجود الخالق؛ وإنما امتنعوا عن إفراده بالإلوهية. وقد تعقب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان على الشيخ محمد علي الصابوني مثل هذه العبارة فقال : كثيراً ما يكرر المؤلف مثل هذه العبارة :

وجود الله، مع أن وجود الله تعرف به جميع طوائف البشر إنما الخلاف في توحيد العبادة، وهو الذي دعت إليه جميع الرسل ونزلت لأجله جميع الكتب ، وأما توحيد الريوبية الذي منه، كما يسميه، وجود الله، فليس محل نزاع؛ وإنما يذكر في القرآن للاستدلال به على توحيد العبادة لأجل إثباته؛ لأنهم يقررون به، والشاهد على هذا كثيرة، حتى إبليس مقر بوجود الله. والمؤلف ينقل عبارات الرازى وغيره من علماء الكلام على علاتها.

#### الموضع الرابع عشر

قوله تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولًا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرَقٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ...﴾ [المائدة: 19].

عند كلام المؤلف على المعنى العام للأية في ص ٥١٧ من الجزء الأول من تفسيره كتب آخر الآية هكذا : ما جاءنا بشير ولا نذير. فحذف حرف الجر "من" الواقع بين "جاءنا" و "بشير" ، وبهذا يكرر ما سار عليه من التغير بنصوص القرآن بالحذف والزيادة وإبدال كلمة بدل كلمة ونحو ذلك والأمثلة متفرقة في هذه التبيهات.

## الموضع الخامس عشر :

قوله تعالى: ﴿...وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال المؤلف في ص ٢٠٣ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هذه الآية: العلي الذي ليس فوقه شيء، القاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير.

قلت: هذه الآية من الأدلة الواضحة الصريحة على إثبات صفة العلو لله عز وجل، وكلام المؤلف عليها ليس عليه مأخذ سوى قصور العبارة عن إيضاح معنى العلو والاستواء.

ويقول الإمام ابن القيم ، يرحمه الله ، في كتابه إغاثة اللھفان ص ٧٠ ردًا على نفأة الصفات؛ بحجة تنزيه الله سبحانه عن التشبيه والتجسيم، يقول ، يرحمه الله ، : وكذلك من نفي صفات الكمال عن رب تعالى خشية ما يتوجهه من التشبيه والتجسيم؛ فقد جاء من التقصص بضد ما وصف الله به نفسه من الكمال.

قلت: انظر إلى قوله ، يرحمه الله ، خشية ما يتوجهه من التشبيه والتجسيم لتعلم أن حجج نفأة الصفات ومؤوليتها إنما هي أوهام وإن كانت في ظاهر أمرها قد ألبست لباس التنزيه والتعظيم لله عما لا يليق بجلاله، ولكن ذلك لا يبرر ما يقوم به نفأة الصفات من سلب صفات الله عنه ونفيها؛ إذ إن الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أعرف بالله وأعلم بما يليق به من صفات الكمال والجمال والجلال.

وقد تقدم إيضاح ذلك عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، [فصلت: ١١]، وتم هناك نقل كلام أهل العلم بما يغني عن إعادته هنا ، والله أعلم.

## **الموضع السادس عشر :**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي أَلَئِكَبِ﴾ [آل عمران: ۱۹۰] – إلى آخر السورة.

قال المؤلف في ص ۲۵۶ من الجزء الأول من تفسيره : الآيات : دلائل على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته .

قلت: سبق الكلام على هذه الجملة وهي عبارة : (وجود الله)، وجرى بيان أن الدعوة التي جاء بها القرآن هي الدعوة إلى الإقرار بالإلهية والعبادة والإيمان بأسماء الله وصفاته، وليس الدعوة إلى الإقرار بوجود الله؛ إذ إن الكفار مقررون بوجود الله.

## **الموضع السابع عشر :**

قوله تعالى: ﴿... وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ ...﴾ [الأنعام: ۱۱۹]. ص ۶۵۱ ج ۱ عند تفسير المؤلف لهذا النص، وعند ما أراد أن يوضح (ما حرم) كتبها هكذا (ما حرمه) وأحاطتها بقوسين موهماً أنها نص القرآن وهي ليست كذلك؛ بل النص (ما حرم).

## **الموضع الثامن عشر :**

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ۱۸]. قال المؤلف في ص ۵۹۴ من الجزء الأول من تفسيره عند تفسيره للمفردات: القاهر: الغالب المذل المعز، وعند توضيحه لمعنى الآيات قال : وقوله تعالى في الآية الثانية "۱۸" وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير؛ تقرير لربوبيته المستلزمة لإلهيته وطاعته، وطلب ولايته وبطلان ولاية غيره وعبادة سواه.

قلت: استدل المؤلف بهذه الآية على إلهيته تعالى وربوبيته، وهي مع دلالتها على ذلك من أدلة العلو لله تعالى. وقد نقل الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص ۲۷۲، عن

الحارث بن أسد المحاسبي أنه قال: وأما قوله الرحمن على العرش استوى، قوله: وهو القاهر فوق عباده، قوله: أَمْنَتُم مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ، قوله: إِذَا لَابْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، فهذه وغيرها مثل قوله : تعرج الملائكة والروح إليه قوله: إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمَ الطَّيِّبُ، هذا يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: أَمْنَتُم مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسُفَ بِكُمُ الْأَرْضُ؛ يعني فوق العرش والعرش على السماء.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، يرحمه الله، عند كلامه على العلو، نقل كلام الحارث بن أسد المحاسبي، وفيه الاستدلال على علو الله تعالى، وقد سرد عدة آيات منها هذه الآية وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) <sup>(١)</sup> ، وقد تكررت هذه الجملة في سورة الأنعام مرتين في الآية الثامنة عشرة وفي الآية الحادية والستين فتقرر أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ من أدلة علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه ، والله أعلم.

### الموضع التاسع عشر :

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ [النساء: ٣٤].  
قال المؤلف عند كلامه على هداية الآيات في ص ٣٩٨ في الجزء الأول من تفسيره : تقرير مبدأ القيومية للرجال على النساء وبخاصة الزوج على زوجته.

قلت: التعبير بالقيومية بالنسبة لقيام الرجل على المرأة غير صحيح، والتعبير المناسب لهذا المقام هو: القوامة أو القيام، وأما كلمة "القيومية" فهي ترد عند الكلام على صفات الله تعالى؛ فيقال لله تعالى

(١) انظر الفتوى الحموية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٦٧ ج ٥ .

كمال الحياة والقيومية، استباطاً من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ﴾ في سورة البقرة وفي سورة آل عمران، ومن قوله تعالى في سورة طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُومِ ...﴾ [طه: ١١١].

وممن أورد كلمة القيومية في سياق وصف الله سبحانه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (تلخيص كتاب الاستفادة) ص ١٩٥ و ص ١٩٦، وكذلك أوردها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ١/٣١٤، حيث قال: ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة أي: نعاس ولا نوم لأن السنة والنوم إنما يعرضان للمخلوق، الذي يعتريه الضعف والعجز والانحلال، ولا يعرضان للخالق.

وأما كلمة القوامة التي ذكرت أنها هي اللائقة بقيام الرجال على النساء فقد وردت في رسالة: (تبيّنات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل) تأليف سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، يرحمه الله، حيث قال ص ١٠:

رابعاً: قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وليس قوامه تشريف، قال، يعني الصابوني: إنما القوامة للرجل قوامة تكليف وليس قوامة تشريف، فقال سماحته:

والجواب: أن يقال: هذا خطأ، والصواب أن يقال: قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وتشريف لقول الله جل وعلا: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَّبِمَا أَنْفَقُوا ...﴾ [النساء: ٣٤]، فاؤوضح سبحانه أنه جعل الرجال قوامين على النساء لأمرتين أحدهما: فضل جنس الرجال على جنس النساء، والأمر الثاني: قيام الرجال بالإنفاق على النساء بما يدفعون من المهر وغيرها من النفقات.

فإتضح أن الكلمة التي يعبر بها عن قيام الرجل بشؤون المرأة هي القوامة والقيام، وأما القيومية فيوردها العلماء عند الكلام على صفات الله

تعالى، فيقولون رحمهم لله تعالى كمال الحياة والقيومية، والكلام على هذه الفقرة من باب الالتزام بالأسماء الشرعية.

وكذلك من العلماء المعاصرين الذين أوردوا هذه العبارة في مجال وصف الله الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان في كتابه (الکواشف الجلية عن معاني الواسطية) ص ١٢٤، حيث قال: إثبات القيومية لله.

وإنما سقطت هذا الكلام لبيان ما سار عليه علماؤنا من التقيد بما يسمى في عرف العلماء بالأسماء الشرعية؛ كأسماء: الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعدمأخذ المعنى اللغوي بمعزل عن المعنى الشرعي؛ إذ إنه عند حصول هذا - أي الأخذ للغة بمعزل عن الشرع، يقع خطأ عظيم، وإخراج للأسماء الشرعية عن معانيها المقصودة من الله ورسوله.

### الموضع العشرون :

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِدُوا أَيْهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَفَلِيَّا هُنَّ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ...﴾ [المائدة: ٥١].

قال المؤلف في ص: ٥٤٠ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هذه الآية:

آمنوا: صدقوا بالله ورسوله ووعده ووعده.

قلت: الإيمان قول وعمل واعتقاد وليس هو التصديق فحسب؛ بل التصديق جزء من الإيمان. وقد صرخ أهل السنة بذلك في سائر مؤلفاتهم التي تقرر عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك ما ذكره الإمامان: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، يرحمه الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، يرحمه الله، وسبقت الإشارة إليه عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا آمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٤].

وجرى هناك نقل الكلام هذين الإمامين، وتقرر أن الإيمان قول وعمل

واعتقاد، كما هو مذهب أهل الحق، وأما تفسير الإيمان بالتصديق ففقط فهو مذهب المرجئة - أي الذين يرجئون العمل عن الإيمان فلا يدخلونه ضمنه ويفسرون الإيمان بمجرد التصديق، وهو قول مردود عند أهل التحقيق من العلماء قديماً وحديثاً ، فالله المستعان.

### الموضع الواحد والعشرون:

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِيَّاكَتِ اللَّهَ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].

قال المؤلف في ص ٢٤٩ من الجزء الأول من تفسيره عند إشارته إلى هداية هذه الآية : قتل الآمرتين بالمعروف والناهين عن المنكر كقتل الأنبياء في عظم الجرم<sup>(١)</sup>

### الموضع الثاني والعشرون:

قوله تعالى : ﴿... عَلِيهِمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال المؤلف في ص ٦٢٢ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على اسمه تعالى : (الحكيم) قال : في أفعاله.

قلت : حصر المؤلف للحكمة أنها متعلقة بأفعاله تعالى قصور بمعنى هذا الاسم من أسماء الله الحسنى عن دلالته الكاملة فهو أوسع من ذلك.

فقد ذكر الإمام ابن جرير الطبرى ، يرحمه الله ، في تفسيره ص ٧/٢٤٢ بعض مظاهر حكمته تعالى فقال : وهو الحكيم في تدبیره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم ، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم في مجازاتهم فيما يجاز لهم به من ثواب أو عقاب.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، يرحمه الله ، في تفسيره

(١) يبدو أن هناك كلاماً ناقصاً . (مراجعة النظرات)

عند شرحه لأسماء الله الحسني ص ٦٢١ الجزء الخامس قال : الحكيم وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه (ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون )، فلا يخلق شيئاً عبثاً ولا شرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعيه وفي قدرته وجراه، والحكمة وضع الأشياء مواضعها وتوزيلها منازلها.

ومن إيضاح الإمام ابن كثير، يرحمه الله، لاسمه تعالى الحكيم قوله في تفسيره ص ٢٥٦ :

حكيم: في أمره ونهيه، وشرعه وقدره، وقوله أيضاً في تفسيره ص ٢٣٦ : حكيم: فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقد جرى الكلام على اسمه تعالى: (الحكيم) في عدة مواضع من هذه التبيهات، فللهم الحمد.

### الموضع الثالث والعشرون :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية: في ص ٦٢٧ من الجزء الأول من تفسيره: حكيم في تدبیره .

قلت: قد أوضحت معنى اسمه تعالى (الحكيم) في مواضع عدة من هذه التبيهات؛ منها عند تفسيره للآية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام، وعند تفسيره للآية الأولى من سورة الحديد، وغيرهما.

### الموضع الرابع والعشرون :

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجِزُ الْشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

قلت: عند شرح المؤلف للمعنى العام للآية أتبتها هكذا : ( وسيجزي الله الشاكرين) بالياء في يجزي وبإضافة اسم الجلالة، ولعل مصدر الوهم

هنا هو اشتباہ الآیة بالآیة التي قبلها؛ إذ نصها (وسيجزي الله الشاكرين).

## الموضع الخامس والعشرون :

قوله تعالى: ﴿... يَعْذِبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ...﴾ [المائدة: ٤٠].

قال المؤلف عند كلامه على هذه الآية في الجزء الأول عن تفسيره ص ٥٣٠ : يعذب من يشاء : أي: تعذيبه؛ لأنّه مات عاصياً لأمر، لعله يقصد لأمره - كافراً بحقه.

ويغفر لمن يشاء: ممن تاب من ذنبه وأناب إليه سبحانه.

قلت: حصر المؤلف المغفرة لمن تاب دون من مات على ذنبه، وهذا غير مسلم له؛ فإنّ التائب من الشرك يغفر له أيضاً، والفارق بين الشرك وغيره من الذنوب: أن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة، وأما غير الشرك فهو تحت مشيئة الله ولو لم تتحقق التوبة؛ فإذا أراد الله مغفرة غفره، وإن أراد عذابه عذبه، ثم مصيره إلى الجنة بعد ذلك؛ فالأمر في ذلك راجع إلى إرادة الله المبنية على حكمته تعالى؛ فهو سبحانه لا يفعل الفعل لإرادة مجردة؛ بل أفعاله سبحانه ترتبط بحكم يعلمهها هو سبحانه وتعالى؛ منها ما يظهر للبشر ومنها ما يخفي عليهم.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، كلام حول هذا الموضوع أنقله لفائدة، قال يرحمه الله، كما في مجموع الفتاوى ص ١٩/١٨ الجزء السادس عشر: فصل في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

٥٢

وأَنِيبُوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ

﴿[الزمر: ٥٣ - ٥٤]، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن هذه الآية في

حق التائبين، وأما آيتا النساء قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

٥٣ [النساء: ٤٨] ، [النساء: ١١٦] فلا يجوز أن

تكون في حق التائبين كما ي قوله من المعتزلة؛ فإن التائب من الشرك يُغفر له الشرك أيضاً بنصوص القرآن واتفاق المسلمين. وهذه الآية فيها تخصيص وتقييد وتلك الآية فيها تعميم وإطلاق هذه خص فيها الشرك بأنه لا يغفر وما عداه لم يجزم بمغفرته؛ بل علقه بالمشيئة فقال: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع أن هذه كما ترد على الوعيدية من الخوارج والمعزلة، فهي ترد أيضاً على المرجئة والواقفية؛ الذين يقولون يجوز أن يعذب كل فاسق، فلا يغفر لأحد ويجوز أن يغفر للجميع؛ فإنه قد قال: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأثبتت أن ما دون ذلك هو مغفور لمن يشاء؛ ولو كان لا يغفره لكل أحد بطل قوله: ويغفر ما دون ذلك، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله: لمن يشاء؛ فلما أثبتت أنه يغفر ما دون ذلك، وأن المغفرة هي لمن يشاء؛ دل ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك؛ لكنها لبعض الناس.

### **الموضع السادس والعشرون :**

قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكُفُّرُوْنَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَخْيَرْتُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية والآية التي بعدها ص ٣٣ وص ٣٤ من الجزء الأول من تفسيره: إن إماتة الحي واحياء الميت كلاهما دال على وجود الرب تعالى وقدرته .. ثم قال : إقامة البرهان على وجود الله وقدرته ورحمته.

قلت: من المعلوم أن الدعوة التي جاء بها القرآن الكريم هي الدعوة إلى توحيد الإلهية، وإثبات أسماء الله وصفاته، وأما وجود الله تعالى ، فقد أقربه الكفار، ولكنهم أنكروا إفراد الله بالإلهية، قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ ...﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فالكافر المخاطبون بالقرآن مقررون بوجود الخالق معترفون بربوبيته، ولكنهم أنكروا إفراده بالإلوهية كما حكى الله عنهم ذلك بقوله تعالى: ﴿...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ ...﴾ [الزمر: ٣].

وقد جرى التبييه على مثل هذه الألفاظ في عدة مواضع من هذه التبيهات، وجرى التأكيد على أن القرآن جاء بتقرير توحيد الإلهية وإفراد الله بها، أي: بالإلهية التي هي العبادة وكذلك تقرير الأسماء والصفات للله تعالى كما قال عز وجل: ﴿قُلِّ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ومما يناسب المقام قول الإمام ابن القيم<sup>(١)</sup>: والمقصود أن الله تعالى فطر عباده على فطرة فيها الإقرار به ومحبته والإخلاص له، والإذابة إليه وإجلاله وتعظيمه.

ثم قال: ومما يبين ذلك: أن الإقرار بالصانع مع خلوا القلب عن محبته والخضوع له وإخلاص الدين له لا يكون نافعاً؛ بل الإقرار به مع الإعراض عنه وعن محبته وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقاً للعذاب. فلا بد أن يكون للفطرة مقتضى للعلم ومقتضى للمحبة؛ والمحبة مشروطة بالعلم فإن ما لا يشعر به الإنسان لا يحبه، والحب للمحبوبات لا يكون

(١) شفاء العليل لابن القيم ص: ٢٠٢، ٢٠٣. وقال يرحمه الله، في إغاثة الهاهام ص ٥٠٧ : فالتوحيد ملجاً للطالبين، ومفرعاً للهاربين، ونجاة المكرهين، وغياث الملهوفين. وحقيقة إفراد رب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع.

بسبب من خارج؛ بل هو جبلي فطري، فإذا كانت المحبة جبالية فطرية فشرطها وهو المعرفة أيضاً جبلي فطري؛ فلا بد أن يكون في الفطرة محبة الخالق مع الإقرار به، وهذا أصل الحنيفية التي خلق الله خلقه عليها وفطرته التي فطّرهم عليها؛ فعلم أن الحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله والخضوع له والإخلاص هو أصل أعمال الحنيفية، وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة.

### الموضع السابع والعشرون :

قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضْلُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام: ١١٩]. قال المؤلف في ص: ٦٥٢ في الجزء الأول من تفسيره عند إشارته إلى ما تهدي إليه الآيات، قال: حرمة اتباع الأهواء ووجوب اتباع العلماء.

قلت: الواجب اتباعه هو كتاب الله، عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وأما العلماء فلا يصح إطلاق القول بوجوب اتباعهم؛ إلا بتقييد ذلك بقيد وهو: أن يكون ما قالوا به مأخوذاً من الكتاب والسنة، فعن ابن مسعود رض قال: (إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لات وما أنتم بمعجزين) رواه البخاري ، جامع الأصول ص: ٢٨٩ / ١.

وفي موطأ مالك بن أنس ، يرحمه الله، : بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله) جامع الأصول ص: ٧٧، وقال الشيخ صالح الفوزان في كتابه (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد) ص: ٦٨: أعلموا وفقني الله وإياكم أن من الشرك طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، قال تعالى: ﴿أَتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَكَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرِيمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣١] ، وفي الحديث

الصحيح أن النبي ﷺ : تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي فقال يا رسول الله لسنا نعبدهم قال: (أليس يحلون ما حرم الله فتحلوه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه قال: بلى قال النبي ﷺ فتلك عبادتهم) رواه الترمذى وغيره، وقد فسر النبي ﷺ فيه اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله بأنه ليس معناه الركوع والسجود لهم؛ وإنما معناه طاعتهم في تغيير أحكام وتبدل شريعته بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال، وإن ذلك يعتبر عبادة لهم من دون الله؛ حيث نصبوا أنفسهم شركاء الله في التشريع والتحليل والتحريم وهذا من الشرك الأكبر لقوله تعالى في الآية:

﴿...وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣١].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرِ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَنَ لَيُؤْخُونَ إِلَيَّ أُولَئِكَمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ثم ذكر فضيلته بعض أقوال الأئمة في أتباع السنة، وعدم قبول قول العلماء إلا بعد ثبوت اعتمادهم على الكتاب والسنة؛ ومن ذلك قول الإمام الشافعي ، يرحمه الله ، : إذا صح الحديث فهو مذهبى ، وقول الإمام أحمد ، يرحمه الله ، : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول: ﴿فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

### الموضع الثامن والعشرون:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فِيْنَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فِيْنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قال المؤلف في ص ٤٣١ من الجزء الأول من تفسيره : الحسنة من الله والسيئة من

النفس؛ إذ الحسنة أمر الله بها بأسبابها..... ( لم يكمل المؤلف، يرحمه الله، التعليق)، (المراجع)

## الموضع التاسع والعشرون :

قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِئُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَاكَ وَظَهَرَكَ وَأَصْطَفَنَاكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ... وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِّمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٤].

قال المؤلف في ص: ٢٦٣ من الجزء الأول من تفسيره : الصلاة سلم العروج إلى الملائكة الأعلى.

قلت: لا يوصف أحد من الناس بالعروج إلى الملائكة الأعلى، وإن كان العمل يصعد إلى السماء فيقبل الله العمل الصالح ويرد العمل السيئ قال تعالى:

﴿ ... إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْصَّالِحُ يُرْفَعُهُ ... ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ تَرْجُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ... ﴾ [المعارج: ٤].

وأخرج الإمام ابن جرير في تفسيره ص: ٢٢/١٢٠ عن المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله إذا حدثاكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله:

(إن العبد المسلم إذا قال سبحانه الله والحمد لله لا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله تعالى أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استقرروا لقائهم حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْصَّالِحُ يُرْفَعُهُ) وقد ساق هذا الحديث أيضاً الإمام ابن كثير في تفسيره ص: ٣/٥٤٩، إلا أنه قال حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل.

وأخرج ابن خزيمة في صحيحه : ١/١٦١ ، من طريق عطاء بن دينار الهمذاني

أن رسول الله ﷺ قال : "ثلاثة لا يقبل منهم صلاة ولا تصعد إلى السماء ولا تجاوز رؤوسهم: رجل أُمّ قوماً وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر، وأمرأة دعاها زوجها من الليل فأبَت عليه" الأحاديث الصحيحة للألباني ص : ٢٥٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهر ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم – كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون. متفق عليه.

فهذه الأحاديث وأمثالها تتضمن وصف الملائكة بأنهم يصلدون بالأعمال الصالحة إلى الله، ووصف بعض الأعمال التي وقع من أهلها مخالفة لأوامر الله بأنها لا تصعد إلى السماء؛ وهذا يدل على أن الأعمال التي سلمت من المخالفة تصعد إلى السماء، وفي بعض هذه الأحاديث وصف الملائكة بالعروج وهو الصعود. وأما وصف الإنسان بالصعود إلى الله أو إلى الملائكة الأعلى فلعله لم يرد، والله أعلم .

### الموضع الثالثون :

قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْاً كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الجملة في ص ٣٩٧ من الجزء الأول من تفسيره: تذليل للكلام بما يشعر من أراد أن يعلو على غيره بما أotti من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبرياته. قلت: هذا الكلام وإن كان لا بأس به؛ إلا أن الأهم من ذلك هو الإشارة إلى ما يستتبعه الآية بالدرجة الأولى وهو إثبات صفة العلو لله تعالى، وهذه الصفة الكريمة من صفات الله كانت ومازالت مجال تأويل للمفسرين والمؤلفين قديماً وحديثاً؛ فالمطلوب التتبّيه على دلالة الآية عليها

لا سيما والكتاب ألف لنشر مذهب أهل السنة والسلف الصالح رحمهم الله .

قال الإمام ابن جرير الطبرى في تفسيره ص : ٥٧٠، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ يقول: إنه ذو علو على كل شيء .

وقال الإمام ابن كثير ، يرحمه الله ، في تفسيره ص : ١٤٩٢ وقوله إن الله كان علياً كبيراً تهديد للرجال إذا بغو على النساء من غير سبب؛ فإن الله هو العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغي عليهن .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره ص : ٢٦٢ (إن الله كان علياً كبيراً) أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات؛ علو الذات وعلو القدر وعلو القدرة، الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم؛ كبير الذات والصفات.

فهؤلاء ثلاثة من مفسري السلف كلهم يشير إلى استبطاط صفة العلو لله تعالى من هذه الآية الكريمة ، والله أعلم .

### الموضع الواحد والثلاثون :

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَاتُلُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِدَ بَرْ كَيْرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِزْقٍ طَغَيْتَنَا وَكُفْرًا..﴾ [المائدة: ٦٤]. قال المؤلف في ص ٥٤٨ من الجزء الأول من تفسيره : بل يدان مبسوطتان : لا كما قالوا لعنهم الله يد الله مغلولة أي: ممسكة عن الإنفاق .

ثم قال عند كلامه على معنى الآيات ص ٥٤٩ :

وأكذبهم الله تعالى في قولهم يد الله مغلولة فقال: (قالوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ) كما قال عنه رسوله: يمين الله سخاء تتفق الليل والنهر .

قلت: يقتضي المقام إيضاح ناحيتين:

الأولى: الإشارة إلى إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله والواردة في هذه الآية الكريمة.

الثانية: خطأه في نقل الحديث؛ حيث أثبته بالخاء المعجمة وهو بالحاء المهملة، سحاء، ويحتمل أن ذلك تصحيفاً من الطابع.

وسوف أنقل بعض الكلام عن مفسري السلف إضاحاً لمعنى الآية لا سيما فيما يتعلق بإثبات صفة اليد لله عز وجل.

قال الإمام البغوي في تفسيره ص ٢٥٠ : بل يداه مبسوطتان ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه، وقال جل ذكره ﴿لَمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (كَلَّا يَدِيهِ يَمِين) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَفَاتِهِ.

فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف.

قلت: في تعليق على الحديث المقدم بحاشية تفسير البغوي ما يفيد بأن الحديث قد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره ص ٢٧٥ : ثم قال (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)، أي بل هو الواسع الفضل الجليل العطاء الذي ما من شيء إلا عنده خزانة وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نَعْصَمَ اللَّهُ لَا تُنْهَمُوهَا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، والأحاديث في هذا كثيرة، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معاذ عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن يمين الله ملائى لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه – قال – وعرضه

على الماء وفي يده الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض وقال: يقول الله أنفق أنفق عليك - أخرجاه في الصحيحين.

### الموضع الثاني والثلاثون :

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 97].

قال المؤلف ص ٦٣٩ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات: فائدة خلق النجوم، وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر.

قلت: عبارة المؤلف تقتضي حصر فائدة النجوم بما ذكر وهو الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر، والحق أنه ورد النص في القرآن الكريم على ثلاث حكم لخلق النجوم، وعلى طريقة السلف في تفسير القرآن بالقرآن سار الإمام البغوي ، يرحمه الله، تعالى في تفسيره، فذكر الآيات التي فيها حكمة خلق النجوم فقال ، يرحمه الله، في تفسيره للآية السابقة:

قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ﴾ أي خلقها لكم ﴿ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ والله تعالى خلق النجوم لفوائد أحدها: هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، والثاني: أنها زينة للسماء كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الَّذِيَا يُمَصَّبِّحَ ﴾، ومنها رمي الشيطان كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ... ﴾ [المالك: ٥].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه (تيسير العزيز الحميد) ص ٤٤٢: قوله قال البخاري في صحيحه: قال قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين،

وعلمات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضع نصيبه وتكلم بما لا علم له به.

ثم قال بعد كلام: قوله خلق الله هذه النجوم لثلاث إلى آخره.. هذا مأخذ من القرآن في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الْأَذْنِيَّا بِمَصَبِّيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيْطِينِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَعَلِمْتُمْ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما هو ظاهر الآية. وبتأمل ما تقدم يظهر أن الحكمة في خلق النجوم ليست هي الاهتداء بها فحسب؛ بل مع ذلك هي زينة للسماء ورجم للشياطين.

### الموضع الثالث والثلاثون:

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ أَثَيْعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَلَهُ جَهَنَّمُ وَلِئَسَ الْمُصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية ص ٣٣٩ من الجزء الأول من تفسيره في آثاره كلامه على هداية الآيات، قال: طلب رضوان الله واجب، وتجنب سخطه واجب كذلك؛ والأول يكون بالإيمان وصالح الأعمال، والثاني يكون بالشرك والمعاصي.

قلت: مراد المؤلف واضح، ولكنه أخطأ في التعبير؛ فطلب رضوان الله وتجنب سخطه كلاهما يحصل بالطاعة وترك المعصية والإيمان، وأما قوله: إن الثاني يكون بالشرك والمعاصي؛ فهو خطأ لأن الثاني حسب عبارته هو: (تجنب سخط الله)، ومعلوم أن تجنب سخط الله يحصل بالطاعة وهذا هو مراد المؤلف ولكنه أخطأ في العبارة فالذي يحصل بالشرك والمعاصي هو سخط الله وليس هو تجنب سخط الله فليتأمل والله أعلم.

## الموضع الرابع والثلاثون :

قول تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيْنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الْسُّحْتَ لَيَسَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية ص ٥٤٧ من الجزء الأول من تفسيره: الريانيون هنا العباد المربيون كمشايخ التصوف عندنا والأحبار العلماء.

قلت: تفسير المؤلف - وفقه الله - للريانيين بمشايخ التصوف غير سليم ، ولا بأس بنقل كلام بعض المفسرين السائرين على نهج السلف الصالح ليتبين المراد.

قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٧٤: الريانيون هم العلماء العمال، أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط.

وقال الإمام البغوي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٤٩: لو لا : هلا، ينهاهم الريانيون والأحبار - يعني العلماء - قيل الريانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود .

وقال الإمام ابن حجر الطبراني، يرحمه الله، في تفسيره ص ٦٢٩٨: يقول، تعالى ذكره، : هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان وأكل الرشا في الحكم من اليهود من بني إسرائيل، ربابتهم؛ وهم أئمتهم المؤمنون وساستهم؛ العلماء بسياستهم، وأحبارهم وهم علماؤهم وقادتهم.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٣١٥: الجزء الثاني.

أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدرون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة، عن المعاصي التي تصدر منهم؛ ليزول ما عندهم من الجهل وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبيتوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر.

فتبين أنه لا وجه لتأويل الريانيين بمشايخ التصوف كما ترى في نقل كلام أئمة المفسرين، ولعل في تفسير الريانيين بمشايخ التصوف حملأ للآلية على مالا تتحمله، وصرفاً لآيات الكتاب العزيز عن مراد الله بها، كما أن في هذا المسلك فتحاً لأبواب التأويل المذموم التي تدخل منها الفرق الضالة المنحرفة عن الصواب، فترى أن في القرآن دليلاً يؤيد مذاهبها المنحرفة وعقائدها الضالة مع براءة كتاب الله من هذه المزاعم، فالله المستعان.

### **الموضع الخامس والثلاثون :**

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَمَّا مُهِمَّهُنَّ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قال المؤلف ص ٤٧ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات، قال : الموت خير للعبد من الحياة؛ لأنه إن كان صالحاً فالآخرة خير له من الدنيا، وإن كان غير ذلك حتى لا يزداد إثماً فيوبق بكثرة ذنبه .

قلت: إطلاق القول بأن الموت خير للعبد من الحياة غير مقبول؛ بل قد ورد في السنة ما يدل على أن الحياة خير من الموت سواء كان العبد محسناً أو مسيئاً ففي صحيح البخاري ص ١٢٧ / ١٠: عن أبي هريرة رض قال: سمعت رسول الله صل يقول : لمن يدخل أحداً عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاريوا، ولا يتمنى أحدكم الموت؛ إما محسناً فلعمله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعمله يستعتب.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني، يرحمه الله، في الفتح : ص ١٣٠ / ١٠:

وفيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به، هو انقطاع

العمل بالموت؛ فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل يحصل به زيادة الشواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال. ولا يرد على هذا أنه يجوز أن يقع الارتداد، والعياذ بالله تعالى، عن الإيمان لأن ذلك نادر. والإيمان بعد أن تختلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وعلى تقدير وقوع ذلك – وقد وقع نادراً – فمن سبق له في علم الله سوء الخاتمة فلا بد من وقوعها طال عمره أو قصر.

وقد ورد حديث في صحيح مسلم ص ١٧/٨ : مع النووي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يتمن أحدكم الموت ولا يدْعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً".

قلت: يتضح من هذه الأحاديث مع كلام الحافظ ابن حجر، يرحمه الله، عليها، عدم سلامة إطلاق القول بأن الموت خير من الحياة؛ بل دلت السنة على عكس هذا وهو أن الحياة خير من الموت للمؤمن، والعلة في ذلك هو ما ورد في حديث أبي هريرة الثابت في صحيح البخاري من قوله: إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً، فكما ورد في الحديث المتقدم، فلعله أن يستعتب؛ ومعنى يستعتب، كما في فتح الباري ص ١٢٠/١٠: أي يرجع عن موجب العتب عليه.

### **الموضع السادس والثلاثون:**

قوله تعالى: ﴿فَامَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْصَمُوا بِرِّهِ فَسَيِّدُ خَلْقِهِمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]. قال المؤلف في ص ٤٩١ من الجزء الأول من تفسيره، (في رحمة منه): الجنة.

قلت: تأويل الرحمة بالجنة مخالف لما عليه أهل السنة؛ فدخول الجنة من مقتضيات الرحمة ولو الزمها، وعلى هذا دار تفسير السلف لهذه الآية قال الإمام ابن جرير في تفسيره ص ٦٤٠:

فسيدخلهم في رحمة منه وفضل: يقول فسوف تناولهم رحمته التي تنجيهم من عقابه وتوجب لهم ثوابه ورحمته وجنته، ويلحقهم من فضله ما لحق أهل الإيمان به والتصديق برسله.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره ص ١/٥٩٢ (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل): أي: يرحمهم؛ فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢/٢٣٠: فسيدخلهم في رحمة منه وفضل: أي فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوابات ويدفع عنهم البليات.

قلت: ولا يشك المؤمنون أن الجنة من أعظم آثار رحمته تعالى ولوازمتها التي يمنحها لعباده المؤمنين، ويتفضل بها عليهم، ولكن المأخذ على المؤلف هو حصره الرحمة بالجنة، ومن رحمته تعالى لأهل الجنة قريهم عنده تعالى؛ قال عز وجل: **فِي مَقْعَدٍ صِدِّيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِرٍ**، ومن رحمته تعالى لهم رؤيته تبارك وتعالى؛ فقد ثبت أن أهل الجنة لا يعدون شيئاً من النعيم فوق ذلك. والله أعلم.

## الموضع السابع والثلاثون :

قوله تعالى: ﴿رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال المؤلف: في ص ٦٥٧ من الجزء الأول من تفسيره: ومن مظاهر حكمته وعلمه إدخال أهل الكفر والمعاصي النار أجمعين الإنس والجن سواء.

قلت: لا تخلو عبارة المؤلف من إجمال يتربّ عليه إيهام أن الكافر يتساوی هو والعاصي، وهذا غير مسلم؛ فال العاصي معصية دون الشرك لا يجزم بدخوله النار، وإن دخلها بذنبه فإن الله سبحانه يخرجه منها برحمته بعد تطهيره بعذاب في النار الله أعلم بقدرته. وقد جرى توضيح هذا المعنى وتفصيله عند الكلام على تفسيره المؤلف لقوله تعالى:

﴿...يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ...﴾ وهي الآية الأربعون من سورة المائدة بما يغني عن إعادتها هنا. فالله أعلم.

### الموضع الثامن والثلاثون:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ، بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَن ذُرِّيَّ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال المؤلف ص ٩٢ من الجزء الأول من تفسيره: مشروعية ولادة العهد بشرط ألا يعهد إلا إلى من كان على غاية من الإيمان والعلم والعمل والعدل والصبر.

قلت: العهد المشار إليه في الآية ليس هو ما ذكره المؤلف؛ فقد ذكر المفسرون معناه، فقال الإمام ابن حجر الطبرى، يرحمه الله، في تفسيره : ص ١٥٣ :

هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماماً يقتدي به أهل الخير، وهو من الله جل ثناؤه جواب لما توهם في مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله، فأخبر إنه فاعل ذلك إلا بأهل الظلم منهم فإن مصيره غير ذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده بالتكرمة بالإمامية؛ لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص: ١٣٦.

لا ينال عهدي الظالمين : أي لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه وضرها وحط قدرها؛ لمنافاة الظلم لهذا المقام فإنه مقام آلته الصبر واليقين، و نتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام.

وقال الإمام أبو محمد البغوي في تفسيره ص ١١٢ :

ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامية من كان ظالماً من ولدك، وقيل أراد بالعهد: الأمان من النار، وأراد بالظلم: المشرك كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِمْنَوا وَلَمْ يَكُنُوا لِيَمْنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ...﴾ [الأنعام: ٨٢].

### الموضع التاسع والثلاثون :

قوله تعالى: ﴿... وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. قال المؤلف في ص ٥٨٤ في الجزء الأول من تفسيره: العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده. الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه؛ فيدخل المشرك النار والموحد الجنة.

قلت: مما يزيد معنى هذه الآية وضوحاً قول الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢/١٢١:

وقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عز وجل فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبرير من النصاري، الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداء وصاحبة ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب؛ في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يردها.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢/٣٦٨: (وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ): أي فمفقرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة لا كمن يغفر عن عجز وعدم قدرة.

وقد جرى شرح معنى الأسمين الكريمين من أسماء الله الحسنى، وإيضاح دلالتهما في عدة مواضع من هذه التبيهات؛ منها عند الكلام

على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْجَيْدُ﴾ في سورة الأنعام، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في الآية الأولى من سورة الحديد وفي موضع آخر غيرها بما يغني عن إعادة القول فيه.

## الموضع الأربعون:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]. قال المؤلف ص ٥٩٢ من الجزء الأول من تفسيره: وهو السميع لأحوال عباده وسائل مخلوقاته، العليم بأفعالهم الظاهرة والباطنة؛ ولذا لا يسأل عما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قلت: يتحدد الكلام على تفسير المؤلف بوجهين:

**الأول:** قوله وهو السميع لأحوال عباده وهذا خطأ في التعبير؛ فمتعلق السمع هو الأقوال وليس الأحوال فالصحيح أن يقال: وهو السميع لأقوال عباده.

**الثاني:** قوله ولذا لا يسأل عما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فهذه العبارة يظهر معناها للمتأمل ولكنها عبارة ركيكة وغير محررة؛ فلعله يقصد أن يقول: ولذا لا يسأل عما يفعل ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فأسقطت الكلمة من الجملة وبسبب إسقاطها اضطررت العبارة وأصبحت لا تدل على المراد منها، وكثيراً ما يرد مثل هذه العبارة ولعل السبب في ذلك أن الكتاب لم يراجعه مؤلفه عند الطباعة ولم يخضع لتصحيح عند نشره .

وقد سار على التفسير الصحيح الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره فقال ص ٢/١٢٥: وهو السميع العليم : أي السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم. وقال الإمام ابن جرير الطبرى، يرحمه الله، في تفسيره ص ٧/١٥٨: وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه؛ من ادعائهم له شريكاً وما يقول غيرهم من خلاف ذلك ، العليم بما

يضمرونه في أنفسهم، وما يظهرونه بجوارهم لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو يحصيه عليهم ليوفى كل إنسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل، ومما يوضح معنى هذين الأسمين الكريمين من أسماء الله الحسنى قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، يرحمه الله، في تفسيره

ص ٢٧٩ :

السميع : لجميع الأصوات على اختلاف اللغات بتقنين الحاجات.  
العليم: بما كان وبما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون،  
المطلع على الظواهر والبواطن.

## الموضع الواحد والأربعون :

قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكَرُوا فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ الْأَخْرَى ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قال المؤلف في ص ٤١٨ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على ما تهدي إليه الآيات: وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وولاة المسلمين من حكام وعلماء وفقهاء؛ لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وطاعة الوالي من طاعة الرسول ﷺ؛ لحديث "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني".

قلت: الكلام على وجوب طاعة الله ورسوله طاعة مطلقة، والتفصيل فيما عداها، وأن طاعة العلماء وغيرهم مقيدة بما إذا كان ما أمروا به متماشياً مع الكتاب والسنة - الكلام على ذلك قد جرى عند التبيه على تفسير المؤلف لقوله عز وجل: ﴿ ... وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضْلُّونَ بِآهَوَيْهِمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ ... ﴿الأنعام: ١١٩﴾ [١١٩] <sup>(١)</sup> وقد تم هناك نقل كلام الشيخ صالح بن فوزان الفوزان وهو كلام مفيد مؤيد بالأدلة من الكتاب والسنّة، والنصوص عن بعض علماء السلف بما يحدد معنى الطاعة التي طلبها الله منا. والله أعلم.

## الموضع الثاني والأربعون :

قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

قال المؤلف في ص ٣٧٠ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هذه الآية، قال: علیماً حكیماً: علیماً بخلقه وما يصلح لهم، حكیماً في تصرفه في شئون خلقه وتدبیره لهم.

قلت: ما ذكره المؤلف هو من دلالة هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله الحسنة وهما: (العلیم، والحكیم)، ولكن دلالتهما أوسع من ذلك، وقد جرى ذكر شيء من معنى اسمه تعالى (الحكیم) عند الكلام على تفسير المؤلف للآية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام. كما جرى بيان شيء من ذلك عند الكلام على تفسيره للآية الأولى من سورة الحديد، وجرى نقل كلام العلماء من أهل السنة والجماعة بما يوضح هذا الاسم الشريف.

واما اسمه تعالى (العلیم) فقد شرحه علماء السلف؛ ومن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ٥/٦٢١: العلیم الخبیر: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحبات والممکنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفي عليه شيء من الأشياء.

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان في كتابه (الکواشف الجليلة عن معانی الواسطیة) ص ٨٢:

(١) انظر الموضع السابع والعشرين

صفة العلم: وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَكِبُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُثْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يُعْلِمُهُ...﴾ [فاطر: ۱۱]، [فصلت: ۴۷].

وقوله: ﴿...لَيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ۱۲]..

في هذه الآيات دليل على إثبات صفة العلم وهي من الصفات الذاتية، وعلمه سبحانه شامل لكل شيء محيط به؛ فـيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علمًا بالذى في الكون من سر و من إعلان  
ويكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان  
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجد في ذا الآن  
في الآية الأولى إثبات علم الله؛ فهو سبحانه يعلم ما يدخل في الأرض من المياه والكنوز والأموات والبذور والوحش والأوادم في الكهوف وغير ذلك، ويعلم ما يخرج منها من نبات ومعادن ومياه وأموات وأبخرة وغير ذلك، ويعلم ما ينزل من السماء من ملائكة وأمطار ومصائب وحر وبرد وغير ذلك، وما يعرج فيها من حفظة وأعمال.

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، يرحمه الله تعالى، في كتابه: (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول) في التوحيد

ص ۱۹۸ ج ۱:

ومما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبتته له رسول الله ﷺ: أنه عليم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات، وهو من صفاته الذاتية.

وعلمه أزلی بـأزلیته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق، وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وأجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار؛ وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم؛ أين تقع ومتى تقع وكيف تقع، كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع، لا تخفي عليه منهم خافية؛ سواء في علمه الغيب والشهادة، والسر والجهر، والجليل والحقير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة.

### **الموضع الثالث والأربعون:**

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال المؤلف في ص ٢٥٥ من الجزء الأول من تفسيره: تحبون الله لكمال ذاته وإنعامه عليكم.

يحببكم الله: لطاعتكم إياه وطهارة أرواحكم بتقواه.

قلت: يقتضي الأمر زيادة إيضاح معنى الآية ولا سيما ما يتعلق بمحبة الله للعبد، ومما يوضح ذلك قول الإمام ابن كثير في تفسيره ص ١/٣٥٨ : هذه الآية حاكمة على كل من أدعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوى في جميع أقواله وأفعاله؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، ولهذا قال: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول كما قال بعض الحكماء (ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، في كتابه: (طريق الهررتين

وباب السعادتين) ص ١٦١: وهو سبحانه يحب رسليه وعباده المؤمنين ويحبونه؛ بل لا شيء أحب إليهم منه ولا أشوق إليهم من لقائه، ولا أقر لعيونهم من رؤيته، ولا أحظى عندهم من قريه، وأنه سبحانه له الحكمة البالغة في خلقه وأمره وله النعمة السابقة على خلقه، وكل نعمة منه فضل، وكل نعمة منه عدل، وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأنه أفرح بتوبة عبده من واحد وجد راحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقدها واليأس منها، وأنه سبحانه لم يكلف عباده إلا وسعهم وهو دون طاقتهم؛ فقد يطيقون الشيء ويسقط عليهم بخلاف وسعهم، فإنه ما يسعونه ويسهل عليهم ويفضل قدرهم عنه، كما هو الواقع، وأنه سبحانه لا يعاقب أحداً بغير فعله ولا يعاقبه على فعل غيره، ولا يعاقبه بترك ما لا يقدر على فعله، ولا على فعل ما لا قدرة له على تركه، وأنه حكيم كريم جواد محسن ودود صبور شكور؛ يطاع فيشكرون ويعصى فيغفر، لا أحد أصبر على أذى سمعه منه، ولا أحب إليه المدح منه، ولا أحب إليه المذلة منه، ولا أحد أحب إليه الإحسان منه.

فهو محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، عليم يحب العلماء من عباده، كريم يحب الكرماء، قوي؛ والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، بري يحب الأبرار، عدل يحب أهل العدل، ستير يحب أهل الحياة والستر، عفو غفور يحب من يعفو عن عباده ويغفر لهم، صادق يحب الصادقين، رفيق يحب الرفق، جواد يحب الجود وأهله، رحيم يحب الرحماء، وتر يحب الوتر، ويحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها ويعقلها ويتشتت عليه بها، ويحمده ويمدحه بها كما في الصحيح عن النبي ﷺ : "لا أحد أحب إليه مدح من الله" ، من أجل ذلك أشى على نفسه، ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر

من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وفي حديث آخر صحيح: (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله) يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم؛ ولحبيته لأسماءه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق، والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت، ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصفه بها ظلم؛ إذ لا تليق به هذه الصفات، ولا تحسن منه لمناقاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ريبة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحده، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر فإنها لا تنافي في العبودية؛ بل اتصف العبد بها من كمال عبوديته؛ إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج من دائرة العبودية.

والمقصود أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال تترى عن كل نقص، له كل ثناء حسن، ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يشى عليه إلا بأكمل الثناء، وهو المحمود المحبوب المعظم ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقه، وعلى كل ما أمر به وشرعه.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية، أيضاً، في كتابه: (مفتاح دار السعادة) ص ١/٣٥٦:

فمنها - أي من حكمته تعالى - أنه سبحانه يحب التوابين؛ حتى إنه من محبته لهم يفرح بتوبة أحدهم أعظم من فرح الواحد يجد راحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض الدوية المهلكة إذا فقدها وأيis منها، وليس في أنواع الفرح أكمل ولا أعظم من هذا الفرح؛ ولو لا المحبة التامة

للتوبة وأهلها لم يحصل هذا الفرح .

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره ص ٤٥١ توضيحاً لاسمه تعالى (الحكيم): حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شئونه.

### الموضع الرابع والأربعون:

قوله تعالى: ﴿... سَيَجْزِيهِمْ مَا صَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

قال المؤلف في ص ٦٦٥ من الجزء الأول من تفسيره: أي سيثبّتهم على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب إنه حكيم في قضائه، علیم بعباده. قلت: يقتضي المقام إيضاح الاسمين الكريمين من أسماء الله الحسنى وهما (حكيم) و(علیم).

فقد أوضحهما مفسرو السلف بأوسع مما ذكره المؤلف، قال الإمام ابن جرير الطبرى ، يرحمه الله ، في تفسيره ص ٨٠/٨: وأما قوله: إنه حكيم علیم؛ فإنه يقول جل شأوه: إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه ، حكيم في سائر تدبیره في خلقه ، علیم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم.

وقال الإمام الحافظ ابن كثير ، يرحمه الله ، في تفسيره ص ٢٠١/٢: إنه (حكيم) أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، (علیم) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء ، وقد تم الكلام على هذين الاسمين الشريفين من أسماء الله الحسنى ، وبيان بعض ما يدلان عليه من صفات الكمال والجلال الثابتة لله تعالى من عدة مواضع من هذه التبيهات؛ منها عند الكلام على تفسير المؤلف للآلية الحادية عشرة من سورة النساء ، وعند تفسيره للآلية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام ، وعند الكلام على تفسيره للآلية الثالثة عشرة من سورة الأنعام ، وعند التبيه على تفسيره للآلية الأولى من سورة الحديد ، وفي مواضع شتى بما يغنى عن زيادة التفصيل . والله أعلم .

## **الموضع الخامس والأربعون:**

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنَوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

قال المؤلف في ص ٣٢٢ من الجزء الأول من تفسيره عندما أراد أن يفسر هذه الآية: قال تعالى: (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تروه فقد رأيتموه وأنتم تظهرون).

فقد غير المؤلف كلمتين من الآية :

فأبدل (تلقوه) بـ (تروه) وأبدل (تنظرون) بـ (تظهرون) وكان حرياً به، وفقه الله، التثبت في نقل الآية عند تفسيرها، ولكن هذا التثبت والتحري الذي نتمناه لم يحصل؛ فالقارئ لهذا التفسير يرى كثيراً من الآيات وقد غيرت فأبدلت فيها بعض الكلمات، وزيد فيها أو نقص منها، وفي كثير من الموضع تكتب الكلمات موضوعة بين أقواس مما يشعر القارئ أنها قرآن وهي ليست كذلك، وهذا يظهر للقارئ المتأمل.

## **الموضع السادس والأربعون:**

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ... ﴾ [الأنعام: ٦١].

قال المؤلف في ٦١٦ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هذه الآية : وهو القاهر فوق عباده: ذو القهر التام والسلطان الكامل على الخلق أجمعين.

قلت: أشار المؤلف - وفقه الله - إلى القهر المأمور من قوله تعالى (وَهُوَ الْقَاهِرُ). وترك الإشارة إلى الفوقيـة المستـبطة من الآية والثـابتـة لـه عـز وـجل.

وهـذه الآـية من أدـلة أـهل السـنة عـلى إـثـبات العـلوـ، والـفوـقـيـة لـلـه عـز وـجل وـقد ذـكـرـهـاـ الإـمامـ اـبـنـ قـيـمـ الـجـوزـيـةـ فيـ كـتـابـهـ:ـ (ـاجـتمـاعـ الـجيـوشـ الـإـسـلـامـيـةـ

على غزو المعطلة والجهمية) في معرض الاستدلال على إثبات علو الله على خلقه، فنقل في ص ١٧٩: قول الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي، يرحمه الله، في بيان استواء الله سبحانه وتعالى على العرش: قال الله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وقال في آية أخرى: (وسع كرسيه السموات والأرض) وقال: (لعلك حكيم) وقال تعالى: (سبع اسم ربك الأعلى) ، قال أهل السنة: الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه ومن الدليل أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم، وقال عز وجل : (وهو القاهر فوق عباده)، وقال تعالى : (أَمْنَتُم مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمْنَتُم مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ) والدليل على ذلك الآيات التي فيها ذكر نزول الوحي.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية أيضاً في: (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ٢٧٢:

قول الحارث بن أسد المحاسبي : قال وأما قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)، قوله: (وهو القاهر فوق عباده)، (أَمْنَتُم فِي السَّمَاوَاتِ) (إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) فهذه وغيرها مثل قوله (تدرج الملائكة والروح إليه)، (إليه يصعد الكلم الطيب)، هذا يوجب إنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال: (أَمْنَتُم مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) يعني فوق العرش، والعرش على السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء؛ في السماء وقد قال: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) يعني على الأرض؛ لا يريد الدخول في جوفها.

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص ٢٥٣:

وأما كونه فوق المخلوقات فقال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده)،

(يخافون ربهم من فوقهم) إلى أن قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي) وفيه روایة (تغلب غضبي)، رواه البخاري وغيره.

### الموضع السابع والأربعون:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]. عند كلام المؤلف على المعنى العام للأية في ص ٤٦٣ من الجزء الأول قال: وقوله تعالى في ختام الآية: (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليماً) – ثم ذهب يفسرها.

وبهذا يكون قد غير نص الآية المراد تفسيرها، وهي الآية السابعة والعشرون بعد المائة من سورة النساء، وذكر بدلاً منها جزءاً من الآية الخامسة عشرة بعد المائتين من سورة البقرة.

وما فعله المؤلف عند تفسيره لهذه الآية يحصل كثيراً؛ فتجده يذكر نصاً غير النص المراد تفسيره، ثم يذهب يفسره ظاناً أن ما يفسره هو الآية التي كتبت، وليس الأمر كذلك.

### الموضع الثامن والأربعون:

قوله تعالى:

﴿... وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رِّبَكَ طُغِيَّاتٌ وَّكُفَّارٌ ...﴾ [المائدة: ٦٨]. قلت: أثبتت المؤلف هذا الجزء من الآية هكذا: "وليزيدين" به كثيراً منهم ما انزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فزاد كلمة به بين كلمتي (وليزيدين) و(كثيراً) فاقتضى التبيه على ذلك.

## **الموضع التاسع والأربعون:**

قوله تعالى ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقْرٌ ...﴾ [الأنعام: ٦٧]

قال المؤلف في ص ٦١٨ من الجزء الثاني من تفسيره عند تفسيره لهذه الجملة (ولكل نبأ مستقر) فأحاط هذه الكلمات بقوسين فأوهم أن الجميع قرآن؛ مع أن الواو ليست من القرآن وإنما هي إيضاح وتقدير من المؤلف.

## **الموضع الخامسون:**

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ ...﴾ [الأنعام: ٤٦].

قال المؤلف في ص ٦٠٨ من الجزء الأول من تفسيره: (وأخذ سمعكم وأبصاركم) فاسقط لفظ الجلالة فاقتضى التبيه.

## **الموضع الواحد والخمسون:**

قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

أثبت المؤلف هذا الجزء من الآية عند كلامه على معنى الآيات في ص ٦١٤ من الجزء الثاني من تفسيره هكذا: (والله يقص الحق وهو خير الفاصلين). فزاد كلمة (والله) فأوهم بهذا أنها نص من القرآن.

## **الموضع الثاني والخمسون :**

قوله تعالى:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا يُلْقَاءُ اللَّهُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتِهِمُ السَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

عند كلام المؤلف على قوله تعالى (بلقاء الله) في ص ٥٩٩ وص ٦٠٠ من الجزء الأول من تفسيره، لم يسلك منهجاً ثابتاً ففي أثناء كلامه على شرح الكلمات ترك تفسير هذه الجملة من الآية ولم يتعرض لها. ولكنه لما شرح معنى الآيات فسرها هكذا (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله)

أي بالحياة بعد الموت.

فسر المؤلف - حفظه الله - لقاء الله بأنه الحياة بعد الموت، وهذا التفسير لا يتناول معنى اللقاء لا لفظاً ولا معنىًّا .

قلت: هذه الآية من أدلة أهل السنة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيمة، وهم أيضاً يستدلون بجميع الآيات التي فيها هذا اللفظ، وقد ذكر هذا الاستدلال وفصله ووضّحه الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان في كتابه: (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) ص ١٤٣ ج ٢ وما بعدها ونقل كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى، وسوف انقل من كلامه ما يوضح المراد بمعنى اللقاء في هذه الآية ونظائرها من كتاب الله العزيز، قال وفقه الله:

وقد ذُكر لقاء الله في القرآن في أكثر من عشرين موضعًا كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاعْقِبُهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَنَفَصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُونَ ثُوقَنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُلْقَى رَبِّهِمْ لِكَفِرِهِنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ يُكْلِلُونَ شَيْئًا مُحِيطًا﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِيَوْمِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ فَخِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِيَوْمِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ

**أُولَئِكَ يَءِسُوا مِنْ رَّحْمَتِي**

فمن قرأ هذه الآيات ونحوها، مما لم نذكره، مؤمناً بها؛ علم بقيناً أن مضمونها إخبار الله تعالى بأن العبد سيلاقى ربه لقاء يتضمن المحاسبة والكلام والمقابلة والمعاينة والجزاء بالعمل، الذي كان العبد يعمله في الدنيا.

ولم يزل أهل السنة من السلف وإتباعهم يستدلون بمثل هذه الآيات على رؤية الله تعالى؛ فمن أنكر ذلك فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسلك غير سبيل المؤمنين.

والله تعالى جعل التكذيب بلقائه كفراً لا ينفع معه عمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ وَلِقَاءِهِ أُولَئِكَ يَءِسُوا مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمٌ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار، وقال شيخ الإسلام ، يرحمه الله تعالى: (اللقاء): فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والسير. وقالوا إن لقاء الله يتضمن رؤيته – سبحانه وتعالى – واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة من المعتزلة والجهمية وغيرهم .

وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين أحدهما السير إلى الملك، والثاني: معاينته، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا إِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَحًا فَلَمْ يَقِهِ﴾.

فذكر أنه يكدح إلى الله فيلاقيه، والكدح يتضمن السلوك والسير إلى الله واللقاء يعقبهما، وأما المعاينة من غير سير إلى المعاين – كمعاينة الشمس والقمر – فلا يسمى لقاء.

وقول الذين يجعلون المراد من اللقاء وهو الجزاء دون لقاء الله معلوم

الفساد بالاضطرار، بعد تدبر الكتاب والسنة، ويظهر فساده من وجوه أحدها: أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين .

الثاني: أن حذف المضاف إليه لا بد أن يقارنه قرائن تبين ذلك، كما في قوله تعالى: (واسأْل القرية التي كنا فيها) ولو قال قائل : رأيت زيداً أو لقيته، وأراد بذلك أنه رأى غلامه أو أباه أو لقيهما لم يجز ذلك في لغة العرب بلا نزاع.

ولقاء الله تعالى قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة مطلقاً، غير مقترب بما يدل على أنه أريد بلقاء الله بعض مخلوقاته؛ من ثواب وغيره .

الثالث: إن اللفظ إذا تكرر ذكره في الكتاب، ودار مرة بعد مرة على وجه واحد، وكان المراد به غير مفهومه ومقتضاه عند الإطلاق ولم يبين ذلك؛ كان تدليلاً وتلبيساً، يجب أن يصان كلام الله عنه؛ الذي أخبر أنه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وأنه بيان للناس.

وقد عُلم أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، وأنه بين الناس ما نزل إليهم، وأما قول أهل البدع: إن القرينة الدالة على أن لقاء الله غير مراد من هذه النصوص، هو ما في العقل من امتناع ذلك وإحالته، فهم مردود من وجهين:

أحدهما: إنه ليس في العقل ما يمنع ذلك؛ بل البراهين العقلية تتفق مع القرآن كما قال الله - تعالى - (ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربكم هو الحق).

وما يدعوه نفاة لقاء الله ورؤيته من الحجج العقلية، التي تخالف ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليست حججاً، وإنما هي شبكات فاسدة عند من له خبرة جيدة بالمعقولات وإنما تتطلّب على المقلدين.

الثاني : أنه لو فرض أن هناك دليلاً عقلياً ينافي مدلول القرآن لكان خفياً، له مقدمات طويلة متنازع فيها ليس منها واحدة متفق عليها،

والواقع إنها شبكات فاسدة أورثها صدودهم عن كتاب الله.  
ومن الضروري أن الذي أخبر أنه بيان للناس، وأنه هدى ورحمة وشفاء  
وبلاع مبين، إذا أراد بكلامه الموصوف بما ذكر ما ي قوله هؤلاء  
المتكلمون؛ فإنه بعكس تلك الأوصاف فيكون فيه الضلال والبس؛ لأنه  
لا يدل على قولهم.

واتفاق المسلمين على وجوب تزية كلام الله ورسوله من ذلك أمر  
ضروري.

**الوجه الرابع :** في حديث ابن عباس، رضي الله عنهم قول الرسول ﷺ:  
(أنت الحق وقولك الحق، ولقاءك حق والجنة حق والنار حق)، ففرق بين  
لقاءه وبين الجنة والنار.

ومعلوم أن الجنة والنار تتضمن جزاء المطاعين والعصاة؛ فعلم أن لقاء الله  
غير لقاء الثواب والعقاب.

**الوجه الخامس:** ما بينه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة أن العباد سوف  
يلقون ربهم، وقد ذكر البخاري في هذا الباب قليلاً منها مثل حديث  
عدي بن حاتم: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب  
يحجبه ولا ترجمان.

**الوجه السادس :** أنه لو أريد بلقاء الله ما يخلقه من ثواب أو عقاب أو غير  
ذلك لكان ذلك واقعاً في الدنيا والآخرة، كما في عقاب الأمم المكذبة  
ونصر المؤمنين واسعادهم، وقد علم أتباع رسول الله ﷺ أن لقاء الله تعالى  
لا يكون إلا بعد الموت.

كما علموا بطidan قول أهل البدع: أن لقاء الله هو لقاء بعض مخلوقاته،  
وعلى قولهم فليس في اللفظ ما يدل على تعين مخلوق دون مخلوق؛ فإذا  
قالوا إن لقاء الله هو الجنة أو النار، جاز أن يقال بل هو بعض ملائكته  
أو بعض الشياطين أو غير ذلك؛ إذ ليس دلالة اللفظ على تعين هذا بأولى  
من دلالته على تعين هذا مبطل قولهم .

**الوجه السابع :** إن لقاء الله لم يستعمل في لقاء غيره لا حقيقة ولا مجازاً بل وفي المخلوق كذلك فلا يقال: لقيت زيداً وأنت تريد عمراً.

**الوجه الثامن:** النصوص الكثيرة التي تفرق بين لقاء الله وثوابه وجزائه كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَمٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، فلو كان لقاءه هو لقاء جزائه لكان هو الأجر الكريم، ولا يحسن أن يخبر بأنه أعده لهم بعدهما حصل لهم؛ لأنهم لقوه؛ فلقاؤه وسيلة، وإعداد الأجر الكريم مقصود؛ فكيف يخبر بالوسيلة بعد حصول المقصود، ومثل هذا يisan عنه كلام أو سط الناس فضلاً عن كلام رب العالمين، ولا سيما وقد قرن اللقاء بالتحية التي لا تكون إلا في اللقاء.

**الوجه التاسع :** ما في الحديث من قوله ﷺ: (من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، فلو كان لقاء الله هو جزاءه لامتنع أن يحب جزاء عبد ويكره جزاء آخر، والله تعالى لا يكره جزاء عباده بما يستحقون؛ بل يحب ذلك ولا يجزيهم إلا بما يستحقون، والجزاء لا يلقاء الله تعالى، ودلائل بطلان هذا القول لا حصر لها فيكتفى بما ذكر وبذلك يتضح أن معنى قوله ﷺ للأنصار: (اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله) يتضمن معاينتهم لربهم وتتكليمه لهم، ومجازاتهم وتكريمه لهم بمخاطبتهم قبل أن يدخلهم دار النعيم الأبدي.

فهو ﷺ يقول لهم: تسألوا عما فاتكم من الدنيا، مما تستحقونه بما يكون لكم بعد البعث من الموت، عندما تلقون ربكم فيكرمكم بتحيته لكم ومخاطبتكم، ورؤيتكم إياه؛ فذلكم اليوم الذي تسعدون فيه حقاً.

وكذلك تلاقون نبيكم على حوضه الذي من الله به عليه فأكرمه به في الموقف الذي يشتدى فيه الظماء؛ فأنتم أحق من يرد ذلك الحوض؛ فتشربون منه دون معوق أو مكدر، فلا ينالكم بعد ذلك نصب ولا وصب ولا ظماء ولا أذى.

## الموضع الثالث والخمسون:

قوله تعالى:

﴿...وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ، فَيَمْسِطُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ۚ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢١٧].

قال المؤلف في ص ١٦٥ من الجزء الأول من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات: الردة محبطه للعمل فإن تاب المرتد يستأنف العمل من جديد، وإن مات قبل التوبة فهو من أهل النار الخالدين فيها أبداً.

قلت: قال في النهاية ص ١/٧٦ : قال الأزهري: استأنفت الشيء إذا ابتدأته، فمعنى كلام الشيخ أنه يبدأ العمل من جديد، وأن عمله السابق للردة قد حبط ولا يحتسب له ثوابه، وهذا قول، ولكن الصحيح أنه إذا تاب المرتد من ردته أن عمله لا يحيط بل يعود إليه ثوابه. قال الإمام ابن قيم الجوزية ، يرحمه الله ، في الوابل الصيب<sup>(١)</sup> بعد كلام له : والمسألة مبنية على أصل ، وهو: أن الردة هل تحبط العمل بمجردها ، أو لا يحيطه إلا الموت عليها؟

فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روایتان عن الإمام أحمد، رضي الله عنه؛ فإن قلنا تحبط العمل بنفسها؛ فلمتى أسلم استأنف العمل بطل ما كان قد عمل قبل الإسلام، وإن قلنا لا يحيط العمل إلا إذا مات مرتدًا فلمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله، وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة؛ هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يخرج على هذا الأصل. ولم يزل في نفسي من هذه المسألة ولم أزل حريضاً على الصواب فيها، وما رأيت أحداً أشفي فيها، والذي يظهر، والله تعالى أعلم وبه المستعان، ولا قوة إلا به، أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب وهو يظهر

(١) انظر مجموعة الحديث التجديـة ص ٦٨٠ - ٦٨١.

المغلوب، ويكون الحكم له؛ حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلت على العبد الحسنات رفت حسناته الكثيرة سيئاته ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد ثبّري وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات، حتى كأنها لم تكون؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقد سأله حكيم بن حزام، رضي الله تعالى عنه، النبي ﷺ عن عتاقه وصلة وبر فعله في الشرك هل يثاب عليه؟ فقال النبي ﷺ (أسلمت على ما أسلفت من خير)، فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك؛ فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة، فهكذا إذا تاب العبد توبية نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت إليه ثواب حسناته.

يوضح هذا أن السيئات والذنوب هي أمراض قلبية كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عويف من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته، وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط، فالقوية المتقدمة بمنزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة؛ وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبداً؛ لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها، وعود البدن إلى كماله الأول. ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض؛ حتى ربما كان مرضه هذا سبباً لعافيته، كما قال الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالغسل  
فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق، لا إله  
غیره ولا رب سواه. انتهى كلام ابن القيم.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء<sup>(١)</sup> فتوى حول الردة، تتضمن فقرات متفرقة عنها، وُنشرت في كتاب ومما جاء فيها: وليس على المرتد إذا رجع إلى الإسلام أن يقضي ما ترك في حال الردة من صلاة وصوم وزكاة... الخ وما عمله في إسلامه قبل الردة من الأعمال الصالحة لم يبطل بالردة إذا رجع إلى الإسلام؛ لأن الله سبحانه علق ذلك بموته على الكفر، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تَوَلَّ مِنْهُمْ كُفَّارٌ﴾ [البقرة: ٦١]، [آل عمران: ٩١]. وقال سبحانه: ﴿... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتَثِّلْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حِيطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...﴾ [البقرة: ٢١٧] ، أما نذره حال إسلامه فهو باق إذا كان النذر طاعة فعليه أن يويغه به بعد الرجوع إلى الإسلام، وهكذا ما في ذمته من حق لله أو لعباده قبل أن يرتد فهو باق، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآلله وصحبه وسلم.

وإذا تأملنا كلام الإمام ابن القيم، وفتوى اللجنة الدائمة للإفتاء وحول هذا الموضوع يظهر لنا القول الصحيح الذي يؤيده الدليل، وهو أن العمل لا يبطل بالردة إلا إذا مات عليها المرتد وإنما إذا رجع وتاب فلا يبطل عمله. والله أعلم.

#### **الموضع الرابع والخمسون:**

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال المؤلف في ٢٠٢ من الجزء الأول من تفسيره الحي: ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى، وهي مستلزمة للقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام.

قلت: لا مأخذ على كلام المؤلف ولكن يقتضي المقام توضيح دلالة اسمه تعالى (الحي)، وبيان بعض ما يقتضيه هذا الاسم الكريم من

<sup>(١)</sup> انظر فتاوى اللجنة الدائمة جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدوسي.

## أسماء الله الحسنى.

قال الإمام ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، في (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق)، ص ١٨٧: الأصل الثاني أنه سبحانه حي حياة حقيقة، وحياته أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال ونفي ضدادها من جميع الوجوه، ومن لوازم الحياة الفعل الاختياري؛ فإن كل حي فعال، وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل، وكذلك قدرته، ولذلك كان رب، سبحانه، على كل شيء قادر وهو فعال لم يريد، وقد ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال عن نعيم بن حمّاد أنه قال: الحي هو الفعال، وكل حي فعال؛ فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور.

وقد أوضح شيئاً من معنى هذا الاسم الكريم وكل أسماء الله كريمة – أوضح ذلك الإمام ابن جرير الطبرى ، يرحمه الله، تعالى في تفسيره عند كلامه على هذه الآية فقال ص ٥ جزء ٣ :

وإما قوله الحي فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يُحدّ، ولا آخر له يؤمد؛ إذ كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وأخر مأمول؛ ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضى بانقضاء غايتها.

## الموضع الخامس والخمسون:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْمُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال المؤلف في ص ١٠٤ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على هذه الآية: وقد أخبر النبي ﷺ أنها مئة اسم إلا اسمًا، أي: تسعة وتسعون اسمًا وردت مفرقة في القرآن الكريم.... ثم قال:

حرمة تأويل أسماء الله وصفاته وتحريفها كما قال المشركون في الله

اللات، وفي العزيز العزى، سموا بها آلهم الباطلة.

قلت: يلاحظ التبيه على كلام الشيخ وفقه الله من وجوه:

**الأول:** جزمه أن أسماء الله الحسنى كلها قد وردت في القرآن الكريم، فيه نظر<sup>(١)</sup>; فأسماء الله الحسنى منها ما ورد في القرآن العظيم ومنها ما ورد في السنة المطهرة. قال الشيخ ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ١٨١: فالواجب أن يُنظر في هذا الباب؛ أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه وما نفاه الله ورسوله نفينا، والألفاظ التي ورد بها النص يعتضم بها في الإثبات والنفي؛ فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعانى، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعانى. وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد ص ٦٤١: وقد قيل إن الله تعالى ذكرها كلها في القرآن، ولا ريب أن الله تعالى ذكر أكثرها بلفظها وما لم يذكره بلفظه ففي القرآن ما يدل عليه.

**الثاني:** جزمه أن عددها – أي الأسماء الحسنى – تسعة وتسعون اسمًا فهذا أيضًا فيه نظر، ويرده الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأورده الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره ص ٢٦٩/٢: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيديك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميتك به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرجاً. فقيل يا رسول الله أفلأ نتعلمها فقال: بل؛ ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها. فهذا الحديث يتضمن الإشارة إلى أن أسماء الله تعالى غير

(١) ويوجي بعلم ثبوت ما ورد في السنة.

محصورة بهذا العدد وهو التسعة والتسعون، وأن منها ما نعلمه ومنها ما لا نعلمه؛ بل منها ما علمه بعض خلقه ومنها ما استأثر به تعالى. فالله أعلم.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه: تيسير العزيز الحميد ص ٦٤٤: واعلم أن الأسماء الحسنة لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعده، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسلاً كما في الحديث الصحيح: (أسألك بكل اسم هو لك سميته به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهما.

الثالث: لا ينحصر تأويل أسماء الله وصفاته بما حصل من المشركين وأشار إليه المؤلف وهو قولهم في الله اللات، وفي العزيز العزى، فلا شك أن هذا من التأويل الباطل المذموم، ولكن هناك صوراً أخرى، من التأويل: كقول بعض المبتدعة أن الرحمة هي إرادة الإنعام، أو هي الإنعام، وإن الغضب هو الانتقام، أو إرادة الانتقام، وإن السمع هو العلم والبصر هو العلم، وحصر علو الله على خلقه بعلو القهر، ونفي علو الذات، وتفسير مجيء الله بمجيء أمره، ونحو ذلك مما يقع فيه بعض المؤلفين والكتابين قدیماً وحديثاً، وأغلب هؤلاء المؤولين إنما وقعوا فيما وقعوا فيه؛ لأنهم قرروا في أنفسهم أن إثبات الصفات لله تعالى يلزم منه مشابهة الله لخلقه فلجأوا إلى هذا التأويل فراراً من الواقع في التشبيه؛ فلزمهم فيما فروا إليه نظير ما فروا منه وما ذاك إلا لإعراضهم عن الكتاب والسنة وتحكيمها والتحاكم إليهم.

وهناك أمر لا بد من التنبيه عليه وهو أن على المسلم الاتباع للكتاب والسنة؛ ليحصل له بذلك الهدى والصلاح، وألا يكون ذلك وقوع في الفتنة والضلال؛ ومما يوضح ذلك قول الإمام ابن القيم ، يرحمه الله، في (إغاثة اللھفان) ص ١٦٥ ج ٢: والفتنة نوعان فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين،

وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما؛ ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى؛ فهناك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى فقل ما شئت في ضلال سوء القصد الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسول الله ﷺ، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَلَّمَنَ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ﴾ وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿يَنَّدَاوِدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْتَعِي الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والتفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال، ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجرید المتابعة للرسول ﷺ وتحكيمه في دوق الدين وجده، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلاة وأوقاتها وأعدادها ومقدارها تصب الزكاة، ومستحقتها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان ، فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين؛ بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه؛ فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عمما سواه، وزنه بما جاء به الرسول ﷺ فإن وافقه قبله لا تكون ذلك القائل قاله؛ بل موافقته للرسالة، وإن خالفه ردّه، ولو قاله من قاله فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منها، وهذه

الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهو متبوع، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة.

### الموضع السادس والخمسون:

قوله تعالى: ﴿...إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال المؤلف في ص ١٥٢ من الجزء الثاني من تفسيره : إنه عزيز : أي غالب على أمره، حكيم في فعله وتدبر أمور خلقه.

قلت: ورد في هذا الجزء من الآية أسمان كريمان من أسماء الله الحسنى وهما (العزيز) و(الحكيم) وقد بين المؤلف معناهما فذكر بعض دلالتهما، ولم يذكر معناها كاملاً، فمعنى العزيز كما قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ٥/٦٢٤ :

العزيز: الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزيمة الغلبة وعز الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهـر جميع الموجودات، ودانـت له الخليقة وخضـعت لـعـظمـتـه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في الفتاوى ص ١٤/١٨٠ : والعزة تتضمن: القدرة، والشدة، والامتناع، والغلبة، تقول العرب: عـزـ يـعـزـ بفتح العين إذا صلب، وعز يـعـزـ بـكـسـرـهاـ إذا امتنع، وعز يـعـزـ بـضـمـهاـ إذا غـلـبـ: فهو سبحانه في نفسه قوي ومتين وهو منيع لا يـنـالـ، وهو غالب لا يـغـلـبـ.

وإما اسمه تعالى (الحكيم) فيوضحـهـ قولـشـيخـالـإـسـلامـابـنـتـيمـيـةـ فيـ الفتـاوـىـ صـ ١٤/١٨٠ـ:ـ وـالـحـكـمـ يـتـضـمـنـ حـكـمـهـ وـعـلـمـهـ وـحـكـمـتـهـ فـيـماـ يـقـولـهـ وـيـفـعـلـهـ،ـ إـذـاـ أـمـرـ بـأـمـرـ كـانـ حـسـنـاـ،ـ وـإـذـاـ أـخـبـرـ بـخـبـرـ كـانـ صـدـقاـ،ـ وـإـذـاـ أـرـادـ خـلـقـ شـيـءـ كـانـ صـوـابـاـ؛ـ فـهـوـ حـكـيمـ فـيـ:ـ إـرـادـتـهـ،ـ وـأـقـوالـهـ،ـ وـأـفـعـالـهـ.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره ص ١/١٨٤ :

الحكيم: في أفعاله، وأقواله؛ فيوضع الأشياء في محلها لعلمه وحكمته وعدله.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ٦٢١/٥:

الحكيم : وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه، وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُؤْتَنُونَ﴾، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعيه وفي قدره، وفي جزائه، والحكمة وضع الأشياء مواضعها وتزييلها منازلها.

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان في الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ١٠٩:

الحكيم: مأخوذ من الحكمة وله معنيان: أحدهما بمعنى القاضي العدل الحاكم بين خلقه بأمره الديني الشرعي وأمره الكوني القدري، وله الحكم في الدنيا والآخرة.

والمعنى الثاني: أن المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، قال ابن القيم: الحكمة حكمتان: علمية وعملية؛ فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبياتها؛ خلقاً وأمراً وقدراً وشرعاً، والعملية: وضع الشيء في موضعه.

وحكمة سبحانه صفة قائمة به كسائر صفاته من سمعه وبصره ونحو ذلك، وهي تنقسم إلى قسمين: إحداهما: حكمة في خلقه وهي نوعان الأول: إحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان، والثاني: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه، التي أمر لأجلها وخلق لأجلها.

الثانية: الحكمة في شرعيه وتنقسم إلى قسمين: الأول: كونها في غاية الإتقان والإحسان، الثاني: كونها صدرت لغاية مطلوبة، وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد. إهـ

وللإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية كلام عن حظ العبد من شهوده حكمة الله قال ، يرحمه الله ، في مدارج السالكين ص ٤١٠ :  
وأما حظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة؛ فبحسب استعداده وقوته بصيرته وكمال علمه ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته ومعرفته بحقوق العبودية والريوبانية. وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم، ومقام لا يتعداه ولا يتخطاه والله الموفق والمعين.

### الموضع السابع والخمسون:

قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

قال المؤلف في ص ١٥٨ من الجزء الثاني من تفسيره: عليم: بخلقه-حكيم: في صنعه وتدبيره.

قلت: تضمنت هذه الجملة من الآية اسمين كريمين من أسماء الله الحسنى وهما (عليم) و(حكيم).

وقد فسرهما المؤلف ببعض ما يدلان عليه، فقصر العلم على (الخلق) والحكمة على (الصنع والتدبير)، وما ذكره هو بعض دلالة هذين الأسمين الكريمين، وقد جرى إيضاح دلالة هذين الأسمين الشريفين من أسماء الله الحسنى في عدة مواضع من هذه التبيهات؛ فمن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره العليم الخبير: وهو الذي أحاط علمه بالظاهر والبواطن والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحبات والممکنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

وأما اسمه تعالى (الحكيم) فقد أوضحت معناه في مواضع شتى من هذه التبيهات، ومن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: الحكيم وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحَسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ فلا يخلق شيئاً عبثاً ولا يشرع شيئاً

سدى الذي له الحكم في الأولى والآخرة وله الأحكام الثلاثة ولا يشاركه: فيها مشارك؛ فيحكم بين عباده في شرعه وقدره وجراه، والحكمة وضع الأشياء في مواضعها، وتزييلها ومنازلها.

### الموضع الثامن والخمسون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا...﴾ [الأنفال: ٧٢] .

قال المؤلف في ص ١٦٠ من الجزء الثاني من تفسيره: آمنوا: صدقوا الله ورسوله، وأمنوا بقاء الله وصدقوا بوعده ووعيده.

قلت: الإيمان الشرعي لا ينحصر في التصديق؛ بل الإيمان هو: قول وعمل واعتقاد، وكما يعبر عن ذلك بعض أهل السنة بقولهم: الإيمان : قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وقد تم تقرير ذلك عدة مرات؛ منها عند تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا آمَنَّا﴾.

وقد جرى هناك نقل كلام أبي عبيد القاسم بن سلام وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك كلاماً الشيخ صالح بن فوزان، وكله يدور على تقرير أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

ولا يخفى أن تفسير الإيمان بالتصديق قد يفهم منه البعض أن المؤلف قد أخذ بقول الذين لا يرون العمل من الإيمان؛ بل يرون أن الإيمان هو التصديق فحسب، وذلك بسبب الإجمال الذي سار عليه المؤلف وأتسمت به عبارته؛ بل إنه، مع ذلك، قد صرخ في بعض المواقع بأن الإيمان الشرعي هو التصديق، فيؤول الأمر إلى أن يفهم عن المؤلف ما لم يقصده بسبب قصور العبارة فاقتضى الأمر الإيضاح . والله المستعان.

## الموضع التاسع والخمسون:

قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٤٠].

قال المؤلف ص ١٩١ من الجزء الثاني من تفسيره: والله عزيز: غالب لا يغالب، حكيم في تصرفه وتدبيره.

قلت: لاشك أن ما ذكره المؤلف لتوضيح هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله الحسنى - ما ذكره هو من معانيهما، ولكنه لا يخلو من قصور عن الدلالة الكاملة للاسمين الكريمين (العزيز) و(الحكيم).

ومما يوضح معنى اسمه تعالى (العزيز) قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ٥/٦٢٤:

العزيز: الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزيمة الغلبة، وعززة الامتناع . فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة ، وخضعت لعظمته.

وأما اسمه تعالى (الحكيم) فقد جرى شرحه وإيضاح معناه في عدة مواضع، ومما يوضح قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره: ص ٥/٦٢١:

الحكيم: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحَسَنَ مِنَ اللَّهِ حِكْمَاتِهِ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾.

فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة قوله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعيه، وفي قدره، وفي جزائه.

وقد جرى الكلام على هذين الاسمين وبيان دلالتهما، وإيضاح معناهما عند التبييه على تفسير المؤلف للأية الثالثة والستين من سورة الأنفال وعند التبييه على تفسيره للأية الأولى من سورة الحديد. والله أعلم.

## الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

قال المؤلف في ص ٥١٤ من الجزء الثاني من تفسيره: أي وأصل العبادة وهي الطاعة، في غاية الذل والخضوع لله تعالى، حتى يأتيك اليقين.

قلت: ما ذكره المؤلف معنى للعبادة وهو: الذل والخضوع، هو جانب من جانبي العبادة، فهو أحد ركنيها؛ فالعبادة تشمل الحب لله تعالى، والذل له عز وجل .

قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ١٢٥: والعبادة في اللغة من الذلة؛ يقال طريق معبد، وبغير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع عبارة مما يجمع المحبة والخضوع والخوف.<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في (قرة عيون الموددين) شرح كتاب التوحيد ص ٩: قالشيخ الإسلام: والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وقال أيضاً : والعبادة: اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته؛ فالحب الخالي عن ذل، والذل الخالي عن حب لا يكون عبادة؛ وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين.

وقالشيخ الإسلام ابن تيمية في: (قاعدة في المحبة) ص ٩٨: والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل؛ فالعبد محب خاضع بخلاف من يحب من لا

<sup>(١)</sup> وقد نقل الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً يتضمن اشتراط وجود الحب والخوف معاً في العبادة فقال، يرحمه الله، في التحفة العراقية ص ١٠٠: وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء؛ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد؛ وذلك لأن الحب مجرد تبسيط النفوس فيه حتى تتسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله، حتى قالت اليهود والنصارى (نحن أبناء الله وأحباؤه). ويوجد في مدعى المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية، ولهذا قرن الخشية بها في قوله : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أُوَّبٍ حَفِظِرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْثِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّبِينٍ .

(هذا الہامش غير موجود في صورة المخطوط الذي بين يدي) (المراجع)

يخضع له؛ بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه؛ كما يخضع للظلم فإن كلام من هذين ليس عبادة محضة.

وقال الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد، يرحمه الله، في كتابه (التبنيات السنوية على العقيدة الواسطية) ص ١١٠: ولل العبادة ثلاثة أركان وهي: المحبة؛ والخوف؛ والرجاء.

قلت: اتضح أن العبادة لا تقتصر على الذل، الذل هو الخوف فحسب؛ بل مع ذلك الحب لله تعالى، والرجاء له عز وجل.

وقد تم نقل كلام أهل العلم الذي يقرر ذلك ، فالحمد لله.

### **الموضع الواحد والستون:**

قوله تعالى: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَّدْعُونَ﴾ [النحل: ١٣].

قال المؤلف في ص: ٥٢٠ من الجزء الثاني من تفسيره: إن في ذلك الخلق العجيب لآية، أي: دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل، ووجوب عبادته وترك عبادة غيره.

قلت: مقتضى كلام المؤلف أن هذا تدليل على وجود الله، وقد جرى التقرير عدة مرات أن القرآن جاء لإثبات الإلهية والأسماء والصفات، وليس لإثبات وجود الله؛ فوجوده تعالى معترف به عند الكفار كما دلت على ذلك نصوص القرآن.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ، يرحمه الله، في كتابه: (الفوائد) ص ١٢٠: وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهذا لم ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم .

وقال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢/٥٦٤: إن في ذلك آيات لقوم يعقلون، أي: لدلائل على قدرته، تعالى، الباهرة، وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه.

وقد أشار الإمام القرطبي ، يرحمه الله، في تفسيره إلى ما تدل عليه هذه

الآية بالدرجة الأولى، وهو: الوحدانية، فقال ، يرحمه الله، في ص ٨٥/١ من تفسيره: إن في ذلك: أي اختلاف ألوانها - لآية، أي: لعبرة لقوم يذكرون، أي: يتعظون ويعلمون أن تسخير هذه المكونات لعلمات على وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقدر على ذلك أحد غيره .

قلت: فتعين أن ما تدل عليه هذه الآية، ونظائرها من الآيات من كتاب الله المجيد هو إثبات توحيد الله في الإلهية والأسماء والصفات، وليس المقصود بها الدلالة على وجود الله، فهذا من الأشياء المعلومة عند المؤمن والكافر، فهو أمر يعترف به المؤمنون والكافرون، وإنما مقصود القرآن وهدفه الأول هو تقرير الإلهية لله تعالى وحده، وإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، كما جرى تقرير ذلك عند الكلام على تفسير المؤلف لعدد من الآيات.

### الموضع الثاني والستون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [يونس: ٣].

قال المؤلف في ص ٢٥٦ من الجزء الثاني من تفسيره: ثم استوى على العرش، أي: استواء يليق بذاته عز وجل فلا يقال كيف.

قلت: الاستواء عند أهل السنة يطلق على أربعة معاني هي: الاستقرار، والعلو، والارتفاع، والصعود، ولا شك أن هذه المعاني على ما يليق بجلال الله وعظمته، قال الإمام ابن القيم في قصيده:

فأ لهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان  
 وهي استقر وقد علا و كذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران  
 وكذلك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشبياني  
 يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن  
 وقد نقل شارح هذه القصيدة في كتابه: (توضيح المقاصد والقواعد) في

شرح قصيدة الإمام ابن القيم أقوال بعض العلماء في معنى الاستواء و منها : حكى الفراء عن ابن عباس : ثم استوى : صعد وعن مقاتل والكلبي ، استوى على العرش : استقر ، وقال أبو عبيدة استوى على العرش صعد . وقال الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد في كتابه : (التبيهات السنوية على العقيدة الواسطية) ص ١٢٩ : أما معنى الاستواء في اللغة فله أربعة معان تأتي بمعنى : علا ، وبمعنى : ارتفع ، وبمعنى : صعد ، وبمعنى : استقر . وقال الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض في كتابه : (الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية) ص ١٣٢ : والاستواء صفة فعلية ومعنى الاستواء : العلو ، والارتفاع ، والاستقرار ، والصعود . وفسر الشيخ محمد على الصابوني الاستواء بقوله : استواء يليق بجلالة من غير تكيف ولا تمثيل : فقال الشيخ صالح الفوزان في تعقيباته وملاحظاته عليه : وقد كرر هذه العبارة على جميع آيات الاستواء السبع ومعناها التفويض؛ حيث لم يفسر الاستواء بما فسره به السلف من أنه العلو والارتفاع مع تفويض الكيفية وهذه طريقة الأشاعرة المفوضة منهم .

قلت : جميع ما تقدم من النقول يدور على أن معاني الاستواء أربعة وهي : الاستقرار ، والصعود ، والعلو ، والارتفاع ، وأن التعبير بعبارة : استواء يليق بجلاله بدون زيادة إيضاح هو من قبيل التفويض المردود عند علماء أهل السنة والجماعة .

### **الموضع الثالث والستون :**

قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِي بِإِهْلِكَ يُقْطِعُ مِنَ الْيَلِ وَأَتَّبِعَ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَمَضُوا حَيْثُ تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحجر : ٦٥] .

قال المؤلف ص ٥٠٧ من الجزء الثاني من تفسيره لهذه الآيات : كراهة الإشفاق على الظلمة الهمالكين ; لقوله ولا يلتفت منكم أحد أى بقلبه .

قلت : حصر الالتفات بالتفقات القلب فيه نظر ؛ فقد أجرى الالتفات

على ظاهره الإمام ابن كثير في تفسيره ص ٢٥٤، فقال: أي إذا سمعتم الصيحة بال القوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال؛ فالالتفات حسي.

وقال الإمام الطبرى في تفسيره ص ٤٢: ١٤  
وسر خافهم وهم وراءك ولا يلتفت منكم وراءه أحد.. ثم حكى عن مجاهد قوله : لا يلتفت منكم أحد، أي: لا ينظر وراءه أحد.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره ص ٣٨: ١٠  
ولا يلتفت منكم أحد: نهوا عن الالتفات ليجدوا السير، ويتبعوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح، وقيل المعنى: لا يتخلف.

قلت: فتفسير هؤلاء الأئمة من المفسرين للالتفات كله جار على معناه الظاهر، وليس منهم من حصر الالتفات بالتفات القلب؛ فوجب السير على الظاهر؛ إذ لا صارف عنه، والله أعلم.

#### الموضع الرابع والستون:

قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [الرعد: ٢].  
قال المؤلف في ص ٤٣٧ من الجزء الثاني من تفسيره: وقوله تعالى : (الله الذي رفع السموات والأرض بغير عمد ترونها).

قلت: قد زاد المؤلف هنا عبارة (والأرض) ونسبها إلى القرآن مقدماً لها بعبارة (وقوله تعالى)، وقد أحاطها بقوسين؛ مما يشعر بأنها نص من القرآن العظيم، مع أن النص هو جزء منها، وقد سار على هذا المسار في كثير من المواقع بنسبة أجزاء من كلامه إلى كتاب الله، ولا شك أن هذا من باب السهو والذهول، ولكن المطلوب هو تحري كتابة نص القرآن الكريم خالياً من أي نص آخر يخالفه أو يشتبه على القارئ .

## الموضع الخامس والستون:

قوله تعالى: ﴿... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [الرعد: ٢].

قال المؤلف في ص ٤٣٦:

ثم استوى على العرش: استواء يليق به عز وجل.

قلت: تكرر مراراً أن السلف الصالح، يرحمهم الله، لا يكتفون بعبارة (استواء يليق به عز وجل) تفسيراً للاستواء وأنهم يرون هذا من باب التفويض لأسماء الله وصفاته، وهو مسلك ممنوع مردود؛ بل إنهم يفسرون الاستواء بمعناه اللغوي وهو يجيء على أربعة وجوه:

فيأتي بمعنى علا، ويأتي بمعنى صعد، ويأتي بمعنى ارتفع، ويأتي بمعنى استقر.

وقد تم نقل كلام السلف حول هذا المعنى للاستواء عند الكلام على

تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [يونس: ٣].

بما يعني عن إعادته هنا ، والله أعلم.

## الموضع السادس والستون:

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَيْنَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

قال المؤلف في ص ١٥٤ من الجزء الثاني من تفسيره: أي: لا يعرفون أسرار القتال ونتائجها بعد فنونه وحذق أساليبه.

قلت: عبارة المؤلف لا تخلو من خطأ؛ فالمبني عن الكفار ليس هو العلم والفقه بأسرار القتال ونتائجها؛ بل الذي ظفي عنهم هو: الهدف السليم والغاية العليا، التي يفترض أن يكون jihad من أجلها، وهي رجاء الثواب وحصول موعد الله للمؤمنين، ومما يوضح ذلك قول الإمام ابن جرير في

تفسيره ص ٣٨/١٠: بأنهم قوم لا يفتقرون : يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب، ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفتقروا أن الله موجب لمن قاتل احتساباً، وطلب موعد الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوها فتذهب دنياهم.

وبنحو هذا فسر الآية الإمام البغوي فقال في تفسيره ص ٢٦٠/٢: أي: أن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن يقتلوها.

قلت: فقد ظهر أنه ليس المراد بالفقه المنفي عن الكفار الفقه بأساليب القتال؛ إذ أن هذا من الأمور المادية التي قد يكون لدى الكفار معرفة بها، ولكن المراد نفيه عنهم هو علمهم بحكمة الله في شريعة، فهم لا يعرفون حكمة الله، ولا يطلبون ما رتبه على الجهاد في سبيله؛ إذ أنهم فقدوا الأصل وهو الإيمان.

### الموضع السابع والستون:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَخَذَ اللَّهَ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [يونس: ٦٨].

قال المؤلف ص ٢٩٤ من الجزء الثاني من تفسيره: الغني: أي الغني المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء.

قلت: مما يبين دلالة هذا الاسم الكريم من أسماء الله الحسنى كلام للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، في كتابه: (طريق الهدرتين) ص ٦: قال : قال الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي له، لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنياً حميداً ذاتي له، ففناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أو جهة؛ فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا

إمكـان؛ بل هو ذاتي لـلـفقـير؛ فـحـاجـة العـبـد إـلـى رـبـه لـذـاتـه لا لـعـلـة أـوـجـبـتـ تـلـكـ  
الـحـاجـة، كـما أـنـ غـنـى الـرـبـ سـبـحـانـه لـذـاتـه لا لـأـمـرـ أـوـجـبـ غـنـاهـ، كـما قـالـ  
شـيـخـ الإـسـلـامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ ، يـرـحـمـهـ اللـهـ:

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً، كما الغنى أبداً وصف له ذاتي؛ فالخلق  
فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة، وكل ما يذكر من أسباب الفقر  
والحاجة، فهي أدلة على الفقر وال الحاجة لا علل لذلك، إذ ما بالذات لا  
يعمل؛ فالفقير بذاته محتاج إلى الغنى بذاته.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، يرحمه الله ، في تفسيره  
ص ٦٢٩ / ٥ عند شرحه لاسمه تعالى : (الفني) :

فهو الغني بذاته الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات؛ لكماله وكمال صفاتـه. فلا يتطرق إليها نقص بوجهه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، لأن غناه من لوازمه ذاتـه، كما لا يكون إلا خالقاً قادرـاً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجهه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة.

المغني جميع خلقه غنىً عاماً، والمغني خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم  
من المعارف الريانية والحقائق الإيمانية.

## **الموضع الثامن والستون:**

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال المؤلف في فصل ٦٧٨ من الجزء الثاني من تفسيره: تضمنت هذه الآية ردًا على اليهود الذين لما نزل قول الله تعالى (وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) في الرد عليهم لما سألوا عن الروح بواسطة وفد قريش إليهم، فقالوا أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ

مداداً...) الآية؛ ردأ عليهم وإبطالاً لزاعهم فأعلمهم وأعلم كل من يدعى العلم، الذي ما فوقه علم، بأنه لو كان ماء البحر مداداً وكان كل غصن وعود في أشجار الدنيا كلها قلماً وكتب بهما لنفسه ماء البحر وأغصان الشجر ولم تتفد كلمات ربي، التي تحمل العلوم والمعارف الإلهية وتدل عليها وتهدي إليها؛ فسبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم، سبحان الذي انتهى إليه علم كل شيء وهو على كل شيء قادر.

قلت: هذه الآية من الأدلة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وكلام المؤلف عليها طويل ، ولكنه لا يشير إلى دلالتها. وقد أوضح ذلك الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره مشيراً إلى ما تضمنته من إثبات صفة الكلام لله تعالى، حسب طريقته، يرحمه الله، حيث قال في تفسيره ص ٣١٠٨: يقول تعالى: يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وأياته الدالة عليه، لنفسه ماء البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أي بمثل البحر بآخر ثم آخر وهلم جراً، بحور تمده ويكتب بها لما نفذت كلمات الله كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كالهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفسه قبل أن تتفذ كلمات ربي)، يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله والشجر كلها أقلام لأنكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثنى على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٥٦٨: أي قل لهم مخبراً عن عظمة الباري وسعة صفاتة، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: (لو كان البحر) أي هذه الأبحر الموجودة في العالم، (مداداً لكلمات ربي)، أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها من أشجار البلدان والبراري والبحار أقلام .

(لنفذ البحر) لتكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات ربي، وهذا شيء عظيم لا يحيط به أحد.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان؛ لأن هذه الأشياء مخلوقة وجميع المخلوقات منقضية منتهية، وأما كلام الله فإنه من جملة صفاتة، وصفاته غير مخلوقة ولا لها حد ولا منتهى، فأي سعة وعظمة تتصورها القلوب، فالله فوق ذلك. وهكذا سائر صفات الله: كعلمه، وحكمته وقدرته.

فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السموات وأهل الأرض؛ لكان بالنسبة إلى علم الله العظيم أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته.

وذلك بأن الله له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة وأن إلى ربك المنهى.

### الموضع التاسع والستون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ٩٩].

قال المؤلف في ص ٢٣٢ من الجزء الثاني عن كلامه على هذه الجملة من الآية قال: قوله: (إن الله غفور رحيم) يؤكد وعد الله تعالى لهم بدخولهم في رحمته؛ التي هي الجنة.

قلت: تفسير الرحمة بالجنة تأويل لصفة الرحمة الثابتة لله عز

وجل؛ فالجنة من ثواب الله للمؤمنين المترتب على رحمته تعالى لهم . وقد تكلم الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان على تأويل صفة الرحمة في كتابه: (**الكافر والجنة** عن معاني الواسطية) فقال ص ٢٠٥ : وبعضهم تأول الرحمة بمعنى إرادة الإحسان؛ والحق إثبات صفة الرحمة حقيقة على ما يليق بجلاله، كما يقال في سائر الصفات، والرحمة لا تتفك عن إرادة الإحسان، فهي مستلزمة للإحسان، أو إرادته، استلزم الخاص للعام؛ فكما يستحيل وجود الخاص بدون العام، وكذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادته.

ومنهم من تأول الرحمة بمعنى الثواب، والله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل فقال تعالى: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ) الآية؛ فالرحمة والرضوان صفتة والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً، وقول من قال هي إرادة الإحسان؛ فإن إرادة الإحسان هي من لوازم رحمته فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان، وكذلك لفظ اللعنة والغضب والمقت هي أمور مستلزمة للعقوبة؛ فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفي لازمهـا، فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع؛ فالحقيقة لا توجد منفكة عن لازمهـا.

قلت: ويتحصل من كلام العلماء والمحققين المتقدم بعض النتائج ومنها:

**أولاً:** إثبات صفة الرحمة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وإنها – أي: الرحمة – غير الإحسان أو إرادة الإحسان؛ بل الإحسان أو إرادته من لوازم الرحمة التي لا تتفك عنها، ولكنها ليست هي.

**ثانياً:** إن الرحمة الثابتة لله عز وجل هي أيضاً غير الثواب؛ فالثواب نتيجة للرحمة، فمن قال إن الرحمة هي الجنة فقد أول صفة الرحمة بالثواب، وهو تأويل غير سليم ولا مقبول. ولا شك أن الجنة لا يدخلها أحد إلا برحمة الله سبحانه، ولكن ذلك لا يقتضي أن تكون الجنة هي الرحمة.

ومما يوضح ذلك، وهو التصريح بأن دخول الجنة من لوازم الرحمة، بعض الأحاديث الثابتة، ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رض قال رسول الله صل: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله صل قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة). صحيح مسلم باب لن يدخل أحداً عمله الجنة ص ٢١٧١ ج ٤.

وعن جابر رض قال سمعت رسول الله صل يقول : (لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا برحمة من الله)، صحيح مسلم باب لن يدخل .. ص ٢١٧١ ج ٤.

وعن عائشة زوج النبي صل أنها كانت تقول قال رسول الله صل (سدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)، صحيح مسلم باب لن يدخل .. ص ٢١٧١ ج ٤.

## الموضع السابعون:

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسِبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبه: ١٢٩]، وهي آخر آية من السورة .

قال المؤلف ص ٢٥٣: من الجزء الثاني من تفسيره : عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل؛ إذ كرسيه تعالى وسع السموات والأرض، ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقة في أرض فلاد .. ثم قال عند كلامه على هداية الآيات في الصفحة التي يليها: عظمة عرش الرحمن عز وجل.

قلت: لا شك في عظمة عرش الرحمن عز وجل؛ إلا أن علماء

السلف، رحمة الله، فهـماً زائداً على هذا القدر مع ثبوته، وهو إثبات صفة العلو والاستواء لله تعالى، ومن العلماء الذين أشاروا إلى ذلك الإمام الحافظ الذهبي في كتابه الذي حققه واختصره الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، يرحمـه الله، وسمـاه مختصر العلو، وقد تم نقل كلام الإمام الذهبي عند الكلام على تفسير المؤلف للأية الخامسة عشرة من سورة البروج، وهي قوله تعالى: (ذو العرش المجيد).

### الموضع الواحد والسبعون:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُأُ الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللَّهُ يَبْدُأُ الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ [يونس: ٣٤].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية ص ٢٧٧ من الجزء الثاني من تفسيره: من يبدأ الخلق، أي: ينشئ الإنسان والحيوان أول ما ينشئه؛ فذلك بداع خلقـه.

قلت: حصرـ الخلقـ المشارـ إليهـ بالأـيةـ بـخلقـ الإـنسـانـ وـالـحـيـوانـ فـيـ نـظـرـ، فـالـآـيـةـ عـلـىـ إـطـلاـقـهـ؛ فـالـمـرـادـ بـهـ عـمـومـ الـخـلـقـ مـنـ إـنـسـانـ أوـ حـيـوانـ أوـ نـبـاتـ أوـ جـنـ أوـ مـلـائـكـةـ أوـ شـيـاطـينـ، وـمـنـ سـاـكـنـ، أـوـ مـتـحـركـ، أـوـ غـيـرـهـ مـمـاـ يـصـدـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ الـخـلـوقـ.

قال الإمام ابن جرير الطبرـيـ فيـ تـفـسـيرـهـ صـ ١١/١١٥ـ: يقولـ تعالىـ ذـكـرـهـ لنـبـيـهـ مـحـمـدـ ﷺـ: قـلـ يـاـ مـحـمـدـ هـلـ مـنـ شـرـكـائـكـمـ، يـعـنيـ مـنـ الـآلـهـ وـالـأـوـثـانـ (مـنـ يـبـدـأـ الـخـلـقـ ثـمـ يـعـيـدـهـ)، يـقـولـ: مـنـ يـنـشـئـ خـلـقـ شـيـءـ مـنـ غـيـرـ أـصـلـ لـاـ يـقـدـرـونـ عـلـىـ دـعـوـيـ ذـلـكـ لـهـ، وـفـيـ ذـلـكـ الـحـجـةـ الـقـاطـعـةـ وـالـدـلـالـةـ الـواـضـحةـ عـلـىـ أـنـهـمـ يـفـيـ دـعـوـاهـمـ أـنـهـمـ أـرـبـابـ وـهـيـ لـلـهـ يـفـيـ العـبـادـةـ شـرـكـاءـ كـذـابـونـ مـفـتـرـونـ؛ فـ (قـلـ) لـهـمـ حـيـنـئـذـ يـاـ مـحـمـدـ (الـلـهـ يـبـدـأـ الـخـلـقـ) فـيـنـشـئـهـ مـنـ غـيـرـ شـيـءـ، وـيـحـدـثـهـ مـنـ غـيـرـ أـصـلـ ثـمـ يـفـنـيـهـ إـذـاـ شـاءـ (ثـمـ يـعـيـدـهـ) إـذـاـ أـرـادـ كـهـيـئـتـهـ قـبـلـ الـفـنـاءـ (فـأـنـىـ تـؤـفـكـونـ)، يـقـولـ: فـأـيـ وـجـهـ عـنـ قـصـدـ السـبـيلـ

وَطَرِيقُ الرُّشْدِ تُصْرِفُونَ وَتُقْلِبُونَ<sup>١٦</sup>.

وقال الإمام ابن كثير ، يرحمه الله ، في تفسيره ص ٤١٧ : ٢/٤١٧ : (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) ، أي: من يبدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيها من الخلائق ، ويفرق أجرام السموات والأرض وينزلها بفناء ما فيها ، ثم يعيده خلقاً جديداً (قل الله) هو الذي يفعل هذا وتستقل به وحده لا شريك له (فأني توفكون) ، أي: فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ٣٥١ ، ٣/٣٥١ ، يقول تعالى مبيناً عجز آلية المشركين ، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلية مع الله (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق) أي يبتدئه (ثم يعيده) وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير ، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهي أضعف من ذلك وأعجز (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) ، من غير مشارك ولا معاون له على ذلك (فأني توفكون) ، أي: تصرفون وتتحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء والإعارة إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون.

قلت: تبين أن الخلق المنفي عن الشركاء هو خلق مطلق ، وليس هو خلق الإنسان والحيوان فحسب؛ بل يصدق على كل ما يسمى خلقاً كائناً ما كان ، كما تقدم نقل كلام المفسرين حول هذا الأمر ، ولعل في حصر الخلق بخلق الإنسان والحيوان تركاً لبعض دلالة الآية ، التي وردت عامة ونافية أي شيء من الخلق دق أو جل عن تلك الأصنام والأوثان . فالله أعلم .

## الموضع الثاني والسبعون:

قوله تعالى:

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾  
[التوبه: ٢١].

قال المؤلف في ص ١٧٥: من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على هذه الآية : (يبشرهم ربهم برحمة منه)، وهي الجنة.

قلت: رحمة الله من صفات الذات الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه، وأما تفسير الرحمة بالجنة؛ فهو من باب تأويل الصفة الثابتة لله بثوابه، الذي يمنحه لعباده جزاءً على أعمالهم الصالحة وتفضلاً منه سبحانه.

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان في كتابه: (**الكافش الجلية عن معاني الواسطية**) ص ٢٠٥: ومنهم من تأول الرحمة بمعنى التواب، والله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل، فقال تعالى: (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان): فالرحمة والرضوان صفتان، والجنة ثواب، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً، وقول من قال إرادة الإحسان إلى المرحوم، فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان وكذلك لفظ اللعنة، والغضب، والتي هي أمور مستلزمة للعقوبة؛ فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها، فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمه.

قلت: يتبيّن لنا أن الجنة - نسأل الله أن يجعلنا من أهلها - هي من ثواب الله الذي يمنحه من رحمته من عباده، وهذا الثواب من لوازمه رحمته تعالى، وهو مخلوق من مخلوقات الله يحصل للعبد إذا رحمه رباه عزوجل، وأما الرحمة فهي من صفات الذات التي يوصف بها الله سبحانه

وتعالى.

وقد نقلت بعض الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ، والتي تدل على هذا المعنى عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهي الآية التاسعة والتسعون من هذه السورة.

وقد أوضح معنى هذه الآية الإمام ابن جرير الطبرى في تفسيره ص ١٠٩٧ حيث قال، يرحمه الله: يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمته منه لهم، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم، ويرضوان منه لهم بأن قد رضي عنهم بطاعتهم إياه، وأدائهم ما كلفهم.

ومن كلام المفسرين الذين ساروا على نهج السلف وأوضحوها معنى الآية قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢١١ (يبشرهم ربهم) رحمة منه وكراماً، ويراً بهم واعتناءً ومحبة لهم، (برحمة منه) أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم بها كل خير (ورضوان) منه، تعالى، عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحصل عليهم رضوانه فلا يخط عليهم أبداً.

قلت: ولا يخفى ما في كلام الشيخ، حفظه الله، من الاضطراب فهو يفسر الرحمة تارة بالجنة، كما في سورة "الزخرف" وهذه السورة، وتارة بالإنعمان كما في سورة "البقرة" ولا ريب أن سبب هذا الاضطراب هو عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية وهي الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ثم الاقتباس من كلام السلف الذين اعتمدوا هذين المصدرين أساساً لعلمهم وفكرهم.

### الموضع الثالث والسبعون:

قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٦٠].  
قال المؤلف في ص ٢٠٥ من الجزء الثاني في تفسيره: (والله علیم): بخلقه

وأحوالهم ، حكيم: في شرعيه وقسمته.

قلت: أما اسمه تعالى (الحكيم) فقد جرى إيضاح بعض دلالته وما يتضمنه من صفة كمال وجلال في عدة مواضع من هذه التبيهات، ومن ذلك عند الكلام على تفسير المؤلف للآية الثالثة والسبعين من سورة "الأنعام"، كما جرى بيان شيء من ذلك عند الكلام على تفسيره للآية الأولى من سورة الحديد.

وأما اسمه تعالى: (العليم) فقد تم بيان شيء من دلالته ومعناه عند الكلام على تفسير المؤلف للآية الحادية عشرة من سورة "النساء".

ومما يزيد هذا الاسم بياناً للقارئ قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٣١٢: فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستترق لجميع معناها وذلك نحو (العليم) الدال على أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء؛ فلا يخرج من علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقال أيضاً، يرحمه الله، في تفسيره: ص ٣١٤: ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط، وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلة، التي لا نهاية لها، وما خلفهم من الأمور الماضية التي لا حد لها، وأنه لا تخفي عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، وأن الخلق لا يحيط أحد بشيء من علم الله ومعلوماته إلا بما شاء منها، وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جداً مضمحل في علوم البارئ ومعلوماته، كما قال أعلم الخلق به وهم الرسل والملائكة: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

#### الموضع الرابع والسبعون:

قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٦٠].

قال المؤلف في ص ٢٣٥ من الجزء الثاني من تفسير: (عليم حكيم): أي بخلقه: نيات ، وأموالاً وأعمالاً، حكيم في قضائه وشرعه.

قلت: جرى الكلام على اسمه تعالى: (العليم) عند التعليق على تفسير المؤلف للآلية الستين من هذه السورة، وأما اسمه تعالى (الحكيم) فقد جرى شرح معناه، وبيان بعض دلالته في مواضع من هذه التبيهات منها: عند الكلام على تفسير المؤلف للآلية الحادية عشرة من سورة "النساء"، وعند الكلام على تفسيره للآلية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام نفسها، وعند الكلام على تفسيره للآلية التاسعة والثلاثين بعد المئة من سورة الأنعام.

وبناءً على ذلك فلا داعي لإعادة الكلام عليه؛ إذ تم إيضاحه بما يكفي في هذه الأماكن . والله أعلم .

### الموضع الخامس والسبعون:

قوله تعالى: ﴿... وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُونِي ...﴾ [الأعراف: ١٥٠] ، في ص ٨٤ من الجزء الثاني .

قلت: عند إثبات المؤلف لهذا النص من القرآن الكريم لتفسيره أخطأ في كتابة نص القرآن فغير فيه، وجرى في التفسير على حسب النص الذي أثبته، وتوضيح ذلك بالفقرتين الآتيتين:

أولاً : قوله تعالى: (وأخذ برأس) أثبت بدلها (وأخذ بلحية) ووضعها بين قوسين مشيراً بأنها من القرآن الكريم فكتبها هكذا: (وأخذ بلحية) هارون ورأسه فأضاف (ورأسه) تفسيراً من عنده، مع أنها هي اللفظة الواردة في الآية، وهو نهج سار عليه - وفقه الله - كثيراً عند تفسيره للقرآن يثبت نصاً تفسيرياً ثم يذهب يفسره وكأنه هو نص القرآن، ولعل السبب في ذلك أنه لم يراجع تفسيره؛ بل كتبه وقدمه للطبع، ولعله حتى عند الطبع لم يراجعه؛ يدل على ذلك كثرة الأخطاء الطباعية لا سيما ما يتعلق منها بنصوص القرآن الكريم، ونحن نعلم جميعاً أن الإنسان محل الزلل والخطأ، ولكن ذلك لا يعني من مراجعة الآيات والتأكد من

سلامة المكتوب، ومطابقته لما ورد في القرآن؛ لأن الخطأ في القرآن ليس كالخطأ في غيره، فقد قال ﷺ عن الكذب عليه ﷺ: (إِنَّ كَذِبًا عَلَيْهِ  
لَيْسَ كَكَذْبٍ عَلَىٰ غَيْرِي)، فكيف بالخطأ في نقل نصوص القرآن؟ مع  
تيقننا أنه غير مقصود، ولكن لا بد من التأكيد على أن القرآن يستحق  
عناية أكثر من غيره عند كتابته، وعند تفسيره، وعند كل ما يتعلق به  
من دراسات أو بحوث أو غيرها.

ثانياً: قوله تعالى: (ابن أم) كتبها: يا ابن أم، ولا يخفي أن المراد هو النداء  
من غير شك ولكن هذا لا يبيح تغيير نص القرآن، فكان حرياً به أن  
 يجعل (يا) وهي حرف النداء خارجة عن القوس الذي يضم الآية؛ ليعلم  
القارئ أن هذه الكلمة تفسير وليس قرآن، ولا سيما والكتاب يقرؤه  
الطالب والمبدئ والطبقات كافة، وقد يكون منهم من لا يميز نصوص  
القرآن فيتسلل الخطأ، فالله المستعان.

## الموضع السادس والسبعون:

قوله تعالى:

﴿...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ...﴾ [الكهف: ٧٧].

قال المؤلف في ص ٦٦٧ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على  
هداية الآيات .. قال: جواز التبرع بأي خير أو عمل ابتغاء وجه الله تعالى.

قلت: الأعمال الصالحة والقرب التي يتقرب بها إلى الله عز وجل  
لا توصف بالجواز؛ بل توصف بالوجوب أو الاستحباب، فإن كانت  
فرائض؛ كالصلوات الخمس وصيام رمضان والزكاة والحج ونحوها،  
وُصِفت بالوجوب وإن كانت نوافل؛ كالصلوات التي ليست بواجبة،  
وصدقات التطوع، وصوم النفل ونحوها وُصِفت بالاستحباب، وأما الجائز  
فإن صاحبه لا يثاب إلا مع نية التقرب إلى الله، وعندئذ ينتقل إلى  
الاستحباب كما ورد في الحديث: (وَفِي بَعْضِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)؛ فهذا من  
المباحث التي تتحول إلى قرب بالنسبة الحسنة والله أعلم .

## الموضع السابعة والسبعون:

قوله تعالى: ﴿...إِن تَرَنَ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

قال المؤلف في ص ٦٥٢: من الجزء الثاني من تفسيره: (إن ترى أنا) فحذف نون الوقاية وضميري المتكلم وأثبتها (ترى) بدلاً من (ترني) فاقتضى التبيه على ذلك لكثرته وتكراره ، والله أعلم .

## الموضع الثامن والسبعون:

قوله تعالى: ﴿...وَتَظُنُّونَ إِن لَيَشْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢].

في ص ٦٠٥ من الجزء الثاني قال المؤلف عند كلامه على المعنى العام للآيات: (وتظنون إن ليشتم أي ليشتم). فأحاط الجملة مع تفسيرها بقوسین ثم قال بعدها: أي: ما ليشتم، فأوهم أن الكلام المحاط بالأقواس كله قرآن، وهو ليس كذلك. فاقتضى الأمر التبيه على ذلك. والله أعلم.

## الموضع التاسع والسبعون:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَقٍ ...﴾ [الإسراء: ٣١].

عند كلام المؤلف على معنى هذه الآية في ص ٥٩٥ من الجزء الثاني من تفسيره قال : ومما حكم به وقضى ووصى (ألا تقتلوا أولادكم)، فجعل عبارة ألا تقتلوا أولادكم بين قوسين، وهذا يوهم أنها نص القرآن، وحصرها بين قوسين مع أنها قد زيدت لتتناسب مع التفسير؛ أقول حصرها بقوسین خطأ، دفعاً لتوهم أنها نص من القرآن الكريم .

## الموضع الشهانون:

قوله تعالى: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُفُّرِ إِن يَشَاءُ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِن يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٤].

قال المؤلف في ص ٦٠٧ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على

هداية الآيات: بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل: (ربكم أعلم بكم إن يشاء يرحمكم وإن يشاء يعذبكم).

فكتب النص هكذا (وإن يشاء) بالواو مع أن نص الآية بـ(أو) هكذا: (ربكم أعلم بكم إن يشاء يرحمكم أو إن يشأن يعذبكم).

فعلينا التحري والدقة في نقل آيات القرآن الكريم وكتابتها وإثباتها كما وردت، وليس معنى هذا أن الشيخ يتعمد ذلك ولكن التساهل بهذا وحصوله مرة بعد أخرى يقتضي من القارئ اليقظة والانتباه؛ لئلاً نسب إلى كتاب الله ما ليس منه؛ لأن الخطأ في كتاب الله ليس كالخطأ في غيره.

### الموضع الواحد والثمانون:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةَ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ إِنَّمَا سَجَدُ لِمَنْ خَلَقَتْ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

فيه ص ٦١١ من الجزء الثاني من تفسيره أثبت المؤلف بعضاً من الآية هكذا: (وسجدوا إلا إبليس) وأحاطه بما يفيد أنه نص القرآن ، ونص القرآن بالفاء هكذا: (فسجدوا إلا إبليس)، فعلينا التقييد بنص كتاب الله وإثباته كما هو في المصحف؛ لئلا نفتح باب التساهل وعدم العناية بكتاب الله؛ أقول لئلا نفتح هذا الباب من لا يعرفون قدر كتاب الله، ولا يعلمون ما في هذا العمل من الخطورة إذا تكرر وكثير .

## الموضع الثاني والثمانون:

قوله تعالى: ﴿...لِئَنْ أَخْرَتِنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا حَتَّىٰ كَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

عند تفسير المؤلف بهذا الجزء من الآية في ص ٦١٢ من الجزء الثاني من تفسيره قال: (لئن أخرتني)، أي: وعزتك لئن أخرت موتى (إلى يوم يبعثون لا حتىكن ذريته).

قلت: نص القرآن هو (إلى يوم القيمة) وليس في الآية (إلى يوم يبعثون)، ولكن هذا النص اشتبه على المؤلف بنصوص أخرى فيها عبارة (إلى يوم يبعثون) ففي سورة "الأعراف" قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، وفي سورة "الحجر" قوله: ﴿قَالَ رَبِّي فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، وفي سورة "المؤمنون" قوله تعالى: ﴿... وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وفي سورة "الصفات" قوله تعالى: ﴿لَلَّذِي فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ٤٤]، وفي سورة "ص" قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩].

أقول: وبسبب ورود بعض الآيات التي فيها لفظة (إلى يوم يبعثون) اختلط على الشيخ فأخذ واحدة منها وأثبتها بدلاً من (إلى يوم القيمة) الذي هو نص الآية المراد تفسيرها فوجب الإيقاظ لذلك. والله الموفق.

## الموضع الثالث والثمانون:

قوله تعالى: ﴿...أَخْذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ بِرِّهُمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

عند كلام المؤلف على المعنى العام للآية في ص ٨٥ من الجزء الثاني من تفسيره كتب الآية هكذا: (هدى ورحمة للذين هم بريهم يرهبون)،

والصواب "لريهم" باللام.

ولهذه الغلطة نظائر جرى التبيه على عدد منها في مواضعها. والله الهادي.

### الموضع الرابع والثمانون:

قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّا وَهُمْ مُعَرِّضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

عند كلام المؤلف على المعنى العام للأية في ص ١٢٩ من الجزء الثاني من تفسيره أثبتها هكذا: لقوله تعالى: (ولو أسمهم لتولوا عنه وهم معرضون)، فأضاف كلمة (عن) وأدخلها ضمن نص الآية مع أنها لا توجد فيها، وإذا كان يقصد أنها تفسير وايضاح فعليه تمييزها بإخراجها عن النص المحاط بما يدل على أنه نص القرآن الكريم.

### الموضع الخامس والثمانون:

قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَىٰ ...﴾ [الإسراء: ١١٠].

قال المؤلف في ص ٦٣٢ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على هداية الآية: إن لله الأسماء الحسنة وهي مائة اسم إلا اسمًا واحدًا فيدعى الله سبحانه تعالى وينادى بآيتها، وكلها حسنة كما قال تعالى في سورة الأعراف (ولله الأسماء الحسنة فادعوه بها).

قلت: جرى الكلام على ما يتعلق بالأسماء الحسنة وهل هي منحصرة في التسعة والتسعين، وغير ذلك مما يتعلق بها عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى (ولله الأسماء الحسنة فادعوه بها) بما يغنى عن الإعادة هنا. والله أعلم.

### الموضع السادس والثمانون:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّوَءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

قال المؤلف في ص ٤٠٦ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على معنى الآية : ما زال السياق في الحديث على يوسف عليه الصلاة والسلام،

فقوله تعالى: (وَمَا أَبْرَئِنَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، هذا من قول يوسف عليه الصلاة والسلام؛ إذ قال لما طلب إليه الملك أن يتحقق في قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز، وثم التحقيق بالإعلان عن براءة يوسف عليه الصلاة والسلام مما اتهم به، قال ذلك، أي فعلت ليعلم العزيز أنني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائبين، وهضماً لنفسه من جهة ومن جهة أخرى فقد هم بضرب زليخاً كما تقدم (إن النفس) أي البشرية (لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربها)؛ إلا نفسها رحمة ربها بتوفيقها إلى تزكيتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال عن الشر، قوله: (إن ربى غفور رحيم)، ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله (ما أبلى نفسي) فذكر وإن حصل مني هم بضرب وسوء فأني تبت إلى الله والله غفور رحيم، أي يعفو ويصفح فلا يؤخذ من تاب إليه ويرحمه، فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣).

قلت: كلام المؤلف وفقه الله من أوله إلى آخره دائراً على اعتبار أن الآية حكاية لقول يوسف، عليه الصلاة والسلام ، وهي ليست كذلك فهي إخبار عن قول امرأة العزيز.

قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٤٨١: تقول المرأة ولست أبلى نفس فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته؛ لأن (النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربها)، أي: إلا من عصمه الله تعالى، (إن ربى غفور رحيم)، وهذا القول هو الأنقي والأنساب لسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدبه لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية ، يرحمه الله ، فأفردته بتصنيف على حدة، ثم نقل الإمام ابن كثير، يرحمه الله، القول الثاني وهو الذي ينسب ذلك إلى يوسف عليه الصلاة والسلام، وهو ما سار عليه المؤلف ثم قال بعده: والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله عن امرأة العزيز

بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه الصلاة والسلام عندهم؛ بل بعد ذلك  
حضره الملك.

وعلى هذا المسلك السليم سار الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه  
الله، في تفسيره، وسوف أثبت ما قاله مع تفسيره للأية التي مثلها ليكون  
الكلام متصلًا. قال، يرحمه الله، في تفسيره ص ٤٣٧: ذلك: الإقرار  
الذي أقررت أنني راودت يوسف (ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) يحتمل أن  
مرادها بذلك زوجها، أي ليعلم أنني حين أقررت أنني راودت يوسف أنني لم  
أخنه بالغيب، أي لم يجر مني إلا مجرد المراودة ولم أفسد عليه فراشه.  
ويحتمل أن المراد بذلك، ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته وأنه  
صادق أنني لم أخنه من حال غيبته عنى.

(وأن الله لا يهدي كيد الخائين) فإن كل خائن لا بد أن تعود خيانته  
ومكره على نفسه ولا بد أن يتبين أمره.

ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها وأنه لم يجر منها ذنب في  
شأن يوسف استدركت فقالت: (وما أبرئ نفسي)، أي: من المراودة  
والهم، والحرص الشديد والكيد في ذلك.

(إن النفس لأمارة بالسوء)، أي: لكثرية الأمر لصاحبها بالسوء، أي:  
الفاحشة وسائل الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على  
الإنسان، (إلا ما رحم ربى)، فنجاه من نفسه الأمارة حتى صارت نفسه  
مطمئنة إلى ربها منقادة لداعي الهدى، متعاقبة عن داعي الردى ، فذلك  
ليس من النفس؛ بل من فضل الله ورحمته بعده.

(إن ربى غفور رحيم) أي هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي إذا تاب  
وأناب، (رحيم) بقبول توبته وتوفيقه للأعمال الصالحة.

وهذا هو الصواب؛ أن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف فإن  
السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر.

وقد عدَّ محمد جميل زينو القول بأن هذا من كلام يوسف، عليه الصلاة

والسلام، عدَ ذلك مأخذًا على الشيخ محمد علي الصابوني في تبيهاته على صفة التفاسير فقال ص ٣٨ وما بعدها: ذكر الشيخ الصابوني في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة يوسف (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) فقال الأظهر أن هذا من كلام يوسف قاله لما وصله براءة النسوة له، وقال عند قوله: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء) أي لا أزكي نفسي ولا أنزهها فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات؛ قاله يوسف على وجه التواضع، قال الزمخشري: أراد أن يتواضع لله وبهضم نفسه لئلا يكون مزكياً لها وبحالها معجباً ومفتخراً، ثم قال والتعليق عليه من وجوه : أولاً: لم يذكر الشيخ الصابوني الدليل على ما رأه الأظهر كما فعل في تصحیحه للحضر بأنه ولی، والصحیح، عند العلماء، ما قام عليه الدليل.

ثانياً: عجيب من الشيخ الصابوني أن يأخذ بقول الزمخشري المعتزلي الذي لا دليل عليه، وفيه تعريض بيوسف الرسول المعمص - عليه الصلاة والسلام - ومتى كان يوسف، عليه الصلاة والسلام، مزكياً لنفسه، وبحاله معجباً ومفتخراً حتى يقول: وما أبرئ نفسي، إن هذا الاتهام لا يوجه للرسل ومنهم يوسف، عليه الصلاة والسلام، ولا يليق بهم ولا سيما حينما أعلن يوسف براءته ونراحته حينما قال للعزيز: (هي راودتني عن نفسي). فكيف يقول الشيخ الصابوني عن يوسف، عليه الصلاة والسلام: لا أزكي نفسي ولا أنزهها، وكيف يقر الشيخ الصابوني قول الزمخشري الذي يتنافى مع الأدب في حق يوسف، عليه الصلاة والسلام، وبراءته، وفيه اتهام له بالعجب الذي يُعدّ من الكبائر، ويُوسف عليه الصلاة والسلام، برأ منه، والتواضع لا مكان له هنا، ولا سيما في مسألة يجري فيها التحقيق لمعرفة المراود، وقد أعلنت المرأة براءته حينما قالت: (أنا راودته عن نفسه وإنه من الصادقين) فلا يعقل أن يقول يوسف، عليه الصلاة والسلام، وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء.

بل يبعد جداً أن يقول يوسف، عليه الصلاة والسلام، هذا الكلام الذي يمس عصمته وبراءته ونبوته، ولا سيما بعد أن قال الله في حقه: (كذلك لنصرف عنهسوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين).

ثالثاً: إن سياق القصة الذي قبلها يدل بوضوح أن هذا القول من كلام امرأة العزيز وليس من كلام يوسف، عليه الصلاة والسلام، فأول القصة: (قالت امرأة العزيز لأن حصوص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه من الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائبين) أي ذلك الذي اعترفت به ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه وهو غائب، ثم قالت المرأة (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) أي وما أبرئ نفسي من مراودة يوسف، عليه الصلاة والسلام، فقد اعترفت بها؛ لأن النفس البشرية تأمر وتميل إلى السوء إلا من رحمة الله، وعصمه كيوسف، عليه الصلاة والسلام.

رابعاً : إن اللحاق، وهو الكلام الذي بعد القصة، يدل بوضوح على أن قوله (وما أبرئ نفسي) من قول امرأة العزيز، وليس من قول يوسف، عليه الصلاة والسلام؛ لأن الآية التي بعدها تقول: (وقال الملك أنتوني به استخلاصه لنفسي)، كما تيقن الملك براءة يوسف باعتراف المرأة، أمر أن يخرج يوسف من السجن ويؤتى به إليه ليجعله من المقربين إليه؛ فثبتت أن يوسف، عليه الصلاة والسلام، كان في السجن حينما جرى التحقيق في قصته، فكيف يجوز أن تسب له قوله في محضر تحقيق الملك، وهو غائب في السجن فيما يمس شرفه ونبوته؟

### **الموضوع السابع والثمانون:**

قوله تعالى: ﴿... إِنَّ رَبَّنَا لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال المؤلف في ص ٤٢٧ من الجزء الثاني من تفسيره: (إن رب لطيف لما يشاء إنه هو العليم) أي بخلقه (الحكيم) في تدبيره وصنعه.

قلت: جرى الكلام على هذين الأسمين الكريمين من أسماء الله الحسنى وهما (العليم) و"الحكيم" مراراً، كما أنه قد تم إيضاح معناهما ودلالتهما وما يتضمنه كل منها من صفات الكمال والجلال لله تعالى، وأن معناهما أوسع مما يذكره المؤلف ويكرره، ومن الأماكن التي أوضحت فيها هذه الأسماء الكريمة عند تفسير المؤلف للأية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام، وعند الكلام على تفسيره للأية الستين من سورة التوبة ، وعند الكلام على تفسيره للأية الأولى من سورة الحديد، وذلك يغني عن التكرار والإعادة. فالله المستعان.

### الموضع الثامن والثمانون:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَآتَيْتَنَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

قال المؤلف في ص ٦٠٠ من الجزء الثاني من تفسيره: لا بتفوا إلى ذي العرش سبيلاً : أي لطلبوا طريراً إلى الله تعالى للتقرب وطلب المنزلة عنده. قلت: في الكلام احتمال لقول نفاة العلو؛ فاللائق سلوك مذهب أهل السنة عند ورود الآيات التي فيها إضافة العرش إلى الله تعالى كهذه الآية، وكقوله تعالى: (رفيع الدرجات ذو العرش) وكقوله تعالى: (ذو العرش المجيد)، فيحسن بأهل السنة الإشارة إلى ما يستتبع من هذه الآيات بالدرجة الأولى وهو إثبات صفتى العلو والاستواء لله تعالى، قال

شيخ الإسلام ابن تيمية ، يرحمه الله ، في الفتاوى ص ٦٨ ج ٥ :

وأن قوله: (على العرش استوى)، (وهو القاهر فوق عباده)، (أأمنتكم من في السماء)، "إذا لابتوا إلى ذي العرش سبيلاً" فهذا وغيره مثل قوله: "تعرج الملائكة والروح إليه"، "إليه يصعد الكلم الطيب" ، هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه.

وقد نقل الإمام ابن قيم الجوزية ، يرحمه الله ، في كتابه (اجتماع

الجيوش الإسلامية) عن عدد من العلماء سردهم للأيات التي فيها قوله تعالى: (ذو العرش) واستدلالهم بها على إثبات صفتى العلو والاستواء، فقال في ص ١٤٣: ذكر قول بخاري المغرب الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه ، يرحمه الله تعالى ، قال في كتابه التمهيد في شرح الحديث الثاني لابن شهاب عن أبي سلمه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ينزل رينا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله جل وعلا في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان، وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)، قوله: (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولی ولا شفيع أفلأ تذكرون)، قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان)، قوله تعالى (إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً)، قوله تبارك اسمه: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)، قوله تعالى: (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)، قوله تعالى: (أَمْنَتُم مِّنْ في السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ)، وقال (سبع اسم ربكم الأعلى)، وهذا من العلو، وكذلك قوله تعالى: (العلي العظيم)، و(الكبير المتعال) و(رفيع الدرجات ذو العرش) ، و (يُخافون ربهم من فوقهم).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية أيضاً في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ٢٧٢: قول الحارث بن أسد الحاسبي: قال: وأما قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)، (وهو القاهر عباده)، (أَمْنَتُم مِّنْ في السَّمَاوَاتِ)، (إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً)، فهذه وغيرها مثل قوله: (ترج الملائكة والروح إليه)، (إليه يصعد الكلم الطيب)، هذا يوجب أنه فوق العرش،

فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده، لأنه قال: (أَمْنِتُمْ مِّن فِي السَّمَاوَاتِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ)، يعني فوق العرش والعرش على السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء.

قلت: يتحصل مما تقدم أن علماء أهل السنة والجماعة يعدون هذه الآية أي قوله تعالى: (إِذَا لَابْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)، يعدونها وأمثالها من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه، كما يتحصل أيضاً أن ما سار عليه كثير من المفسرين قديماً وحديثاً من قولهم عند تفسير قوله تعالى: (ذو العرش) أي خالقه ومالكه، أن هذا خطأ؛ لأن الله سبحانه لما أضاف العرش إلى نفسه أعطاه مزية عن سائر مخلوقاته وهي استواوه عليه، ولا يفهم أهل السنة من قوله: (ذو العرش) إلا هذا الفهم، وأما إذا قلنا إن معنى (ذو العرش) خالقه ومالكه؛ فإنه لا يكون للعرش مزية على سائر المخلوقات فقد قال تعالى: (الله خالق كل شيء) وقال تعالى: (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ)، وقال تعالى: (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، وقال تعالى: (قُلِ اللَّهُ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

وقد أشار إلى شيء من هذا، بإيجاز، الإمام الذهبي، يرحمه الله، في كتابه (العلو للعلي الغفار) الذي حققه واختصره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، يرحمه الله، وجرى نقل كلامه في موضع آخر من هذه التبيهات والله أعلم.

### الموضع التاسع والثمانون:

قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضُلُّ عَلَيْهَا ...﴾ [يونس: ١٠٨].

قال المؤلف في ص ٣٦ من الجزء الثاني من تفسيره عند شرحه للمفردات (عليها) ثم شرح هذه الكلمة على أنها نص من القرآن الكريم، وهذا خطأ فصححة النص: (فإنما يضل عليها)، فيلزم التثبت من نص القرآن،

ونقله بحروفه، والله أعلم.

### الموضع التسعون:

قوله تعالى: ﴿...إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي...﴾ [هود: ٥١].

قال المؤلف في ص ٣٤٦ من الجزء الثاني من تفسيره: (إن أجري إلا على الله الذي فطرني)، ثم شرح هذا النص على أنه هو نص القرآن ، مع أن كلمات القرآن هكذا: (إن أجري إلا على الذي فطرني)، بدون اسم الجلالة؛ فيلزم التحرير في نقل القرآن الكريم وإثباته كما ورد في المصحف، والله أعلم.

### الموضع الواحد والتسعون:

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا عَدُوا لَهُ عَدَةً﴾ [التوبه: ٤٦].

في ص ١٩٥ من الجزء الثاني كتبها المؤلف هكذا: (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته) والصواب (عدة) كما تقدم النص، والله أعلم.

### الموضع الثاني والتسعون:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكْوُمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيَّ كُمْ مِنَ اللَّهِ ...﴾ إلى قوله ﴿...إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٢ - ٩٣]. عند كلام المؤلف على معنى الآيات في ص ٣٦٦ من الجزء الثاني من تفسيره أخطأ في رسم بعض الكلمات فكتب أرهطي هكذا: (أو رهطي) بزيادة واو، وكتب (سوف تعلمون من يأتيه) هكذا: (سوف تعلمون بعد من يأتيه) فزاد في الآية كلمة (بعد) فكان الصواب تحرير النص القرآني من غير زيادة ولا نقصان.

## **الموضع الثالث والتسعون:**

قوله تعالى: ﴿...لَئِنْ أَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤].

قال المؤلف في ص ٣٨٥ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على معنى هذه الآية : (والله لئن أكله الذئب ونحن عصبة إننا إذا لخاسرون). وقد وضع هذه العبارة بين قوسين ابتداءً من (والله) إلى قوله تعالى: (لخاسرون) فأوهم أنها بكمالها نص القرآن، مع أنها ليست كذلك؛ بل منها ما هو قرآن ومنها ما هو تفسير من المؤلف، فيحتاج إلى إبراز نص القرآن مميزةً عن كلام المؤلف، والله أعلم.

## **الموضع الرابع والتسعون:**

قوله تعالى: ﴿...أَلَا إِنَّمَا طَلَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ...﴾ [الأعراف: ١٣١]. في ص ٧٠ من الجزء الثاني من تفسيره نقل المؤلف هذا الجزء من الآية هكذا: (ألا إنما ...) بفتح همزة (إن) مع أنها مكسورة في المصحف. والله أعلم.

## **الموضع الخامس والتسعون :**

قوله تعالى: ﴿... لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْرِّجْزَ ...﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٣٥].

في ص ٧٣ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على معنى الآيات كتب: (لنؤمن) هكذا: (لنؤمن) بحذف إحدى النونين. وعندما أراد أن يكتب فلما كشفنا - كتب فلما كشف فحذف الضمير وهو(نا).

فرأيت التبيه على ذلك للتقيد بنص القرآن لئلا يكون عرضة للخطأ والزلل. والله أعلم .

## الموضع السادس والتسعون:

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكُ لَنِّي كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِتُؤْمِنَ لَكَ وَلَنْرِسْلَنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْتَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتِيهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَنِيْلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٣٦].

عند كلام المؤلف على معنى هذه الآيات أورد في ص ٧٣ من الجزء الثاني من تفسيره الآيتين الخامسة والسادسة من سورة القصص للاستدلال بهما على قصة موسى، عليه الصلاة والسلام، ولكنه أخطأ في نقل لفظهما والآيتان اللتان ذكرهما هما قوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحدرون). فحذف كلمة (منهم) من الآية الثانية فكتبها هكذا: (وجنودهما ما كانوا) فاقتضى التبيّه.

وأعيد القول الذي ردته مراراً أن على من يكتب القرآن التقيد بنصه، وكتابته كما أنزل من عند الله، ولا يُنكر أن للطباعة سهماً من الخطأ ولكن هذا لا يكون عذرًا مسوغاً لمثل هذه الأخطاء الكثيرة في الآيات. والله المستعان.

## الموضع السابع والتسعون:

قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِي ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّكَمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

في ص ٩٢ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلام المؤلف على معنى الآيات كتب الآية كاملة محاطة بقوسین مقدماً لها بعبارة قوله تعالى، ولكنه حذف منها كلمة (منهم) الواقعة بعد الكلمة (ظلموا) فأخذتا برسم الآية والله المستعان.

### الموضع الثامن والتسعون:

قوله تعالى: ﴿...أَلَفَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ ...﴾ [يوسف: ٥١].

في ص ٤٠٣ من الجزء الثاني عند تفسير المؤلف لمفردات الآية كتبها هكذا: (حصص) بحذف الحاء الثانية وعند كلامه على المعنى العام للآيات ص ٤٠٤ ، كتبها كذلك (حصص الحق)، والصواب (حصص).

### الموضع التاسع والتسعون:

قوله تعالى: ﴿...وَيَقُولُونَ يَوْمَنَا ...﴾ [الكهف: ٤٩].

في كلام المؤلف على معنى هذه الآية كتبها هكذا: (ويقولون يا وليتنا) وذلك في ص ٢٦٥٦ ، فاقتضى التبيه على الصواب حماية لكتاب الله الكريم الذي نشرك نحن والمؤلف في الحرص على عدم تغيير لفظ منه بزيادة أو نقص، ولكن الإنسان محل الخطأ والنسيان .

### الموضع المئة:

قوله تعالى:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

عند كلام المؤلف على مفردات هذه الآية في ص ٥٩٠ من الجزء الثاني من تفسيره كتبها هكذا: (فتقدر ملوماً مخذولاً).

فوضع الكلمة (ملوماً) بدل الكلمة (مدموماً) ثم ذهب يفسرها بنفس الكلمة الواردة في القرآن أي: تصير مدموماً – وكان هذه الكلمة لم ترد في الآية فاقتضى الأمر التبيه على ذلك.

## الموضع الواحد بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿...إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

قال المؤلف في ص ٣٦٤ من الجزء الثاني من تفسيره: (ودود) يحب من آناب إليه و قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] ، قال المؤلف في ص ٦٤٩ من الجزء الرابع من تفسيره: (الودود) المتعدد لأوليائه.

قلت: تضمنت هاتان الآياتان من سورة (هود) وسورة (البروج) اسمه تعالى: (الودود)، وبيان المؤلف له غير كافٍ لإيضاح دلالة هذا الاسم الكريم، وقد تكلم على معنى هذا الاسم الكريمشيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في كتابه النبوات ص ٧١ وما بعدها. ومن كلامه: وهو سبحانه العزيز الرحيم الغفور الودود المجيد، والودود فرعون من الود وقال شعيب: إن ربى رحيم ودود، وقال تعالى: (وهو الغفور الودود) فقرنه بالرحيم في موضع وبالغفور في موضع، قال أبو بكر ابن الأنصاري: الودود معناه المحب لعباده، من قولهم وددت الرجل أوده وداً ووداً .. وقال الخطاطي هو اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان: أحدهما أن يكون فعلاً في محل مفعول كما قيل رجل هيوب بمعنى مهيب، ... والله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفونه من إحسانه إليهم، والوجه الآخر أن يكون بمعنى الود أي أنه يود عباده الصالحين، ثم قالشيخ الإسلام ص ٧٣: والبغوي ذكر الأمرين، فقال: وللودود معنيان أن يحب المؤمنين، وقيل هو بمعنى المودود، أي: محظوظ المؤمنين.

وقال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزي في كتابه (جلاء الإفهام في الصلاة والإسلام على خير الأنام) ص ١٨٦ وأما الودود ففيه قوله: أحدهما: أنه بمعنى فاعل وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين.

والثاني: أنه بمعنى مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب

كله وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره ونفسه وجميع محبوباته.

وقد وردت أحاديث تصرح بمحبة الله تعالى لأوليائه من المؤمنين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحْبَبَ عَبْدًا دَعَاهُ جَبَرِيلُ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْنَا فَأَحْبَبَهُ فَيُحِبُّهُ جَبَرِيلُ ثُمَّ يَنادِيهِ فِي السَّمَاوَاتِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبَبَهُ فَيُحِبُّهُ جَبَرِيلُ ثُمَّ يَنادِيهِ فِي السَّمَاوَاتِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبَبَهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ قَالَ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَاهُ جَبَرِيلُ فَيَقُولُ إِنِّي أَبْغَضْنَا فَأَبْغَضَهُ فَيَنادِيهِ جَبَرِيلُ ثُمَّ يَنادِيهِ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ: إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ فَلَانَا فَأَبْغَضُوهُ فَيُبَغْضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ) <sup>(١)</sup>

وعن البراء بن عازب، رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحбهم الله ومن أبغضهم أبغضه الله) <sup>(٢)</sup>

وعن عائشة، رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ (بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأننا أحب أن نقرأ بها فقام رسول الله ﷺ أخبروه أن الله تعالى يحبه) متყق عليه. <sup>(٣)</sup>

### الموضع الثاني بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَانٌ ...﴾ [يوسف: ٣٦].

قال المؤلف ص ٣٩٧ من الجزء الثاني من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات:

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم باب إذا أحب الله عبداً ص ٢٠٣٠ رقم الحديث ٢٦٣٧.

<sup>(٢)</sup> انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ١٦ ج ١، ورياض الصالحين ص ١٧٩.

<sup>(٣)</sup> انظر رياض الصالحين ص ١٨٢ وجامع الأصول ص ٢٥٠.

دخول يوسف السجن بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق  
قلت: ..... (لم أجده للمؤلف تعليقاً) (المراجع)

### الموضع الثالث بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

قال المؤلف ص ٥٤٦ من الجزء الرابع من تفسيره لأخذنا منه باليمين: أي بالقوة أو لأخذنا بيمنيه لقتله.

قلت: فسر المؤلف اليمين بالقوة وفي ذلك احتمال تأويل صفة اليد الثابتة لله تعالى. وهذه الآية من أدلة إثبات صفة اليد اليمين لله عز وجل - وكلتا يدي الرحمن يمين. قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٤١٧: قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش وقيل لأخذنا بيمنيه، فابن كثير، يرحمه الله، ذكر وجهين: أحدهما فيه إثبات صفة اليمين لله والأخر هو أحدا لوجهين اللذين ذكرهما المؤلف. وأما تفسير اليمين بالقوة فهو من التأويل المذموم وقد ذكر الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٤٦٢ عند كلامه على قوله تعالى: ﴿...وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِقَاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ حديثا رواه البخاري فقال: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف، قال البخاري قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء حبر من الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إننا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والشري على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجهه تصديقا لقول الحبر ثم قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، ورواه

البخاري أيضاً في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذى والنمسائى في التفسير من سنتيهما، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقة عن عبدالله، رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على إصبع، والسماءات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والشري على إصبع، قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نوادذه، قال وأنزل الله عز وجل: (ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمنيه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض).

فهذه الأحاديث ثابتة في الصحاح والمسانيد، وهي تتضمن إثبات صفة اليد للله تعالى، وتتضمن كذلك وصف الله بأن له أصابع، وصفة اليد من صفات الذات الثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تفويض ولا تعطيل، كما أن صفات الله كلها هي على ما يليق بعظمته سبحانه من غير تصور لها أنها تشبه صفات المخلوقين فللله صفات تليق بكماله وجلاله، وللمخلوق صفات تليق بنقصه وضعفه. وأما تفسير اليد بأنها بمعنى القوة أو القدرة فهذا من التأويل المذموم وهو صرف للنص عن مراد الله تعالى، حتى ولو قال المؤول إن ذلك فرار من التشبيه وأن المقصود تزييه الله عن مشابهة خلقه، فهذا لا يبيح صرف أسماء الله وصفاته عن مراد الله بها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، يرحمه الله، في كتابه جواب أهل العلم والإيمان ص ١٢١ :

وينبغي للعاقل أن يعرف أن مثل هذه المسائل العظيمة التي هي من أعظم مسائل الدين لم يكن السلف جاهلين بها ولا معرضين عنها؛ بل من لم

يعرف ما قالوه فهو الجاهل بالحق وبأقوال السلف وبما دل عليه الكتاب والسنة، والصواب في جميع مسائل النزاع ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقولهم هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والعقل الصريح وقد بسط هذا في موضع كثيرة والله سبحانه أعلم.

وأعيد القول إن هذه الآية الكريمة من أدلة إثبات صفة اليد لله عز وجل، وهي صفة اليد من صفات الذات لله، سبحانه وتعالى، وصفات الذات هي التي لا تتفك عن الباري، تعالى؛ بل يوصف بها دائماً، مثل اليد<sup>(١)</sup>، ومثل صفة القدم الواردة في الحديث: "حتى يضع الجبار فيها قدمه"، ومثل الوجه الوارد في قوله تعالى: "ويقى وجه ريك" ، وأما صفات الفعل فهي التي يتصرف الله بها متى شاء؛ مثل: المحبة، الواردة في قوله تعالى "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" وقوله عز وجل: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" ، ومثل الغضب الوارد في قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً" ، ومثل الكلام الوارد في قوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليماً" وفي قوله تعالى: "وكلمه ريه" ، وفي قوله تعالى: "ولا يكلمهم الله" ومثل المجيء الوارد في قوله تعالى: "وجاء ريك" والإتيان الوارد في قوله عز وجل: "هل ينظرون إلا يأتיהם الله في ظلل من الغمام والملائكة"

#### **الموضع الرابع بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿وَيَشْتُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ...﴾ [الكهف: ٨٣].

قال المؤلف في ص ٦٧٠ من الجزء الثاني من تفسيره: ذي القرنين: الإسكندر باني الإسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التиابعة وكان عبداً صالحاً. وقال في ص ٦٧١: قلنا يا ذا القرنين : وقد يكون

(١) الواردة في قوله تعالى: بل يدها ميسوطنان، وفي قوله عز وجل: يد الله فوق أيديهم.

نبياً ويكون قول الله هذا له وحياً.

قلت: ذو القرنين غير الإسكندر باني الإسكندرية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين ص ١٨٢ :

والمشهور المتواتر أن أرسطو وزير الإسكندر بن فيليبس كان قبل المسيح بنحو ثلاثة عشر سنة، وكثير من الجهال يحسب أن هذا هو ذو القرنين المذكور في القرآن العظيم، ويعظم أرسطو بكونه كان وزيراً له كما ذكر ذلك ابن سينا وأمثاله من الجهال بأخبار الأمم.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، في كتابه (إغاثة اللھفان) ص ٦٢٠ :

ومن ملوكهم \_ أي ملوك اليونان \_ الإسكندر المقدوني وهو ابن فليبس، وليس هو الإسكندر ذي القرنين، الذي قصّ الله تعالى نبأه في القرآن، بل بينهما قرون كثيرة، وبينهما في الدين أعظم تباين، فذو القرنين كان رجلاً صالحًا موحداً لله تعالى، يؤمن بالله، تعالى، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وكان يغزو عباد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السد بين الناس وبأجوج ومأجوج، وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة. والنصارى تورخ له، وكان أرسطاطاليس وزيره، وكان مشركاً يعبد الأصنام، وهو الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس في عقر داره فثلّ عرشه ومزق ملكه، وفرق جمعه ثم دخل الصين والهند وببلاد الترك؛ فقتل وسبى، وكان لليونانيين في دولته عز وسطوة سبب وزيره أرسطو فإنه كان مشيره ووزيره ومدير مملكته.

### الموضع الخامس بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ...﴾ [طه: ١١٤].

قال المؤلف في ص ٧٩ من الجزء الثالث من تفسيره عند شرحه للكلمات: (فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ) أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون، ثم

قال عند الكلام على معنى الآيات ص ٧٩ :

فإن الله تعالى يخبر عن علوه عن سائر خلقه وملكه لهم، وتصرفة فيهم وقهره لهم، ومن ثم فهو متزه عن الشريك والولد، وكل نقص يصفه به المفترون الكاذبون.

وقال عند كلامه على هداية الآيات ص ٨٠ : إثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم، وتنزهه عن الولد والشريك، وكل نقص وصفه به المبطلون.

قلت: عند كلام المؤلف عن معاني هذه المفردات المهمة المتعلقة بصفات الله تعالى، وأسمائه الحسنى، أطال الكلام عليها ولم肯ه لم يوضح معناها على الوجه اللائق بالله عز وجل، وكلامه يدور على تفسير صفة العلو بـ (علو الْقَهْر) وعدم تفسيره لاسمه تعالى (الْمَلِك) واسمه تعالى (الْحَق).

وقد قال الإمام ابن جرير الطبرى، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢١٩ / ١٦ : يقول تعالى ذكره: فارتَّقَ الذِّي لَهُ الْعِبادَةُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْمَلِكُ الَّذِي قَهَرَ سُلْطَانَهُ كُلَّ مَلِكٍ وَجَبَارٍ، الْحَقُّ عَمَّا يَصِفُّهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ خَلْقِهِ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ص ١٩٣ / ٥ : (فَتَعَالَى اللَّهُ): أي جل وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة الملك، الذي الملك وصفه، والخلق كلهم مماليك له، وأحكام الملك القدرية والشرعية نافذة فيهم، الحق: أي وجوده وملكه وكماله حق.

صفات الكمال لا تكون حقيقة إلا لذى الجلال ومن ذلك : الملك؛ فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات على بعض الأشياء؛ فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما رب فلا يزال ولا يزول، ملكاً حياً قيوماً جليلاً.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، أيضاً، عند تفسيره لأسماء الله الحسنى في تفسيره ص ٦٢٠ - ٦٢١ : الملك المالك الذي له الملك : فهو

الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبراء والقهر والتدبر، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزء، وله جميع العالم العلوي والسفلي كلهم عبيد ومماليك ومضطرون إليه.

وقال الإمام ابن كثير ، يرحمه الله ، في تفسيره ص ١٦٦ / ٣ : (فتعالى الله الملك الحق) ، أي: تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده ووعيده حق ، ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق ، وعدله تعالى ألا يعذب أحداً قبل الإنذار وبعثة الرسل ، والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة.

### الموضع السادس بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْبَرَنَا رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].  
قال المؤلف في ص ٨١ من الجزء الثالث من تفسيره: (فاجتباه ربها).  
قلت: قد أبدل المؤلف (ثم) بالفاء وبسبب ذلك فقد تغير نص القرآن.  
فكان الصواب الالتزام بنص القرآن وهذا كما ترى يحصل كثيراً،  
ويندو أنه وفقه الله . يكتب القرآن من حفظه . والله أعلم.

### الموضع السابع بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ...﴾ [طه: ١٣١].  
قال المؤلف في ص ٨٦ من الجزء الثالث من تفسيره: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به رجالاً منهم).  
فأبدل أزواجاً (رجالاً) . وكان الأصح لو لزم نص القرآن كما ورد. والله أعلم.

### الموضع الثامن بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَاً وَلَئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ...﴾ [فاطر: ٤١].

ص ٣/٦٤١: عند كلام المؤلف على معنى الآية كتبها هكذا: (ما

أمسكهما أحد (من بعده) فغير في لفظ الآية من وجهين:

الأول: وضع (ما) بدلاً من (إن) الثابتة بالآية .

الثاني: حذف حر الجر (من) الواقع قبل (أحد).

وعند شرحه للمفردات كتب (من بعده) هكذا (من بعد) فحذف الضمير، وتعود لنقول إن هذا يتكرر ولا يكاد يخلو منه صفة، فهل كل هذا من الطباعة؟

### الموضع التاسع بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿...فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

قال المؤلف في ص ٩٩ من الجزء الثالث من تفسيره: (رب العرش) أي خالقه وماليكه.

قلت: ذكر العرش في القرآن يدل على معنى أكثر من وصف هذا العرش بأنه مخلوق؛ إذ أن هذا الوصف يصدق على المخلوقات كافة.... وهذا الوصف الذي يختص به العرش هو استواء الله عليه. وممن أشار إلى هذا المعنى الإمام الحافظ الذهبي، يرحمه الله، في كتابه (العلو للعلي الغفار) الذي اختصره وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، يرحمه الله، وقد جرى الإشارة إلى ذلك عند التبليغ على تفسير المؤلف لقوله تعالى: (ذو العرش المجيد) من سورة البروج ، والله أعلم.

### الموضع العاشر بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

قال المؤلف في ص ١٧٣ من الجزء الثالث من تفسيره: ذلك بأن الله هو الحق : أي المعبود الحق، المستحق للعبادة، وأن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل، أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرة أوليائه كان؛ لأن الله هو الإله الحق، وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو

الباطل، وأن الله هو العلي على خلقه القاهر لهم المتكبر عليهم العظيم الذي ليس شيء أعظم منه.

قلت: في كلام المؤلف مأخذ منها قصور في توضيح اسمه تعالى (الحق)، ومنها أنه قصر معنى العلو المراد في الآية على (علو القدر)، وهذا يتكرر كثيراً ويعبارات مختلفة وضوحاً وغموضاً، وقصور ببيان اسمه تعالى (الكبير)، ويظهر معنى الآية وتبعاً لذلك يظهر معنى هذه الأسماء الحسنى بنقل كلام المفسرين السائرين على نهج السلف من أهل السنة والجماعة حول هذه الآية، فقد قال الإمام ابن جرير الطبّري، يرحمه الله، في تفسيره<sup>(١)</sup>: يعني، تعالى ذكره، بقوله ذلك، هذا الفعل الذي فعلت: من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل؛ لأنني أنا الحق الذي لا مثيل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إليها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء؛ بل هو المصنوع، يقول تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو قادر على كل شيء، وكل شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تتفعكم عبادته وقوله: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) يعني بقوله (الْعَلِيُّ) ذو العلو على كل شيء هو فوق كل شيء، وكل شيء دونه (الْكَبِيرُ ) يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: ص ٢٣٢:

ذلك بأن الله هو الحق : أي الإله الحق الذي لا تتبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن، وكل شيء فقير إليه ذليل لديه (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)، أي من الأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل؛ لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً وقوله: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) كما قال: (وهو العلي

<sup>(١)</sup> تفسير الطبرى ١٩٦ / ١٧ .

**العظيم**، وقال: (وهو **الكبير المتعال**)؛ فكل شيء تحت قهره وسلطانه عظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، **الكبير** الذي لا أكبر منه، تعالى وقدس وتزه عزوجل عما يقول **الظالمون** المعتدلون علواً كبيراً.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، يرحمه الله ، في تفسيره ٥ / ٣١٦: "ذلك" صاحب الحكم والأحكام (**بأن الله هو الحق**)، أي الثابت الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد الذي وعده حق ولقاوه حق ودينه حق وعبادته هي الحق النافعة الباقية على الدوام .

(وأن ما يدعون من دونه) من الأصنام والأنداد من الحيوانات والجمادات . (هو **الباطل**) الذي هو باطل في نفسه وعبادته باطلة؛ لأنها متعلقة بمضمحل فإن؛ فتبطل تبعاً لغايتها ومقصودها، (**وأن الله هو العلي الكبير**) العلي في ذاته فهو عالي على جميع المخلوقات، وفي قدره فهو كامل الصفات وفي قهره لجميع المخلوقات. (**الكبير**) في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته الذي من عظمته وكبرياته أن الأرض قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمنيه، ومن كبرياته أن كرسيه وسع السموات والأرض، ومن عظمته وكبرياته أن نواصي العباد بيده؛ فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإراداته .

وحقيقة **الكربلاء** التي لا يعلمها إلا هو، لا ملك مقرب ولانبي مرسل أنها كل صفة كمال وجلال وكربلاء عظمة، فهي ثابتة له وله من تلك الصفة أجلها وأكملها. ومن كبرياته أن العبادات كلها الصادرة من أهل السموات والأرض كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله، ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات **الكبار** كالصلوة وغيرها .

قلت: بنقل كلام هؤلاء الأئمة من المفسرين يتضح معنى الآية ومعنى ما تضمنته من الأسماء الحسنة ، فالحمد لله والله أعلم.

## **الموضع الحادي عشر بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَكُ لَكُمْ...﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال المؤلف في ص ٥٧٧ من الجزء الثالث من تفسيره يا أيها الذين آمنوا: أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به.

قلت: قد جرى التبيه على أن معنى الإيمان شرعاً: هو قول وعمل واعتقاد وأنه ليس مجرد التصديق، وذلك عند الكلام على تفسير المؤلف للآلية من سورة البقرة وقد تم هناك نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن عبيد القاسم بن سلام . كما جرى نقل كلام الشيخ صالح بن فوزان في تعقيباته وملاحظاته على كتاب صفوة التفاسير، وذلك عند الكلام على تفسير المؤلف للآلية الثالثة والستين من سورة يونس.

## **الموضع الثاني عشر بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿... وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

قال المؤلف في ص ٤٨٣ من الجزء الثالث من تفسيره: وهو العزيز الحكيم: أي الغالب على أمره الحكيم في قضايه وتصرفه.

قلت: ختمت هذه الآية الكريمة باسمين من أسماء الله الحسنى وهما : (العزيز) و (الحكيم) وقد فسرهما المؤلف ببعض ما يدلان عليه وقد جرى الكلام عليهم في عدة مواضع من هذه التبيهات منها ما كتب على قوله تعالى: ﴿... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

وتم هناك نقل شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الحافظ ابن كثير والشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحم الله الجميع.

ومما تم نقله هناك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: والعزة تتضمن القدرة

والشدة والامتناع والغلبة، تقول العرب عَز يعز بفتح العين إذا صُلب  
وعَز يُعز بضمها إذا غلب، فهو سبحانه في نفسه قوي متين، وهو منيع لا  
ينال وهو غالب لا يغلب.

ثم تكلم، يرحمه الله، عن اسمه تعالى: (الحكيم) فقال ، يرحمه الله،  
والحكيم يتضمن حكمه وعلمه وحكمته فيما يقوله ويفعله، فإذا أمر  
بأمر كان حسناً وإذا أخبر يخبر كان صدقاً، وقد ذكر الإمام ابن قيم  
الجوزية كلاماً عن ختم آيات القرآن بالأسماء والصفات فقال، يرحمه  
الله، في كتابه (شفاء العليل) ص ٤٠٩: وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء  
والصفات وجدت كلامه مختتماً بذكر الصفة التي يقتضيها ذلك المقام،  
حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له، وهذا كقوله: إن تعذبهم  
فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، أي فإن مفترتك  
لهم مصدر عن عزة هي كمال القدرة لا عن عجز وجهل، وقوله: ذلك  
تقدير العزيز العليم، في عدة مواضع من القرآن يذكر عقيب ذكره  
الأجرام العلوية، وما تضمنه من فلق الإصباح وجعل الليل سكناً، وإجراء  
الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه، وتزيين السماء الدنيا بالنجوم  
وحراستها، وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه  
ليس أمراً اتفاقياً لا يمدح به فاعله ولا يُشى عليه به كسائر الأمور  
الاتفاقية.

ومن هذا ختمه سبحانه قصص الأنبياء واممهم في سورة الشعراة عقيب  
كل قصة: وإن ربك لهو العزيز الرحيم.

فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة؛ فوضع  
الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسنه وأتباعهم  
برحمته، والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهي غاية  
ال فعل لا أنها أمر اتفاقي.

## الموضع الثالث عشر بعد المئة:

قوله تعالى:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَّا عَارِفُكَ بِهِ...﴾ [النمل: ٤٠].

قال المؤلف في ص ٣٥٤ من الجزء الثالث من تفسيره: وقال الذي عنده علم من الكتاب: أي: سليمان عليه السلام.

قلت: المأخذ على المؤلف من وجهين، الأول: رسمه للأية حيث أضاف إليها واواً فقال "وقال" مع عدم وجود هذه الواو في القرآن فيلزم التقيد بنص القرآن.

والثاني تفسيره الذي عنده علم من الكتاب بـ "سليمان عليه الصلاة والسلام"، وهو ليس كذلك؛ فالذي عنده علم من الكتاب قد اختلف في اسمه، ولا طائل تحت معرفة اسمه، وقد نقل ابن جرير عن مجاهد / ١٦٢ / ١٩: قوله: هو رجل من الإنس، وفي قول آخر نقله ابن جرير / ١٦٣ / ١٩: قال هو أصف، وقال ابن كثير ٢٦٤ / ٣: عن ابن عباس: هو أصف كاتب سليمان.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ٥ / ٥٧٩ : قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له : أصف بن برخيا، كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وإذا سأله أعطى.

قلت: قد نقل النجاشي في تعليقه على تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، نقل القول بأن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه الصلاة والسلام، وقد نقل ذلك عن حاشية الصاوي على الجلالين فرد عليه الشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام قائلاً<sup>(١)</sup>:

قلت: وهذه من الخرافات التي لا خطام لها ولا زمام، فهل يليق بكتاب الله هذا الهراء؟ وينبغي من أنبياء الله أن ينسب إليه هذا؟ لأن يخاطب

(١) انظر : كشف الستار عن تعليق وتلقيق النجاشي . تأليف محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام.

نفسه مخاطبة الرجل للرجل بأن يقول لنفسه: أنا أتريك به قبل أن يرتد إليك طرفك، ومع ذلك يرجع هذه الخرافات التي يضحك منها الصبيان، ويقول: فلذلك عول المحققون على هذه الرواية، ولم يذكر أحداً من محققيه فهم نفسه وأمثاله من كل ذي فهم قاصر وعادم للبصيرة، وهذه الخرافات لا تحتاج إلى تفنيدها فإنها واضحة لكل ذي عينين.

انتهى.

وقد حكى الفخر الرازى في تفسيره ج ٥ ص ٢٤ ١٩٧ أقوالاً في اسم الذي عنده علم من الكتاب، ومن ضمنها قوله: وثانيها وهو المشهور من قول ابن عباس، رضي الله عنه، أنه آصف بن برخيا وزير سليمان وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم إذا دعا به أجيب.

#### **الموضع الرابع عشر بعد المائة:**

قوله تعالى: ﴿...وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨].

قال المؤلف في ص ٣٧٣ من الجزء الثالث من تفسيره وهو العزيز العليم: الغالب على أمره العليم بخلقه.

قلت: الكلام على هذين الاسمين الشرقيين من أسماء الله الحسنى قد جرى في عدة مواضع من هذه التبيهات، فقد نبهت على معنى اسمه تعالى: (العزيز) عند الكلام على تفسير المؤلف للأية الأولى من سورة الحديد.

ومما يوضح اسمه تعالى: (العزيز) قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره ٦٢٤/٥: العزيز: الذي له العزة كلها عزة القوة وعزيمة الغلبة وعزيمة الامتناع، فامتلك أن يناله أحد من المخلوقات، وفهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.<sup>(١)</sup>

(١) وقد ذكر الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ، يرحمه الله ، شيئاً من ثمرات الإيمان باسمه تعالى: (العزيز) وما قاربه في المعنى كالعظيم والجليل ، فقال ، يرحمه الله ، في كتابه مفتاح دار السعادة ص ٩٠ ج ٢ : وكذلك معرفته

وأما اسمه تعالى: (العليم) فمما يوضحه قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢/١٢٠ : فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها مستفرق لجميع معناها، وذلك نحو (العليم) الدال على أن له علماً محظياً عاماً لجميع الأشياء فلا يخرج من علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وقال، يرحمه الله، أيضاً في تفسيره: ١/٧٢: العليم الذي أحاط علماً بكل شيء فلا يغيب عنه، ولا يعزب مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وقال ، يرحمه الله، ص ٣١٤ / ١: ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط، وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلة التي لا نهاية لها، وما خلفهم من الأمور الماضية، لتي لا حد لها وأنه لا يخفي عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، وأن الخلق لا يحيط أحد بشيء من علم الله ومعلوماته إلا بما شاء منها، وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جداً مضمحل في علوم الباري ومعلوماته، كما قال أعلم الخلق به وهم الرسل والملائكة: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْتَنَا. وَاللَّهُ أَعْلَمْ.

### الموضع الخامس عشر بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿...قَالَ عَسَى رَبِّتْ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

قال المؤلف في ص ٣٩١ من الجزء الثالث من تفسيره عند كلامه على معنى الآية: قال: (عسى أن يهديني ربى سواء السبيل) فقدم وأخر في كلمات الآية مما غير نص القرآن ، وكان الأصح الالتزام بالنص درءاً للاشتباه على القارئ، والله المستعان .

---

بحلال الله تعالى وعظمته وعزه تشر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتشمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها .

## **الموضع السادس عشر بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّا أَشَأْنَا فُرُونَا ... ﴾ [القصص: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ ...فَيَقُولُوا رَبُّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ... ﴾ [القصص: ٤٧].

عند كلام المؤلف على معنى هاتين الآيتين في ص ٤٠٣ من الجزء الثالث أخطأ في رسمهما وحذف بعض الكلمات وغير البعض الآخر.

ففي قوله تعالى: (ولكنا أنشأنا قرونًا) كتبها: (ولكنا أنشأت قرونًا) بضمير المتكلم الواحد.

وفي قوله تعالى: (فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) حذف كلمة (ربنا) وكتبها هكذا (فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا).

وكان على الشيخ أن ينقل نصوص القرآن كما وردت دون تغيير.

## **الموضع السابع عشر بعد المئة:**

قوله تعالى : ﴿ ... وَأَحَسِنْ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ... قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ... ﴾ [القصص: ٧٧ - ٧٨].

عند كلام المؤلف على معنى الآيات في ص ٤٢٩ من الجزء الثالث من تفسيره، أخطأ في إيراد النصين السابقين من القرآن الكريم بالحذف مرة ويتبدل كلمة بأخرى مرة ففي النص الأول وهو قوله تعالى: (كما أحسن الله إليك) كتبه هكذا: (كما أحسن) ووضع هذه الجملة بين قوسين ثم قال بعدها : أي الله تعالى . موهماً أنها نص الجلالية لم يرد بنص الآية وهو من نصها فليتأمل.

وفي النص الثاني وهو قوله تعالى: (قال إنما أوتته) أورده هكذا: (قد أوتته) ووضع هذه العبارة بين قوسين موهماً أنها نص القرآن وليس الأمر كذلك كما تقدم.

وأقول إنه يتكرر في هذا التفسير تغيير كلمات القرآن وأياته بإبدال كلمة بأخرى، وبالحذف والزيادة وغير ذلك من صور التغيير مع وضع

العبارات، التي يعتقد الشيخ أنها هي القرآن محاطة بأقواس، وهذا وللأسف وإن كان غير مقصود؛ إلا أنه يلبس على القارئ ولا سيما صغار الطلبة ومن لم يقرأ القرآن قراءة متقدمة، فكان على فضيلته التثبت والتحري وإيراد نصوص كتاب الله كما أنزلت من عند الله . فالله المستعان.

### الموضع الثامن عشر بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... ثُرَّ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [السجدة: ٤].

قال المؤلف في ص ٥٢٣ من الجزء الثالث من تفسيره : أي استوى على عرشه يدبر أمر خليقه.

قلت: تفسير المؤلف للاستواء وهو إعادة لنص القرآن وليس فيه إيضاح للمعنى الشرعي للاستواء، وقد جرى إيضاح معنى الاستواء عند السلف من أهل السنة والجماعة، وذلك عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [يونس: ٣].

وتم هناك الإشارة إلى أن الاستواء عند السلف يطلق على أربعة معانٍ هي الاستقرار، والعلو، والارتفاع، والصعود، وجرى نقل كلام السلف الموضح لهذا المعنى. من ضمن ذلك قول الشيخ صالح الفوزان في تعليقاته على قول الصابوني: استواء يليق بجلاله، والاكتفاء بها تفسيراً للاستواء، فقال الشيخ تعليقاً على ذلك: وقد كرر هذه العبارة على جميع آيات الاستواء السبع، ومعناها التفويض؛ حيث لم يفسر الاستواء بما فسره به السلف من أنه العلو والارتفاع، مع تفويض الكيفية، وهذه طريقة الأشاعرة. قلت قد جرى نقل تفسير السلف للاستواء بما يعني عن إعادته هنا. والله أعلم.

## **الموضع التاسع عشر بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٌ ...﴾ [سباء: ٤٣].

عند تفسير المؤلف للمعنى العام للآيات في ص ٦١٥ من الجزء الثالث من تفسيره كتب قوله تعالى: (افتراه) وكتب قوله تعالى: (وما بلفوا) (ولم يبلغوا).

وكذلك كتب (فلا فوت) في الآية الحادية والخمسين من السورة كتبها في ص ٦١٩: (فلا فوت لهم). فكان يلزم فضيلته كتابة نص القرآن كما ورد. والله أعلم.

## **الموضع العشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

قال المؤلف في ص ٦٢٠ من الجزء الثاني من تفسيره عند شرحه لهذين الأسمين الكريمين من أسماء الله عز وجل، قال : أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبيره وصنعه. وشرحه لهذين الأسمين الشريفين لا يخلو من قصور، وقد جرى إيضاح معناهما في عدة مواضع من هذه التبيهات؛ فاسمه تعالى (العزيز) جرى شرحه عند الكلام على تفسيره للآية الأولى من سورة الحديد.

كذلك اسمه تعالى (الحكيم) جرى الكلام عليه عند تفسير المؤلف للآية الأولى من سورة الحديد، وعند تفسيره للآية السابعة والعشرين من سورة الروم . فالله أعلم.

## **الموضع الواحد والعشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...وَيُولَجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيلِ ...﴾ [فاطر: ١٣].

عند تفسير المؤلف لهذه الجملة من الآية في ص ٦٢٨ من الجزء الثالث من تفسيره، كتبها هكذا: (ويدخل النهار في الليل) ثم فسرها معتبراً هذه الجملة هي نص القرآن وليس كذلك . وقد جرى التبيه على مثل هذا

الخطأ عدة مرات في موضع مختلف . والله أعلم.

### **الموضع الثاني والعشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَاءُ يَذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ۱۶].

عند تفسير المؤلف لهذه الآية في ص ٦٣٠ من الجزء الثالث من تفسيره قال: (إن يشاء يذهبكم ويأت بآخرين).

وهذا ليس هو النص الوارد في السورة؛ فيلزم التحري والتثبت بنقل نصوص القرآن المجيد . والله المستعان.

### **الموضع الثالث والعشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّا أَخْرِجَنَا ...﴾ [فاطر: ۳۷].

في ص ٦٣٨ من الجزء الثالث من تفسيره قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية: (وهم يصطرخون فيها يقولون) ثم فسرها على أن هذا نص الآية، مع العلم بأن كلمة (يقولون) ليست من نص القرآن . والله أعلم.

### **الموضع الرابع والعشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي مَانَسْتُ نَارًا سَعَيْتُكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ لَمْ أَتِكُمْ شَهَابٌ قَبِيسٌ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوتُ﴾ [النمل: ٧].

قال المؤلف في ص ٣٤٤ من الجزء الثالث من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات: قيومية الرجل على النساء والأطفال.

قلت: كلمة: القيومية، تطلق عند الكلام على وصف الله (الحي القيوم) فيقال: لله تعالى كمال الحياة والقيومية، وأما قيام الرجل على المرأة فيطلق عليه القوامة. وقد وردت عبارة القيومية موصوفاً بها الله عز وجل في كتاب (تلخيص كتاب الاستفادة) لابن تيمية ص ١٩٥/١٩٦، وممن أورد هذه العبارة الشيخ عبد العزيز بن سليمان في كتابه (الكاف الشافي الجلي عن معاني الواسطية) حيث قال ص ١٢٤: إثبات القيومية لله.

وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره قال ص ١٣٤ : ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة، أي: نعاس ولا نوم.

### الموضع الخامس والعشرون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿ وَتَقَدَّمَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَى هُدًى أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِيرِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ... إِلَهٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٦].

قال المؤلف في ص ٣٥٠ من الجزء الثالث من تفسيره مشروعيه اتخاذ طائرات الاستكشاف ودراسة جغرافية العالم.

١ - سليمان عليه السلام لم يبعث الهدى.

٢ - التعبير يشعر بالمشروعية، وهي ما يحتمل الوجوب أو الاستحباب، والأصل في العادات الإباحة إلا ما ورد استثناؤه، وليس في المسلمين من ينكرا الصناعة وما يستعان به على طاعة الله حتى يحتاج إلى إثبات المشروعية، وليس كل فرد مطالباً بها.

ودراسة جغرافية العالم ليست مشروعة على الأعيان للحاجة حسب تقدير أهل الشأن.

وقال في ص ٣٥٠ أيضاً: وصف الرب تعالى بالعرش العظيم .

قلت: لا أرى وجهاً سليماً لاستبطاط المؤلف مشروعية اتخاذ طائرات الاستكشاف، ودراسة جغرافية العالم؛ لأن القرآن العظيم نزل من عند الله تعالى كتاب هداية للبشر وليس لتقرير هذه العلوم العصرية وأمثالها قال تعالى: ﴿ يَأَهِلَّ الْكِتَبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَكِتَابٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ ١٥﴾

رِحْمَوْنَكُهُ، سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ  
يَوْمَئِنْهُ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٥-١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هُنَّ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَيْرًا﴾ [الإسراء: ٩]، فالقرآن هدى وبشرى.  
وقد حاول كثير من المفسرين والمفكرين المعاصرين استنباط كثير من  
نظرياتهم ومقولاتهم من القرآن، والاستدلال عليها بالقرآن؛ فحملوا  
القرآن من ذلك مالا يحتمله، وكثير منهم هدفه إثبات أن القرآن سبق إلى  
هذه العلوم والنظريات قبل البشر، ولكن حسن النية وسلامة الهدف لا  
تكفي لمثل هذا، فإذا حصل الانسياق وراء هذه المقولات وأمثالها وإثبات  
أن القرآن دل على هذه النظرية وتلك المسماة حقيقة، أخرجنا كتاب الله  
عن هدفه الأسمى. فلندع هذا؛ فكتاب الله حق وصدق سواء دل على  
شيء من ذلك أم لا. والله أعلم.

وأما قوله وصف الرب تعالى بالعرش العظيم ، فهي عبارة غير سليمة  
التركيب فالله سبحانه لا يوصف بالعرش؛ بل يوصف بالاستواء على  
العرش. وقد ذكر الإمام الذهبي من أدلة علو الله على خلقه أمثال هذه  
الآية، وقد جرى إثبات النص عنه على ذلك في مواضع من هذه التبيهات،  
والله أعلم.

### الموضع السادس والعشرون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ [سبأ: ٣٩].  
في ص ٦١٢ من الجزء الثالث من تفسيره عند كلامه على معنى الآيات  
كتب المؤلف هذا الجزء من الآية هكذا: (قل إن رب يبسط الرزق لمن  
يشاء ويقدر).

وأحاطه بأقواس وقدم له عبارة (قوله تعالى) مع أنه حذف منه كلمتين  
هما (من عباده) وبهذا فقد غير لفظ الآية، ولا جديد في هذا فما أكثر

ما يغير في الآيات بالحذف والزيادة، وإبدال كلمة بأخرى هو خلط عجيب يظهر للمتأمل.

### الموضع السابع والعشرون بعد المائة:

قوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْسَاءٌ مِّنْ بَعْدِ وَلَآ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكُ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

قال المؤلف في ص ٥٧٤ من الجزء الثالث: (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن امرأة..) ثم ذهب يفسرها – فقد نزع من الآية الكلمة (حسنهن) ووضع بدلاً منها (حسن امرأة)، ووضع أمامها تفسيراً لها مشعراً بذلك أن هذا النص أي (حسن امرأة) هو نص من القرآن الكريم، وليس الأمر كذلك، وأقول: سبحان الله ما أكثر نظائر هذه الزلة، وأين نحن من واجبنا تجاه كتاب الله وما يلزمها من صيانته، والمحافظة عليه لفظاً ومعنىًّا، وقد ألمحت مراراً إلى أن هذا الأمر كثير وكثير في هذا التفسير، فلا تكاد تخلو مجموعة من الآيات كتبها المؤلف ليفسرها. لا تكاد تخلو من هذا ولعل هذا الأمر وهذا النوع من الأغلاط أخطر من الأغلاط في التفسير وهي كثيرة. وبقولنا أن هذا أخطر؛ فنحن لا نقلل من شأن الزلات التي تحصل عند الكلام على معنى الآيات؛ فقد قال أحد الصحابة أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت بكتاب الله من غير علم. فكلا الأمرين غير مقبول ولا سائغ فالله الهادي.

### الموضع الثامن والعشرون بعد المائة:

قوله تعالى: ﴿ ... قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

في ص ٥٧٣ من الجزء الثالث من تفسيره وعند كلامه على هذا الجزء من الآية كتبه هكذا: (قد علمنا ما فرضنا عليك) مقدماً له بعبارة (قوله تعالى) وهذه العبارة تقتضي أن يكون هذا النص قرآنًا، فانظر تعلم.

## **الموضع التاسع والعشرون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَا وَيَحْقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠]. في ص ٦٦٦ من الجزء الثالث من تفسيره وعند شرحه لمفردات الآية كتبها هكذا: (ويحق القول على الكفارين) فغير النص، وعلى تقدير أنها قراءة؛ فيلزمها التبيه على ذلك، ويبعد أن يريد بها قراءة؛ إذ أنه بكتابته للأيات كاملة سجلها هكذا (الكافرين) فالله أعلم.

## **الموضع الثلاثون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ ... كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسَمًّى ... ﴾ [فاطر: ١٣]. في ص ٦٢٧ من الجزء الثالث من تفسيره وعند كلامه على شرح كلمات الآية رسم هذا الجزء من الآية هكذا(كل يجري إلى أجل مسمى) فنزع اللام ووضع بدلاً منها إلى، وهذا تغيير لنص القرآن الكريم يخالف ما يلزمنا من حمايته والمحافظة على ألفاظه كما أنزلت عند الله . وهو لا شك خطأ غير مقصود.

## **الموضع الواحد والثلاثون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكَذِّبُونَ ﴾ [يس: ١٥].

في ص ٦٤٨ من الجزء الثالث من تفسيره، وعندما أراد المؤلف توضيح معنى هذه الآية كتبها هكذا: (قالوا...) وبهذا فقد أوهم القارئ أن الفاء التي قبل (قالوا) هي من نص القرآن، وهي ليست كذلك وعلى تقدير أنها تفسير وإيضاح فتكتب بائنة عن نص القرآن بشكل يميزها.

## **الموضع الثاني والثلاثون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ ... فَاغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ ﴾ [يس: ٩]. في ص ٦٤٦ من الجزء الثالث من تفسيره وعندما أراد المؤلف بيان معنى

هذه الآية دونها كالتالي: (وأغشيناهم) مقدماً لها بعبارة: وقوله تعالى: فقد نزع الفاء التي في أول الكلمة ووضع بدلاً منها واواً، وبهذا أخل بالالتزام بنص القرآن الكريم.

### الموضع الثالث والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ...﴾ [فاطر: ٣٢].

في ص: ٦٣٧ من الجزء الثالث من تفسيره عند ما أراد المؤلف إيضاح معنى هذه الجملة من الآية سجلها هكذا: (ومنهم سبق للخيرات بإذن الله): فقد حذف الباء الواقعة قبل (الخيرات) ووضع بدلاً منها اللام على منهجه الذي سلكه ومضى التبيه على مواضع منه، والله أعلم.

### الموضع الرابع والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحَّامِ﴾ [الصفات: ٢٣].

عند تفسير المؤلف لهذه الجملة في ص ٦٧٥ من الجزء الثالث كتبها: (فاهدوهم إلى صراط مستقيم)، ولكن تفسيره لها يطابق لنص الآية حيث قال: أي إلى طريق النار، وكذلك عند كلامه على المعنى للأية في الصفحة التالية كتبها كتابة سليمة.

### الموضع الخامس والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ...﴾ [العنكبوت: ٣].

عند شرح المؤلف لكلمات هذه الآية ص ٤٢٩ من الجزء الثالث من تفسيره كتبها هكذا: (فليعلمون الذين صدقوا): بإسقاط اسم الجلالة، فغير النص الثابت في القرآن الكريم، والله أعلم.

### الموضع السادس والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا عَبَدُوكُمْ ... ...﴾ [الصفات: ١٦١].

في ص ٧٠٠ الجزء الثالث عندما أراد المؤلف توضيح معنى هذه الكلمات

من كتاب الله كتبها هكذا: (فَإِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ).  
فاحاط الكلام بقوسين ، ولا شك أن المعبود أصنام ، ولكن المأخذ على  
المؤلف هو ضمه القرآن مع التفسير وإحاطة الجميع بقوسين؛ مما قد يلبس  
على من لا يتقن القرآن، فيظن أن الجميع من كتاب الله ، وليس الأمر  
كذلك.

### الموضع السابع والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... أَوَلَمْ يَكُنْ فُرُّوا بِمَا أُوتُوا مُوسَىٰ مِنْ قَبْلٍ قَالُوا سِحْرٌ نَّظَاهِرًا ...﴾ [القصص: ٤٨].

في ص ٤٠٥ من الجزء الثالث من تفسيره عند ما أراد المؤلف  
توضيح معنى هذا الجزء من الآية كتبها هكذا: (أو لم يكفروا بما  
أوتى موسى من قبل وقالوا سحران ظاهرا).

فزاد واواً قبل الكلمة (قالوا) وأحاط الجميع بقوسين مقدماً لها بعبارة:  
قوله تعالى: مما يوهم أن الجميع قرآن، وليس الأمر كذلك فالواو  
للتفسير، أو وهم من المؤلف.

### الموضع الثامن والثلاثون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَّةَ بِغَيْرِهِ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ ...﴾ [القصص: ٥٠].

في ص ٤٠٥ من الجزء الثالث من تفسيره وعندما أراد المؤلف الكلام على  
معنى هذه الكلمات من الآية كتبها هكذا (ومن أضل من اتبع هواه  
بغير علم) فنزع الكلمات (هدى من الله) وضع بدلاً منها (علم) فتصرف  
في الآية، عن غير قصد، وغير نصها الثابت.

## **الموضع التاسع والثلاثون بعد المئة:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، ص ٦٤ من الجزء الثالث من تفسيره، وعندما أراد المؤلف الكلام على معنى هذه الجملة قال: (وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وأحاط الجميع بأقواس موهماً أن الجميع قرآن، ومعلوم أن الواو ليست من القرآن؛ بل هي تفسير، ولكن إدخالها ضمن أقواس الآية والتقديم لها بعبارة قوله تعالى يوهم أن الجميع قرآن.

ولا شك أن القارئ يلاحظ مثل هذا، ويدرك مدى الخطر من تكراره مرة بعد أخرى.

## **الموضع الأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ...﴾ [القصص: ٥٨]. عندما أراد المؤلف شرح هذا الجزء من الآية في ص ١٠ من الجزء الثالث من تفسيره كتب النص هكذا (وَكُمْ أَهْلَكْنَا فِي قَرْيَةٍ) مقدماً للنص بعبارة، قوله تعالى، ومحيطاً له بأقواس مما غير لفظ القرآن فقد نزع كلمة (من) الواقعة قبل (قرية) ووضع بدلاً منها (في) فغير نص القرآن المجيد.

## **الموضع الواحد والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالآخِرَةِ...﴾ [القصص: ٧٠] ، في ص ١٥ من الجزء الثالث من تفسيره، وعندما أراد المؤلف شرح هذه الجملة كتب النص هكذا (وَفِي الْآخِرَةِ) فزاد (في) على نص القرآن، ثم شرحه موهماً أن هذه الكلمة داخلة في لفظ القرآن العظيم.

## **الموضع الثاني والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿.....ولنجزِّنَهُمْ أَحْسَنَ الذِّي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]. عندما أراد المؤلف توضيح معنى هذه الآية في ص ٤٢٩ من الجزء الثالث من تفسيره، كتب النص هكذا: ولنجزينهم بأحسن الذي ... فزاد الباء قبل "أحسن" غير النص، وإذا كان يقصد أن هذه الباء للإيضاح والتفسير؛ فعليه تمييزها عن نص القرآن.

## **الموضع الثالث والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ...﴾ [العنكبوت: ٥]. في ص ٤٣٠ من الجزء الثالث من تفسيره عندما أراد المؤلف إيضاح معنى هذه الآية استدل بآية أخرى نظيرة لها في المعنى، وهي قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلَا يَعْمَلُ عَهْلًا صَدِلْحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وهي الآية الأخيرة من سورة الكهف، ورقهما: الآية العاشرة بعد المئة، ولكن المؤلف كتب بعدها رقم (١١٥) مشعرًا أن هذا هو رقمها، وقد تقدم أن هذه الآية هي الأخيرة من سورة الكهف، وأن رقمها مائة وعشرون؛ إذ لا يوجد في سورة الكهف آية رقمها (١١٥).

## **الموضع الرابع والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى:

﴿...وَاتَّقِنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥]. عند تفسير المؤلف لهذه الكلمات من الآية في ص ٥٧٩ من الجزء الثالث من تفسيره دون النص هكذا (واتقين الله إن الله كان بكل شيء عليماً). مقدماً لهذه الجملة بعبارة وقوله تعالى مما يفيد أن هذا هو نص القرآن، والمتأمل للفظ الآية في القرآن يرى أن لفظ القرآن غير ذلك فسقطت عبارة المؤلف وهي قوله "وقوله تعالى" لأنها كتبت قبل نص ليس هو نص القرآن المجيد. والله الهدى إلى سواء السبيل.

## **الموضع الخامس والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [السجدة: ٢٥].

عند تفسير المؤلف لهذه الكلمات من الآية في ص ٥٣٤ من الجزء الثالث من تفسيره دونها هكذا: (إن ربكم يفصل بينهم) بإسقاط الضمير(هو) فتغير نص القرآن بنقص كلمة منه، والله أعلم.

## **الموضع السادس والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

عند تفسير المؤلف لهذه الألفاظ من الآية في ص ٥٣٧ من الجزء الثالث من تفسيره، قال: أي: علیماً بخلقه ظاهراً وباطناً، حكيمًا في تدبيره وصنعه. قلت: تضمنت هذه الآية اسمين من أسماء الله الحسنة هما: (العليم) و(الحكيم)، وقد قصر المؤلف في إيضاح دلالتهما ومعناهما، وقد جرى التبيه في موضع عديدة على معنى هذين الاسمين الكريمين، وتم نقل كلام المفسرين بما يبين بعض ما يتضمنانه من معنى ودلالة بما يغنى عن إعادة ذلك هنا. والله أعلم.

## **الموضع السابع والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿... وَلَكُنَّ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ ...﴾ [الأحزاب: ٥].

عند تفسير المؤلف لهذا الجزء من الآية في ص ٥٣٩ من الجزء الثالث من تفسيره سجل النص هكذا: (ولكن فيما تعمدت قلوبكم) فزاد كلمة (في) في نص القرآن العظيم.

## **الموضع الثامن والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

شرح المؤلف لمعنى لهذه الآية في ص ٥٩٣ من الجزء الثالث من تفسيره أثبتها

هكذا: " ويعلم الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد" ، فوضع (ويعلم) بدلاً من (ويرى) الواردة في الآية، ثم سار يفسر الآية على أن هذا هو نص القرآن الكريم هكذا: (ويعلم)، أي وليعلم، محيطاً الكلمة التي وضعها من عنده بقوسين مشعراً بذلك أنها هي نص القرآن العظيم. ولا يغيب عن القارئ مما في هذا المسلك، وهو مسلك التساهل في إثبات آيات الكتاب الكريم كيما اتفق دون تثبت، أو تحر للفظ القرآن كما ورد لا يخفى ما في ذلك من زلل وخلل.

### **الموضع التاسع والأربعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ...﴾ [النور: ٦١].

قال المؤلف ص ٢٥٧ من الجزء الثالث من تفسيره:

فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم، وهو: أن من دخل بيته من البيوت؛ بيته كان أو بيت غيره، عليه أن يسلم على أهل البيت قائلاً: السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد، أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قلت: هذا الذكر الذي أورده المؤلف لدخول البيت ذكره الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ولكن لم يرده بسند مرفوع إلى النبي ﷺ؛ بل أورده هكذا ص ٣٠٥:

وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله ﷺ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتك ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وروى الثوري عن عبد الكريم الجزي عن مجاهد: إذا دخلت بيتك ليس فيه أحد فقل: بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقال قتادة: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتك ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنه كان يؤمر بذلك.

انتهى المقصود من كلام ابن كثير، وقد رأينا أنه لم يورد ذلك بسند مرفوع إلى النبي ﷺ، وهذا الأمر قد ورد فيه نص عن الرسول عليه الصلاة والسلام سنن أبي داود<sup>(١)</sup>، عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خيراً المولج وخيراً المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله) ، وقد ذكر هذا الحديث أيضاً الإمام ابن قيم الجوزي في (الوايل الصيب) ص ٧٩٩ مجموعة الحديث.

### **الموضع الخامسون بعد آلة:**

قوله تعالى:

﴿...وَلَا تُكْرِهُوا فَيَتَّكِمُونَ عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحْصَنَا...﴾ [النور: ٣٣].

قلت: عند تفسير المؤلف لهذه الآية أوضح معنى البغاء، ومعنى التحسين، ولكنه قصر في الإيضاح فترك معنى هاماً وهو الإشارة إلى دلالة قوله تعالى: (إن أردن تحصنا)، وأنه ليس له مفهوم مخالفة بمعنى أنه لا يقال: إن الفتاة إذا لم ترد التحسين فإنه يجوز إكرابها على البغاء، وقد نبه على ذلك الحافظ ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٨٩ ج ٣ حيث قال: وقوله تعالى (إن أردن تحصنا) هذا خرج يخرج الغائب فلا مفهوم له.

وقد أوضح معناها أيضاً الشيخ عبداً لرحمن السعدي في تفسيره فقال ص ٤١٧ ج ٥: إن أردن تحصنا؛ لأنه لا يتصور إكرابها إلا بهذه الحال، وأما إذا لم ترد تحصناً فإنها تكون بغيًا يجب على سيدها منعها من ذلك. قلت: فتعين التبيه على ذلك والله أعلم.

(١) انظر سنن أبي داود مع عون المعبود ص ٤٣٨ / ١٣ وجامع الأصول.

## الموضع الواحد والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾٤٢  
وَصَدَّهَا مَا كَانَ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كُفَّارِينَ ﴾٤٣﴾ قِيلَ لَهَا أَدْخُلِ الصَّرَحَ فَلَمَّا  
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيَهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ  
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٤٤﴾ [النمل: ٤٢ - ٤٤].

قلت: عند شرح المؤلف لكلمات الآية في ص ٢٥٦ من الجزء الثالث من تفسيره وعند كلامه على المعنى العام في الصفحة التي تليها أي ص ٢٥٧ أخطأ في إثباته لنص القرآن في ثلاثة مواضع من هذه الآيات هي كالتالي:

قوله تعالى: ﴿ ... وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيَهَا... ﴾ ، كتبه هكذا: (فكشفت عن ساقيها) فحذف الواو ووضع بدلاً منها الفاء.

قوله تعالى: ﴿ ... قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشُكَ ... ﴾ كتبه هكذا: (قيل لها أهناكذا عرشك) فزاد كلمة لها على لفظ القرآن وأحاطتها بالأقواس مع كلمات القرآن موهماً أنها تابعة لنصه.

قوله تعالى: ﴿ ... قَالَتْ كَانَهُ هُوَ ... ﴾ كتبه هكذا: (فقالت كأنه هو); فأضاف الفاء قبل قالت، فهذه موضع ثلاثة في مجموعة واحدة من الآيات في كل موضع منها تغيير لنص القرآن إما إبدال حرف بحرف أو بإضافة حرف أو بزيادة ليست من القرآن. وقد رجعت للطبعة الثالثة من هذا الكتاب؛ فوجدت نفس الخطأ قد تكرر في هذه الطبعة، مع أنها طبعة أخيرة؛ يفترض فيها أنها مصححة، وهذا هو ما كتب على الغلاف فقد كتب عليه: طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة، وهذا النهج هو نهج المؤلف في سائر الكتاب. وقد نبهت على نظائر لهذه الأخطاء ولعلي تركت

كثيراً .

وقد كان نهج الصحابة ﷺ ورحمهم هو التشدد حول نصوص القرآن الكريم، والتأكد منها خشية أن يدخل في كتاب الله ما ليس منه. فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يسمع صحابياً يقرأ في سورة الفرقان على خلاف ما كان يقرأ عمر ﷺ فيمسك به ويلببه بردائه<sup>(١)</sup> ثم يذهب به إلى رسول الله ﷺ وهي قصة ثابتة أوردها البخاري، يرحمه الله، في صحيحه<sup>(٢)</sup>، هكذا: حدثنا سعيد بن عمير حدثني الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه: أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكانت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله. اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه.

قلت: فهذا موقف الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ مع هذا الصحابي عند ما ظن أنه أخطأ في كتاب الله مع أنه لم يخطئ، ولكن القراءة التي قرأ بها لم يسمعها عمر ﷺ من رسول الله ﷺ فبادر إلى تلبيبه بردائه والمسارعة به إلى رسول الله ﷺ، ولم يقطع بصحة قراءته حتى قال له

(١) لَبَّ الرَّجُل : جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جره. (المعجم الوسيط) (المراجع)

(٢) صحيح البخاري ج ٦، ص ١٠٠.

رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت.

وقد شرح الحافظ ابن حجر، يرحمه الله،<sup>(١)</sup> قوله: فلبيته بردائه قائلاً: قوله فلبيته بردائه: بفتح اللام وموحدتين، الأولى مشددة والثانية ساكنة أي: جمعت عليه ثيابه عند لبته لئلا ينفلت مني، وكان عمر شديداً في الأمر بالمعروف، وفعل ذلك عن اجتهاد منه؛ لظنه أن هشاماً خالف الصواب، ولهذا لم يذكر عليه النبي ﷺ؛ بل قال له: أرسله.

وأقول: إن ما حصل لعمر وهشام، رضي الله عنهم، تبين في آخر الأمر أن هشاماً قرأ كما أقرأه رسول الله ﷺ، وأما ما نحن بصدده فبعيد عن هذا، فهي أخطاء متكررة، وتغير في كتاب الله وليس قراءة، فالله المستعان.

## الموضع الثاني والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

قال المؤلف في ص ٥١٧ من الجزء الثالث من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات:

بيان أن المشركين من العرب موحدون في الريوبية ومشركون في العبادة، كما هي حال الناس اليوم يعتقدون أن الله رب كل شيء ولا رب سواه، ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره ويختلفون غيره ويرهبون سواه، والعياذ بالله.

قلت: لا يخفى ما في عبارة المؤلف من الإجمال وهي قوله: كما هي حال الناس اليوم، فحال الناس اليوم وغير اليوم ليست حالاً واحدة متشابهة، فما من زمان إلا وفيه الطوائف الثلاث التي حكم الله حالها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾

(١) انظر فتح الباري ص ٢٥ ج ٩.

**لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴿فاطر: ٣٢﴾.

قال الإمام الحافظ ابن كثير عند كلامه على هذه الآية<sup>(١)</sup> ، يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: **﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾**، وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المركب لبعض المحرمات **﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾** وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكرهات، **﴿وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكرهات وبعض المباحات، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**، قال هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يُغفر له ومقتضدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

قلت: فكان مقتضى الحال والمقام أن يقول المؤلف كما هي حال أكثر الناس ممن يدعى التوحيد، أو يقول كما هي حال بعض الناس ممن يزعم أنه موحد. أما العبارات المجملة فيها إجحاف وظلم والوسط والاعتدال هو منهج هذه الأمة المحمدية منذ عهد نبيها ﷺ، وعلى منهاجه سار أصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعون فمن بعدهم، نسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا للسير على نهجهم إنه سميع قريب.

### **الموضع الثالث والخمسون بعد المئة:**

قوله تعالى: **﴿سَلَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾** [الصفات: ٧٩].

قال المؤلف ص ٦٨٥ من الجزء الثالث من تفسيره: قول: (سلام على نوح في

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٥.

العالمين)، إذا قاله المؤمن حين يمسي أو يصبح يحفظه الله من لسعة العقرب، وأصح منه أعود بكلمات الله التامة من شر ما خلق لصحة الحديث في ذلك.

#### الموضع الرابع والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَقْوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ... وَلَا أُصِيرُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٣ - ٤٩].

قال المؤلف في ص ٣٠٥ من الجزء الثالث من تفسيره: ما فعله فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

قلت: لا يصح تسمية ما فعله فرعون بالمناورة؛ فالمناورة هي تجارب لفعاليات الجيوش والمعدات، ولا يقصد منها أمور حقيقة؛ من مواجهة عسكرية أو ضرب للأعداء؛ وإنما هي تمرينات الجيوش على الأسلحة المختلفة، وتستعمل أيضاً للمداورات السياسية؛ كما ورد ذلك في بعض معاجم اللغة العربية الحديثة. وقد قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، عند كلامه على قصة موسى، عليه الصلاة والسلام، في تفسيره لسورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَكُمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ أَمْلَقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥] :

قال ص ٢٣٧ من الجزء الثاني:

هذه مبارزة من السحرة لموسى، عليه السلام، وقال ابن كثير، يرحمه الله، أيضاً، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَأْفِرُّونُ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٤] في سورة الأعراف قال ص ٢٣٥ من الجزء الثاني:

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون.

فالأمر بين فرعون وموسى والسحرة أمر مبارزة ومناظرة، وليس هو من

المناورة في شيء، قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ إِمْنَتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ  
عَذَّنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكِبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطَعْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِ  
وَلَا صَلَبَيْتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى ٦١ ﴾  
قالوا لَن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا  
جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِنَّا إِمْنَا بِرِبِّنَا لِيغْفِرَ لَنَا خَطَائِنَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٦٢ ﴾  
[طه: ٦١-٦٢]

قال ابن كثير ، يرحمه الله ، عند كلامه على هذه الآيات في تفسيره  
ص ١٥٨ ج ٣ :

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق  
بالباطل ، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ، ورأى الذين  
قد استنصر بهم قد آمنوا بحضره الناس كلهم ، وغلب كل الغلب ، شرع  
في المكابرة والبهتان ، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحر ،  
فتهددهم وتوعدهم وقال : (آمنتكم له) أي صدقتموه (قبل أن آذن لكم).

### **الموضع الخامس والخمسون بعد المئة:**

قوله تعالى : ﴿ فَلَيَنْظُرِ إِلَّا إِنَّهُ مِمَّ خُلِقَ ٦ ﴾ خلق من ماء دافق  
أصلب والترائب ﴿ [الطارق: ٥ - ٧] .

قال المؤلف في ص ٦٥٢ من الجزء الرابع من تفسيره : وبين تعالى مم خلقه  
بقوله : (خلق من ماء دافق) ، أي ذي اندفاع ، وهو المنى يصب في الرحم ،  
(يخرج من بين الصلب والترائب) ، أي يخرج الماء من صلب الرجل ، وهو  
عظام ظهره ، وترائب المرأة وهي محل القلادة من صدرها ، وقد اختلف في  
تقدير فهم هذا الخبر عن الله تعالى ، وجاء العلم الحديث فشرح الموضوع ،  
وأثبت أن ماء الرجل يخرج حقاً مما ذكر الله تعالى في هذه الآية ، وأن ماء  
المرأة يخرج كذلك مما وصف الله عز وجل ، وصدق الله العظيم.

ثم قال في أسفل الصفحة عند كلامه على هداية الآيات : إثبات أن القرآن

قول فصل، وليس فيه من الباطل شيء، وقد تأكّد هذا بمرور الزمان  
فقد صدقت أنباؤه، ونجحت في الأمان والاستقرار أحکامه.

قلت: يتحرر التبيه على بعض ما ورد في عبارات المؤلف في عدة  
مقامات :

أولاً : قوله وقد اختلف في فهم هذا الخبر عن الله تعالى، أقول: الحق إنّه  
لم يختلف في فهم هذا الخبر عن الله تعالى، فقد نقل أئمّة المفسّرين  
وأكابرهم مثل ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، ما يوضح المعنى المراد  
من الآية؛ فقد نقل الإمام ابن جرير الطبرى، يرحمه الله، في تفسيره  
ص ٣٠/١٤٣ أقوالاً في ذلك أُلْخَصَ بعضاً منها:

عن ابن عباس: قوله: (يخرج من بين الصلب والترائب)، يقول من بين ثديي  
المرأة، سُئل عكرمة عن الترائب فقال : هذا ووضع يده على صدره بين  
ثدييه وعن عكرمة أيضاً قال: يخرج من بين الصلب والترائب: صلب  
الرجل، وترائب المرأة.

ثم قال ابن جرير، يرحمه الله، : والصواب من القول في ذلك عندنا قول  
من قال: هو موضع القلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن  
ذلك هو المعروف في كلام العرب.

وفي تفسير الإمام ابن كثير، يرحمه الله، ص ٤٩٨ كلام ونقول  
للسلف حول هذه الآية، ومن ذلك عن ابن عباس: (يخرج من بين الصلب  
والترائب) ووضع يده على صدره.

وعن ابن عباس: تربة المرأة موضع القلادة، وعن قتادة يخرج من بين  
الصلب والترائب: من بين صلبه وتحره.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص ٥ ج ٢٠: حكى أقوالاً ترجع إلى  
هذه الأقوال المتقدمة أو تقاربها.

وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته ص ٤٨٩: الصلب: الشديد؛ وباعتبار  
الصلابة والشدة سُمي الظهر صلباً، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْصُّلْبِ وَالْتَّرَائِبِ)

وقال الراغب أيضاً في مفرداته ص ١٦٥ : الترائب: ضلوع الصدر الواحدة تربية، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْصُّلُبِ وَالرَّأْبِ).

ثانياً: قوله: إن العلم الحديث شرح الموضوع وأثبت أن ماء الرجل يخرج حقاً مما ذكر الله تعالى، وأن ماء المرأة يخرج كذلك مما وصف الله وصدق الله العظيم.

قلت: هل نحن بحاجة لأن ننتظر العلم الحديث حتى يبين لنا إن ماء الرجل يخرج حقاً مما ذكر الله، وأن ماء المرأة كذلك، وأجيب أننا لسنا بحاجة لهذا.

ثم نقول على تقدير أن العلم الحديث جاء بخلاف ما جاء به القرآن، فماذا يكون موقفنا؟ ولو لم يجيء العلم الحديث ويقرر هذا الأمر الذي ثبت بالقرآن، فهل نقف حيارى أمام كتاب الله ولا نعرف مراد الله منه؟ ونقول أيضاً: هل أسلافنا وأئمتنا، من المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يُحکم عليهم بأنهم لم يعرفوا المراد من الآية؛ لأنهم قد ماتوا وانتهت أعمارهم قبل اكتشاف العلوم العصرية الحديثة. وأخيراً نقول: لا اختلاف في فهم كتاب الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

هذا هو الكلام على الفقرة الأولى وأما الكلام على الفقرة الأخيرة، وهي قوله: إثبات أن القرآن قول فصل، وليس فيه من الباطل شيء، وقد تأكد هذا بمرور الزمان؛ فقد صدقت أنباءه ونجحت في الأمان والاستقرار أحكماته.

أقول: هذا الكلام يتالف من مقطعين : الأول قوله : إن القرآن قول فصل وليس فيه من الباطل شيء، وهذا الكلام حق وصدق، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصَلٌ﴾ ١٢ [الطارق: ١٣ - ١٤]، وقال عزوجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي أَقْوَمُ﴾ ... [الإسراء: ٩] ، وقال سبحانه

وتعالى: ﴿ وَمَا نَزَّلْتُ بِهِ الشَّيْطَانُ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١١] والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة لدى طلبة العلم المبتدئين، ولا حاجة لإيرادها وسردها.

والقطع الثاني: قوله وقد تأكّد هذا بمرور الزمان فقد صدقت أنباؤه ونجحت في الأمان والاستقرار أحکامه.

قلت: هذا الكلام؛ وهو القول بأنّ أنباء القرآن صدقت بمرور الزمان ونجحت أحکامه، هذا القول خطأ فالقرآن لا يخضع لتجارب الزمان، فهذا القول وذلك الحکم يصلح أن يجري على كلام البشر، الذي هو زيادة ذهان ونحاثة أفكار، وما يكتب ويقرر فيه من أحکام فهو نتيجة تجارب جرى رصدها وتقريرها بناء على ظروف مقرريها ومشريعيها، وبناء على أحوال من شرعت لهم، وهي معرضة للفشل والنجاح، فقد تتبع لدى أمّة من الأمم وتفشل لدى أمّة أخرى، وقد تخدم المجتمع وتؤدي الغرض المقصود منها في عصر من العصور، وتعجز عن ذلك في العصر التالي؛ لأنّها وضعت بخبرات محدودة ومعارف قاصرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِشَرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، أما القرآن العظيم والفرقان الحكيم فهو فوق هذه الأوصاف ولا يجري عليه شيء منها، فهو منزل من عند الله الذي هو أحكام الحاكمين قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمُ الْحُكْمِينَ ﴾، ومنزل من عند الذي ﴿ ... يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾، والذي ﴿ ... لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾، وليس كلام ربنا بحاجة إلى الزمن ليمحصه ويثبت صدقه ونجاح أحکامه ، فالله المستعان.

### الموضع السادس والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدُ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦] ، قال المؤلف

في ص ٥٢ من الجزء الرابع من تفسيره عند كلامه على ما تهدي إليه الآيات:

مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب، وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء هو: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". إذ ثبتت به السنة والآية ذكرت أصله.

قلت: هذا الدعاء الذي ذكره المؤلف واصفاً إياه بأنه دعاء الكرب، ليس هو دعاء الكرب الثابت بالسنة؛ بل هو أحد أدعية الاستفتاح لقيام الليل الثابتة بالسنة، فقد رواه الإمام مسلم بسنده عن عائشة، رضي الله عنها، في باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه<sup>(١)</sup>، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: سألت عائشة، أم المؤمنين، بأي شيء كان النبي ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتح صلاته بدعاة: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

فثبتت أن هذا الدعاء الذي ذكره هو دعاء استفتاح لصلاة الليل، وأما دعاء الكرب الذي أشار إليه فهو دعاء آخر، فقد قال البخاري، يرحمه الله، في صحيحه<sup>(٢)</sup>، باب الدعاء عند الكرب ثم ساق بسنده عن ابن عباس عليهما السلام قال كان النبي ﷺ يدعوا عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم.

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم حديث رقم ١٧٧٠ ج ١ ص ٥٣٤.

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٤ باب الدعاء عند الكرب.

وروى البخاري<sup>(١)</sup> أيضاً حديثاً آخر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم.

وقد ذكر الإمام البغوي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٤٨٢: حديثاً عن عائشة، رضي الله عنها، يطابق لما ذكره المؤلف، وذكر أن النبي ﷺ كان يفتح به صلاة الليل، وكذلك الإمام ابن كثير ذكر حديث عائشة، رضي الله عنها، وذكر أنه دعاء استفتاح لصلاة الليل ص ٥٦، وحديث عائشة هذا هو الذي رواه مسلم، وسبق نقله أول هذا الكلام.

قلت: فقد اتضح وهم المؤلف - وفقه الله - وأنه خلط بين دعاء الاستفتاح ودعاء الكرب، وجرى نقل الأحاديث الدالة على دعاء الاستفتاح، والأحاديث المتضمنة لدعاء الكرب من الصحيحين، أي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومن تفسير الإمام ابن كثير وتفسير البغوي والله أعلم.

### الموضع السابع والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَّهَا الْأَنْهَرُ وَمَسْكِنَ طَيْبَةٍ فِي جَنَّتٍ عَدَنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢].

قال المؤلف في ص ٤٧٥ من الجزء الرابع من تفسيره، عند كلامه على هذه الآية: ثم زاد الحق في ترغيبهم فقال: (ذلك الفوز العظيم)، إنه النجاة من النار ودخول الجنة فلا فوز أعظم منه قط.

قلت: نص المؤلف - وفقه الله - على أنه لا فوز لأهل الجنة أعظم من دخولهم الجنة ونجاتهم من النار، والصواب أن رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة أعظم من ذلك، كما ثبت بذلك النص من الشارع، فقد ثبت في صحيح مسلم، يرحمه الله، حديث يدل على أن أهل الجنة لم يعطوا شيئاً

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٤ باب الدعاء عند الكرب.

من النعيم أحب إليهم من النظر إلى الله عز وجل، فعن صحيب رض عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتتجنا من النار؟)، قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل<sup>(١)</sup>.

وقد أشار إلى هذا الحديث مستدلاً به على إثبات الرؤية شارح العقيدة الطحاوية في شرحه ص ١٤٨، وكذلك ذكره الإمام شهاب الدين أبو شامة في كتابه (ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عز وجل) ص ٧٩، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولكن اخترت هذا الحديث؛ لما فيه من النص على أن رؤية المؤمنين لربهم في الجنة هي أحب إليهم من دخول الجنة، فيتضح أن نص المؤلف أنه لا فوز لأهل الجنة أعظم من دخولهم الجنة، ونجاتهم من النار، يتضح أن ذلك غير مقبول؛ لأن العبارة لا تخلو من إجمال، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم إنني رأيت كلاماً مختصراً، ولكنه مفيد للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، ينص على أن أعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله تبارك وتعالى، وذلك في كتابة (مفتاح دار السعادة) عندما تكلم على مسألة المفاضلة بين السمع والبصر بالنسبة للإنسان قال ص ١٠٥ ج ١: وقالت طائفة منهم ابن قتيبة: بل البصر أفضل، فإن أعلى نعيم وأفضله وأعظمه، لذة النظر إلى الله في الدار الآخرة، وهذا إنما ينال بالبصر، وهذه وحدها كافية في تفضيله ، انتهى.

فهذا نص من هذا الإمام، يرحمه الله، على أن أفضل نعيم أهل الجنة هو النظر إلى الله ورؤيته في الدار الآخرة، وهو يندرج مع ما ثبت بالكتاب والسنة من أن أعظم نعيم عند أهل الجنة هو رؤية الله تعالى في الدار

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم ص ١٦٢ ج ١ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .

الآخرة في الجنة.

وقال شيخ الإسلام الإمام تقي الدين ابن تيمية، يرحمه الله، في الفتوى ص ٦٣ ج ١: والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله، وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة؛ كما أخبرت بذلك النصوص.

### الموضع الثامن والخمسون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية في ص ٣٠٦ في الجزء الرابع من تفسيره: أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يُسر ويُظہر أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو في حلقة.

قلت: قال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٤/٢٢٣: قوله عز وجل: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، يعني ملائكته، تعالى، أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم؛ فإنما فرّ ثلاثة يلزم حلول أو اتحاد، وهذا منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقديس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: (وأنا أقرب إليه من حبل الوريد).

كما قال في المختصر: (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)، يعني ملائكته تعالى، وكما قال تبارك وتعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون): فالملايك نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله جل وعلا لهم على ذلك؛ فلله ملك ملة من الإنسان كما أن للشيطان ملة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك

الموسوم بـ (التبهات السنية على العقيدة الوسطية):

فصل: قوله وقد دخل في ذلك، أي في الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في الآية والحديث وسبب نزول الآية: أن أعرابياً قال يا رسول الله أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وروى الإمام أحمد عن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً، ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال فدنا منا فقال: يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله. خرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة.

إلى أن قال: ومن أسمائه سبحانه: القريب، وقربه سبحانه نوعان: قرب عام، وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، كما في الحديث المقدم وقوله سبحانه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وقيل إن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة الجمع، على عادة العظماء في إضافة أفعال عبادها إليها، ورجحه ابن القيم واختاره الشيخ تقي الدين، الثاني: قرب خاص وينقسم إلى قسمين: قرب خاص من داعيه بالإجابة، وقربه من عباده بالإثابة فال الأول كقوله: (إذا سألك عبادي عنِي) الآية، ولهذا نزلت جواباً للصحابية، وقد سألوا رسول الله ﷺ: أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ والثاني: كقوله أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وأقرب ما يكون رب من عبده في جوف الليل؛ فهذا قرينه من أهل طاعته. وأما حديث أبي موسى المقدم؛ ففيه القرب الخاص بالداعين دعاء العبادة والثناء، وهذا القرب لا ينافي كمال مبادرته، سبحانه، لخلقه واستوائه على عرشه؛ بل يجتمعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن القيم في (المدارج) على قوله وأنت الباطن فليس دونك شيء، قال: فهذا أقرب الإحاطة العامة، وأما القرب المذكور في الكتاب والسنة فقرب خاص من عباديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قریب) الآية، وفي الصحيح: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون. انتهى.

### **الموضع التاسع والخمسون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال المؤلف في ص ١٧٠ من الجزء الرابع من تفسيره: أي الجنة دار السلام. قلت: سار المؤلف على تفسير الرحمة بالجنة، دون الإشارة إلى الصفة التي تدل عليها هذه الآية، وهي صفة الرحمة الثابتة له تعالى، وقد أشار إلى استنباط هذه الصفة الكريمة من الآية الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ١٢٧ / ٤، حيث قال: أي رحمة الله بخلقه خير مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

وقد قام الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، بشرح أسماء الله الحسنى في تفسيره، فجمع سبعة أسماء من أسمائه تعالى كلها تدل على الرحمة وتتقارب في المعنى، وهي: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجود، الرؤوف، الوهاب، فقال في ص ٥ / ٦٢١ من تفسيره هذه الأسماء تقارب معانيها وتدل كلها على اتصف الرب بـ: الرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل، قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)، والنعم والإحسان كلها من آثار رحمته وجوده وكرمه، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته.

وفي كتاب الإمام ابن قيم الجوزية (مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) الذي اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي قال ، يرحمه الله ، ص ٢١٣ : المسلوك الثالث مسلك الرحمة فإنها هي المسؤولية الشاملة العامة للموجودات كلها ، وبها قامت الموجودات فهي التي وسعت كل شيء ، والرب وسع كل شيء رحمة وعلماً ، فوصلت رحمته إلى حيث وصل علمه ، فليس موجود سوى الله تعالى إلا وقد وسعته رحمته وشملته وناله منها حظ ونصيب ، ولكن المؤمنون اكتسبوا أسباباً استوجبوا بها تكميل الرحمة ودوامها ، والكافار اكتسبوا أسباباً استوجبوا بها صرف الرحمة إلى غيرهم؛ فأسباب الرحمة متصلة دائمة لا انقطاع لها لأنها من صفة الرحمة ، والأسباب التي عارضتها مضمحة زائلة؛ لأنها عارضة على أسباب الرحمة طارئة عليها . وإذا كان كل مخلوق قد انتهت إليه الرحمة ووسعته فلا بد أن يظهر أثرها فيه آخرأ ، كما ظهر أثرها فيه أولاً ، فإن أثر الرحمة ظهر فيه أول النشأة ثم اكتسب ما يقتضي آثار الغضب؛ فإذا ترتب على الغضب أثره عادت الرحمة فاقتضت أثرها آخرأ كما اقتضته أولاً لزوال المانع ، وحصول المقتضي في الموضعين .

ومما يوضح هذا المعنى أن الجنة مقتضى رحمته ومغفرته ، والنار من عذابه ، وهو مخلوق منفصل عنه ولهذا قال تعالى : ﴿نَّئِيْ عِبَادِيْ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۚ وَإِنَّهُ لَغَفُورُ رَحِيمٌ﴾ ، فالنعم موجب أسمائه وصفاته ، وأما العذاب فإنه من مخلوقاته المقصودة لغيرها بالقصد الثاني؛ فهو سبحانه إذا ذكر الرحمة والإحسان والعفو نسبة إلى ذاته ، وأخبر أنه من صفاته وإذا ذكر العقاب نسبة إلى أفعاله ولم يتصف به ، فرحمته من لوازم ذاته ، وليس غضبه وعقابه من لوازم ذاته؛ فهو سبحانه لا يكون إلا رحيمًا ، كما أنه لا يكون إلا حيًّا سميعاً عليماً قديراً ، وأما كونه لا

يكون إلا غضبان معدّباً؛ فليس ذلك من كماله المقدس ولا مما هو أثني  
به على نفسه وتمدح به.

يوضح هذا المعنى أنه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب عليها  
الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغبنته، ولم يسبقها الغضب ولا غلبها،  
ووسع رحمته كل شيء ولم يسع غضبه وعقابه كل شيء، وخلق  
الخلق ليرحمهم لا ليعاقبهم، والعفو أحب إليه من الانتقام، والفضل أحب  
إليه من العدل، والرحمة آثر عنده من العقوبة، وبهذا لا يخلد في النار من  
في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير.

وجعل جانب الفضل؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف  
كثيرة، وجانب العدل؛ السيئة فيه بمثala وهي معرضة للزوال بأيسر  
شيء، وكل هذا ينفي أن يخلق خلقاً مجرد عذابه السرمدي، الذي لا  
انتهاء له ولا انقضاء؛ لا لحكمة مطلوبة إلا لمجرد التعذيب والألم الزائد  
على الحد؛ فما قدر الله حق قدره من نسب إليه ذلك بخلاف ما إذا خلقهم  
ليرحمهم، ويحسن إليهم وينعم عليهم، فاكتسبوا ما أغضبه وأسخطه،  
 فأصابهم من عذابه وعقوبته بحسب ذلك العارض الذي اكتسبوا، ثم  
أضحم سبب العقوبة.

وزال وعد مقتضى الرحمة، فهذا هو الذي يليق برحمة أرحم الراحمين  
وحكمة أحكم الحكماء، وقال الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان في  
كتابه: (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) ص ١/٧٨: وقد علم  
من دين الرسل وكتب الله تعالى أن الله متصف بالرحمة وليس رحمته  
ثوابه وجزاءه؛ كما يقوله أهل التحرير المؤولة من الأشعرية وغيرهم وقد  
قال الله تعالى: (قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)،  
فعطّف الرحمة على الفضل يدل على المغايرة، وفضل الله تعالى الذي هو  
الثواب والجزاء مخلوق ليس من صفات الله تعالى القائمة به.

وإذا كان الإجماع حاصلاً بين الأمة بأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله

شيء في ذاته المقدسة؛ فيجب أن تكون صفاتة ليست كصفات خلقه؛ لأن الصفة تتبع الموصوف، صفات الله تعالى من الرحمة والرضا والغضب وغير ذلك تليق بعظمته وتناسبه، وصفة المخلوق من ذلك وغيره تليق بضعفه وعجزه وفقره.

وإن من الضلال والبعد عن كتاب الله وهدي رسوله وسبيل المؤمنين حقاً؛ نفي صفات الله تعالى وتعطيله منها اعتلاً بأنها تفيد التشبيه؛ لأن المخلوق يوصف بتلك الصفات وهل هذا إلا مثل من يقول أنا لا أقر بوجود الله تعالى لأن المخلوق موجود، وقد تقدمت الإشارة إلى أن مجرد الاشتراك في الاسم أو في المعاني العامة لا يقتضي تشبيهاً. وقال الدكتور عبد الله الغنيمان أيضاً في كتابه: (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) ص ٢١٨٥ وما بعدها: والرحمة المضافة إلى الله تعالى تكون صفة له ذاتية كقوله تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء) وقوله تعالى: (وربك الفتى ذو الرحمة) وقوله تعالى: (فإن كذبوا فقل ربكم ذو رحمة واسعة) ونحو ذلك وقوله تعالى: (أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) ونحو ذلك كثير.

وتكون مفعولاً له، وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية كقوله تعالى: (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا)، وقوله تعالى: (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعنها منه أنه ليؤس كفور)، وقوله تعالى: (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته)، وقوله تعالى: (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته)، وهو أيضاً كثير، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: (خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه وخباً عنده مائة إلا واحدة) رواه مسلم.

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان (في الكواشف الجلية عن معاني الواسطية) ص ٤٢٩: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: صفات ذات، وصفات فعل، وضابط صفات الذات هي التي لا تفك عن الله عز

وجل، وضابط صفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، مثل صفات الذات: النفس، والعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، واليد، والرجل، والملك، والعظمة، والكربلاء، والعلو، والإصبع، والعين، والغنى، والقدم، والرحمة، والحكمة، والقوة، والعزة، والخبرة، والوحدانية، والجلال، وهي التي لا تنفك عن الله سبحانه.

ومثال صفات الفعل: الاستواء، والنزول، والضحك، والمجيء، والعجب، والفرح، والرضا، والحب، والكره، والسخط، والإتيان، والمقت، والأسف، وهذه يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد، ويصلح أن تقول قبلها إذا شاء.

### الموضع الستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥].

المؤلف في ص ٦٤١/٦٤٢ عند شرحه للمفردات ترك تفسير هذه الكلمات نهائياً، أما عند معنى الآيات فقد فسرها بقوله: (ينظرون إلى الكفار وهم في النار).

والمعنى الحق الذي يأخذه علماء ومفسرو السلف من هذه الآية هو: إثبات نظر المؤمنين إلى ربهم في الآخرة ورؤيتهم له تعالى، فتكون هذه الآية عند أهل السنة مثل قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في (الرسالة المدنية) ص ٣٤: وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم في الجنة ويتلذذون بذلك لذة ينغمس في جانبها جميع اللذات.

وقال الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره لهذه الآية ص ٤/٤٨٧: (على الأرائك ينظرون) أي: إلى الله عز وجل، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين؛ بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.

وقد ورد في الحديث الثابت في صحيح مسلم والذي سبق تدوينه عند

الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَلَا يُدْخِلُكُمْ جَنَّتَنَّ  
بَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ وَمَسْكِنَ طِبَّةَ فِي جَنَّتِ عَدَنِ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وفيه قوله ﷺ:  
(فَمَا أَعْطَوْا شَيْئًا أَحَبَ إِلَيْهِم مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَ) فهو حديث  
صريح الدلالة على رؤية المؤمنين لربهم عياناً في الدار الآخرة.

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، في (التحفة العراقية في  
الأعمال القلبية) ص ٧٩:

والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر  
إلى وجه الله، وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة، كما أخبرت به  
النصوص، وكذلك أهل النار فإنهم محجوبون عن ربهم. فقد تضافت  
أدلة الكتاب والسنة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم عياناً في الدار  
الآخرة، والحمد لله رب العالمين.

### الموضع الواحد والستون بعد المئة :

قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعَمَّةِ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ  
عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].  
في ص ١٦٤ من الجزء الرابع من تفسيره عند كلام المؤلف على هداية  
الآيات استتباط حكماً شرعاً من الآية هكذا: (مشروعية التسمية  
والذكر عند ركوب ما يركب؛ فإن كان سفينه أو سيارة قال العبد  
بسم الله مجرها ومرساها إن ربى لغفور رحيم، وإن كان حيواناً قال  
عند الشروع: باسم الله ، إذا استوى قاعداً: (سبحان الذي سخر لنا هذا  
وما كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون).

قلت: قد ساق الإمام ابن كثير في تفسيره ص ١٢٣ و ٤/١٢٤:  
أحاديث كلها في ركوب الدابة وليس منها تفريق بين ركوب الدابة  
وركوب السفينة، وأغلب الأحاديث التي ذكرها قد رواها الإمام أحمد  
في المسند، حسبما ذكر ذلك الإمام ابن كثير، يرحمه الله، وأما

الأحاديث التي فيها التفريق بين ركوب الدابة وركوب السفينة، وهي التي استتبط منها المؤلف هذا التفريق فقد ذكرها الإمام الشوكتاني، يرحمه الله، ونقدتها مبيناً عدم صحتها، قال الشوكتاني في (تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحسين من كلام سيد المرسلين) ص ٢٤١/٢٤٠: وإن ركب البحر فأمانه من الغرق أن يقول: (بسم الله مجراهما ومرساهما..) الآية .. (وما قدروا الله حق قدره ...) الآية.

ثم ذكر بعد ذلك رموزاً بحروف تدل على أن الحديث قد رواه الطبراني في المعجم الكبير، وابن السنى في (عمل اليوم والليلة)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، ثم قال الإمام الشوكتاني، يرحمه الله، موضحاً الحكم على الحديث: الحديث أخرجه الطبراني وابن السنى وأبو يعلى الموصلي كما قال المصنف، يرحمه الله، وهو من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (أمان أمتي من الفرق إذا ارکبوا البحر أن يقولوا بسم الله مجراهما ومرساهما إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره....) الآية، وفي إسناده جباره بن المغلس وهو ضعيف، وفي الباب ما أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: (أمان أمتي من الفرق إذا رکبوا السفن والبحر أن يقولوا : بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره والأرض جميماً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمنيه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراهما ومرساهما أن ربي لغفور رحيم)، وفي إسناده نهشل بن سعيد وهو متrox.

وبالتأمل لكلام الإمام الحافظ ابن كثير والإمام الشوكتاني رحمهما الله يتضح ما يأتي:

أولاً : إن الذكر الوارد عند ركوب الدابة والثابت عن رسول الله ﷺ عام وليس فيه تفريق بين الدابة والسفينة.

ثانياً: إن الأحاديث الخاصة بالسفينة، والتي عينت ذكرها خاصاً يقال عند

ركوب السفينة لا تصح ، فهما حديثان أحدهما فيه راوٍ متراكب والآخر فيه راوٍ ضعيف.

فظهر أن الدعاء عند ركوب ما يركب هو دعاء واحد سواء أكان المركوب دابة، أم سفينة، أم غيرها، وأن الأحاديث الخاصة بالسفينة معلولة، والله أعلم.

### الموضع الثاني والستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الْدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ...﴾ [غافر: ١٥].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية ص ٧٣ من الجزء الرابع من تفسيره: أي هو الله ذو الدرجات الرفيعة والعرش العظيم.

قلت: المؤلف - وفقه الله - بهذا التفسير أعاد نص الآية بقوله : ذو الدرجات الرفيعة، ولم يفسرها، وهذه الآية من أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو لله عز وجل، ومن العلماء الذين استبطوا هذه الصفة الكريمة من هذه الآية الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٧٤/٤: حيث قال: يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبرائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها إلى آخر كلامه.

وقال الإمام الحافظ الذهبي في كتابه: (العلو للعلى الغفار) الذي اختصره وخرج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، يرحمه الله، قال : والقرآن مشحون بذكر العرش، وكذلك الآثار بما يمتنع أن يكون مع ذلك المراد بذلك الملك، ندع المكابرة والمراء فإن المراء في القرآن كفر ما أنا قلته؛ بل المصطفى ﷺ قاله.

قلت: قول الإمام الذهبي، يرحمه الله: ما أنا قلته؛ بل المصطفى ﷺ قاله، إشارة إلى حديث أورده الخطيب التبريزي، يرحمه الله، في (مشكاة المصايبين)، كتاب العلم ج ١ ص ٧٩ رقم الحديث ٢٣٦/٣٩، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "المراء في القرآن

**كفر**" رواه أحمد وأبو داود، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني، برحمه الله، في تعليقه على (مشكاة المصابيح): وإسناده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو صحيح باعتبار أن له شواهد صحيحة أوردتها في التعليق على المعجم الصغير للطبراني.

ومن العلماء الذين استدلوا بهذه الآية وهي قوله تعالى: (رُفِيعَ الْدَّرَجَاتُ ذُو الْعَرْشِ) على علو الله تعالى على خلقه الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه (**اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المغيرة والجهمية**) ص ١٤٣؛ ففي أثناء سياقه أدلة إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، قال: وفيه دليل على أن الله، جل وعلا، في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان، وليس على العرش. والدليل على صحة ما قاله أهل الحق ثم سرد عدة آيات من كتاب الله الكريم، ومنها هذه الآية وهي قوله تعالى: (رُفِيعَ الْدَّرَجَاتُ ذُو الْعَرْشِ).

وقد أورد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، يرحمه الله، في تفسيره كلاماً أكثر تفصيلاً في إثبات هذه الصفة الكريمة لله تعالى، والاستدلال على ذلك بهذه الآية حيث قال ص ٥١٥ / ٦: رُفِيعَ الْدَّرَجَاتُ ذُو الْعَرْشِ أي العلي الأعلى الذين استوى على العرش، واختص به وارتقت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره وجلت أوصافه وتعالت ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص الذي يرفع درجات أصحابه، ويقر لهم إليه و يجعلهم فوق خلقه.

**الموضع الثالث والستون بعد المائة:**

قوله تعالى: ﴿ وَيَقِنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].  
قال المؤلف في ص ٣٧٧ من الجزء الرابع من تفسيره، ويبقى وجه ربك: أي  
ذاته ووجه سبحانه وتعالى.

قلت: هذه العبارة لا تخلو من خطأ في التركيب، هو قوله: أي ذاته وجهه، كما أن فيها تأويلاً صريحاً لصفة الوجه الثابتة لله عز وجل، وهذا التأويل هو القول بأن المراد بالوجه الذات.

هذا المسك هو تأويل صفة من صفات الله تعالى بصفة أخرى قد رده علماء السلف من أهل السنة، وألزموا المؤول فيما فرّ إليه نظير ما فرّ منه أو أشد مما فرّ منه.

قال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في النقض على أهل هذا المنهج في كتابه: (الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة)، قال، يرحمه الله، ص ٢٣٥ / ١: والمقصود أن المتأول يفترُّ من أمر فيقع في نظيره؛ مثاله إذا تأول المحبة والرحمة والرضا والغضب والمقت بالإرادة قيل له : يلزمك في الإرادة ما لزمك في هذه الصفات.

وكذلك من تأول الأصبع بالقدرة؛ فإن القدرة أيضاً صفة قائمة بالموصوف

وعرض من أعراضه ففر من صفة إلى صفة، فهلا أقر النصوص على ما هي عليه ولم ينتهك حرمتها، إذا كان التأويل لا يخرجه مما فر منه، فإن المتأول إما أن يذكر معنى ثبوتيًا، أو يتأنّل اللفظ بما هو عدم محض، فإن تأوله بمعنى ثبوتي كانًا ما كان لزمه فيه نظير ما فر منه؛ فإن قال : أنا أثبت ذلك المعنى على وجه لا يستلزم تشبيهاً قيل له فهلا أثبت المعنى الذي تأولته على وجه لا يستلزم تشبيهاً.

فإن قال: ذلك أمر لا يعقل، قيل له: فكيف عقلته في المعنى الذي أثبته وأنت وسائل أهل الأرض، إنما تفهم المعاني الغائبة بما تفهمها به في الشاهد، ولو لا ذلك لما عقلت أنت ولا أحد شيئاً غائباً أبداً، فما أبديته في التأويل إن كان له نظير في الشاهد لزمه التشبيه، وإن لم يكن له نظير لم يمكنك تعقله أبداً، وإن أولت النص بالعدم عطلته، فأنت في تأويلك بين التعطيل والتشبيه، مع جناتيك على النص وانتهاك حرمته، فهلا عظمت قدره وحفظت حرمته وأقررته وأمررته مع نفي التشبيه، والتخلص من التعطيل، وبالله التوفيق.

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، في كتابه (شرح العقيدة الأصفهانية) ص ١٠: ومن الناس من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة كما جعل بعضهم إرادته عبارة عما يخلقه من المخلوقات وهذا ظاهر البطلان.

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في تعقيباته وملاحظاته على كتاب صفوة التفاسير ص ٩: تأويل الوجه بالذات تأويل باطل؛ لأنه نفي لصفة ثابتة لله تعالى.

قلت: نخلص من كلام شمس الدين ابن القيم إلى أن المؤول لصفة من صفات الله تعالى كتأويل الوجه بالذات، أو اليد بالقدرة، أو البصر بالعلم، أو السمع بالعلم ، جميع هؤلاء المؤمنين لا يخرجون من الأمر الذي ألزموا فيه أنفسهم؛ فزعموا أنه يلزمهم إذا أثبتو الصفات، وأنه يلزمهم

جميعاً فيما فروا إليه نظير ما ألزموا فيه أنفسهم فيما فروا منه، فلا يبقى أمامهم إلا إثبات الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته. وأما كلام الشيخ صالح الفوزان فهو على إيجازه مفيد فهو يفيدنا أن تأويل الصفة الثابتة لله تعالى هو نفي لها.

### الموضع الرابع والستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفَرَتُ الْجِيَادُ﴾ <sup>(٢١)</sup> فَقَالَ إِنِّي أَحَبِّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتِ بِالْحِجَابِ <sup>(٢٢)</sup> رُدُّوهَا عَلَى فَطْفَقَ مَسْحَا بِالْسُّوقِ وَالْأَغْنَاقِ <sup>(٢٣)</sup> [ص: ٣١ - ٣٣].

في ص ١٤ من الجزء الرابع من تفسيره استبطط المؤلف الحكم التالي :

ربط الطائرات النفاقة في الحظائر والمدرعات وإعدادها للقتال في سبيل الله حل محل ربط الجياد من الخيول في سبيل الله.

قلت: في هذا الحكم إجمال، فهو غير صحيح بهذا الإطلاق؛ فلو قيد بأن لكل زمان عدته وأسلحته وآلته الصالحة للحرب، وأن هذه الأمور وهي عدة القتال مما يخضع ويتمشى مع أحوال الناس وظروف الجهاد في سبيل الله، لو قيد بذلك لكان أولى وأقرب إلى الصواب؛ لأن الجزم بانتهاء ربط الخيول غير مسلم - فالله أعلم - فقد يأتي زمان تعود فيه الأمور وتتغير الأحوال، بحيث يصبح jihad بواسطة الخيول ولو في جهة من الدنيا، فلا يشترط أن تكون العدة للحرب متماثلة ومتساوية في الأمكنة كافة وفي سائر الأزمان، والله أعلم

بل ورد في السنة النص على الخيول وبقائهما إلى يوم القيمة ففي صحيح البخاري عن عروة بن الجعد رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (الخيول معقود في

نواصيها الخير إلى يوم القيمة).<sup>(١)</sup>

قد رواه البخاري، يرحمه الله، بسند آخر في الباب الذي بعد باب الحديث الأول، وعند شرح الحافظ ابن حجر، يرحمه الله، لهذا الحديث قال في فتح الباري ص ٦/٥٦: قوله لقول النبي ﷺ: (الخيل معقود..) سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنَّه ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيمة، وفسره بالأجر والمغنم، المغنم المقترب بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيِّد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً؛ فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر، وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل، وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيمة؛ لأنَّ من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون وهو مثل الحديث الآخر: لا تزال طائفة من أمتي على الحق.

### الموضع الخامس والستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحَ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا فَوْمًا فَسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦]. قال المؤلف في ص ٣٢٥ من الجزء الرابع من تفسيره معنى الآيات، أي: وفي إرسالنا نوحاً إلى قومه وتکذيبهم إيه وإصرارهم على الشرك والكفر والتکذيب، ثم إهلاكنا لهم بالطوفان وإنجاثنا المؤمنين آية من أعظم الآيات الدالة على وجود الله تعالى، وريوبنته وإلوهيته للعالمين المستلزمة للبعث والجزاء، الذي يصر الملاحدة على إنكاره ليواصلوا فسقهم وفجورهم بلا تأنيب ضمير ولا حياء ولا خوف أو وجع.

قلت: جاء كتاب الله عز وجل لتقرير توحيد الإلهية، أي توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنَّ توحيد الإلهية هو الذي جرى فيه الخلاف بين الرسل وأممهم، قال تعالى حكاية عن عادة قوم هود:

<sup>(١)</sup> فتح الباري ص ٦/٥٤ كتاب الجهاد وينظر اللؤلؤ والمرجان ص ٢٩٩.

﴿ قَالُوا أَجْعَلْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ إِبَّا آوْنَا فَأَنَا بِمَا  
تَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال تعالى حكاية عن  
شmod قوم صالح: ﴿ قَالُوا يَصْنَعُونَ قَدْ كُنْتَ فِيهَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَنْهَنَا أَنْ تَعْبُدَ مَا  
يَعْبُدُ إِبَّا آوْنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٢]، إلى غير ذلك من  
آيات الكتاب الكريم، التي تحكي دعوة الأنبياء لأممهم إلى توحيد الله، قال  
العبادة، ورفض هذه الأمم لذلك مع اعترافهم بوجود الله وربوبيته، قال  
تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القمان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وأنقل هنا كلاماً لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، حيث قال  
في (درء تعارض العقل والنقل) ص ٨/٤٨٩: وأما الاعتراف بالخالق فإنه  
علم ضروري لازم للإنسان لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه؛ بل لا بد أن  
يكون قد عرفه، وإن قدر أنه نسيه، ولهذا بعد التعريف بذلك تذكيراً،  
فإنه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد.

وقال أيضاً في (درء تعارض العقل والنقل) ص ٨/١١: والشهادة تتضمن  
الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله ﷺ، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يكون  
به الرجل مؤمناً؛ بل ولا يصير مؤمناً بآن يعلم أنه رب كل شيء حتى  
يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً  
رسول الله.

وعن قيمة توحيد الألوهية وحاجة العباد إليه، يقول الإمام ابن قيم الجوزية  
في (إغاثة الهاشمي) ج ١ ص ٢٩:

فإن حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتأليههم له ك حاجتهم إليه في  
خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وتأمين

روعاتهم؛ بل حاجتهم إلى تأليهه ومحبته و، عبوديته أعظم؛ فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، ولا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك، ولهذا كانت: لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان توحيد الإلهية رأس الأمور، أما توحيد الريوبوبيّة لا يكفي؛ بل هو الحجة عليهم، كما بين ذلك سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواقف، ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ بن جبل رض عن النبي ﷺ قال: أتدرى ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه ألا يعذبهم بالنار. ولذلك يحب سبحانه المؤمنين الموحدين ويفرح بتوبتهم؛ كما أن في ذلك أعظم سعادة العبد ونعمته ولذته؛ فليس في الكائنات شيء غير الله عز وجل يسكن القلب إليه، ويطمئن به، ويأنس به، ويتعتم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره، سبحانه، وحصل له به نوع منفعة ولذة؛ فمضرته بذلك أضعاف أضعف منفعته، وهو بمنزلة أكل الطعام اللذيذ المسموم، وكما أن السموات والأرض لو كان فيها آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: "لَوْ فِيهِمَا آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"؛ فكذلك القلب إذا كان فيه معبد غير الله تعالى فسد فساداً لا يُرجى صلاحه؛ إلا بأن يُخرج ذلك المعبد منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبده، الذي يحبه ويرجوه ويحافظه ويتوكّل عليه، وينبئ إليه.

### **الموضع السادس والستون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمُ الْحَكَمَيْنَ ﴾ [الثّيُون: ٨].

قال المؤلف في ص ٦٨٣ من الجزء الرابع من تفسيره، عند كلامه على هداية الآيات : مشروعية قول: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين بعد قراءة والتين؛ إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك .

قلت: هذا الحكم وهو القول بمشروعية هذا الذكر، أي قول (بلى وأنا على ذلك من الشاهدين) بعد قراءة سورة التين مبني على حديث في سنن الترمذى رقم الحديث ٣٤٠٥، وهو حديث غير ثابت قال في (عارضه الأحوذى شرح سنن الترمذى) ص ١٢/٢٤٩، عن إسماعيل بن أمية قال: سمعت رجلاً بدوىًّا أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يرويه يقول: (من قرأ التين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكام الحاكمين فليقل وأنا على ذلك من الشاهدين)، قال أبو عيسى : هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابى عن أبي هريرة رض قال شارح السنن؛ ذكره مجهول عن أبي هريرة عن النبي صل قال: (من قرأ أليس الله بأحكام الحاكمين وأنا على ذلك من الشاهدين) الإسناد: روى أهل التفسير أن النبي صل كان يقولها وهو حديث باطل .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، يرحمه الله ، في فتاواه ص ٢٣٥ ج ٢: وورد في (أليس الله بأحكام الحاكمين) حديث إلا أن فيه ضعفاً ظاهراً، وكذلك ما يقوله العامة عند قوله تعالى: (بماء معين) يأتي به الله ، لا يثبت فيه شيء.

## الموضع السابع والستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّهِيرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. فسر المؤلف هذه الآية في ص ٤٠٣ من الجزء الرابع من تفسيره، ولم أر ما ينتقد على المؤلف حول هذه الآية، ولكن لما رأيت كثيراً من المفسرين والكتاب يطلق على الله تعالى اسم (القديم)، وهذا الاسم الكريم من الأسماء الحسنى (الأول)، الوارد في هذه الآية، يغنى عنه؛ حيث نقل كلام أهل العلم حول هذا الاسم، قال في شرح الطحاوية ص ٥٤: وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (القديم)، وليس هو من أسماء الله الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا

هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: (حتى عاد كالعرجون القديم)، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قبل للأول قديم، وقال تعالى: (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)، أي متقدم في الزمان وقال تعالى: (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأقدمون) فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه القول القديم، والجديد للشافعي، يرحمه الله تعالى، وقال تعالى: (يقدم قومه يوم القيمة أوردهم النار)، أي: يتقدمهم، ويستعمل منه الفعل لازماً ومتعدياً، كما يقال: أخذت ما قدم وما حدث، ويقال هذا قدم هذا وهو يقدمه، ومنه سميت القدم قدماً؛ لأنها تقدم بقية بدن الإنسان.

وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف؛ منهم ابن حزم، يرحمه الله، ولا ريب أنه كان مستعملاً في نفس التقدم؛ فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنة التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها؛ فلا يكون من الأسماء الحسنة، وجاء الشرع باسمه (الأول) وهو أحسن من القديم؛ لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه وتتابع له بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنة لا الحسنة.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، يرحمه الله، في فتاواه: ٤/٢٠٤: الصحيح أن القديم ليس من أسماء الله تعالى، وجاء في حديث أظنه ضعيفاً في سنن ابن ماجه وجاء ما هو أكمل منه وأثبت وهو (الأول) فقوله: القديم بناء على الحديث المذكور؛ فلا يثبت به فرع من الفروع فضلاً عن إثبات أصل من الأصول وهو أسماء الله تعالى.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، يرحمه الله، في

حاشيته على الطحاوية تعليقاً على قول الطحاوي، يرحمه الله، : قد يُقال بلا ابتداء، قال ص<sup>٩</sup>: هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح، يرحمه الله، وغيره؛ وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء. وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي؛ كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح، ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام لأنه يقصد به في العربية المتقدم على غيره، وإن كان مسبوقاً بالعدم كما في قوله سبحانه (حتى عاد كالعرجون القديم)، وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف، وهي قوله: قد يُقال بلا ابتداء، ولكن لا ينبغي عده في أسماء الله الحسنى لعدم ثبوته من جهة النقل ويعني عنه اسمه سبحانه: (الأول) كما قال الله عز وجل : (هو الأول والآخر).

### **الموضع الثامن والستون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٢]. قال المؤلف في ص ١٩٨ من الجزء الرابع من تفسيره (شرح الكلمات)، العزيز: أي: الغالب المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

قلت: تتضمن هذه الآية الإشارة إلى أسمين من أسماء الله الحسنى وهما (العزيز الرحيم) وقد تكلم شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية على اسمه تعالى (العزيز) في الفتاوى ص ١٤/١٨٠: فقال: والعزة تتضمن القدرة والشدة والامتان والغلبة، تقول العرب: عَزَّ، يعْزُّ، بفتح العين إذا صلب، وعز يعْزُّ، بكسرها إذا امتنع، وعز يعْزُّ بضمها إذا غالب، فهو سبحانه، قوي متين وهو منيع لا ينال وهو غالب لا يغلب، وقد تكلمت على هذا الاسم من أسماء الله وهو (العزيز) ودلالته على صفة العزة لله عز وجل بأوسع من هذا في غير هذا الموضع.

وأما اسم الله تعالى (الرحيم) ودلالته على صفة الرحمة الثابتة لله عز

وحل، فقد تم الكلام عليه بشيء من التفصيل والتوضيح عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ، والله أعلم.

### الموضع التاسع والستون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ [الفجر: ٢٢].

عند تفسير المؤلف لهذه الآية في ص ٦٦٥ من الجزء الرابع من تفسيره ترك تفسير قوله تعالى: (وجاء ربك)، وفسر ما بعدها وهو قوله تعالى: (والملك صفاً صفاً)، ولكنـه أشار إليها موجزة في معنى الآيات، فرأيت أنها تحتاج إلى زيادة إيضاح لصفة المجيء الثابتة للـله تعالى.

ومما يوضح معنى الآية، والمقصود بالمجيء، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ص ٦٤ من المجلد الخامس، حيث قال، يرحمـه الله: كذلك قال الله (وجاء ربـك)، بمعنى أنه سيجيـء، ويكون المـجيـء بالـمجـيء، وتخـلف الفـعل لـوقـت المـجيـء، فهو جاءـ سـيجـيءـ، وـيـكونـ المـجيـءـ منهـ موجودـاـ بـصـفـةـ لاـ تـلـحـقـهـ الـكـيـفـيـةـ وـلاـ التـشـبـيـهـ؛ لأنـ ذـلـكـ فـعـلـ الـرـيـوبـيـةـ فـيـسـتـحـسـرـ الـعـقـلـ، وـتـقـطـعـ النـفـسـ عـنـ إـرـادـةـ الدـخـولـ فـيـ تـحـصـيلـ كـيـفـيـةـ الـمـعـبـودـ، فـلـاـ تـذـهـبـ فـيـ أـحـدـ الـجـانـبـيـنـ؛ لـاـ مـعـطـلـاـ وـلـاـ مـشـبـهـاـ، وـارـضـ بـماـ رـضـيـ اللـهـ بـهـ لـنـفـسـهـ مـسـتـسـلـاـ مـصـدـقاـ بـلـاـ مـبـاـحـثـةـ التـنـفـيرـ وـلـاـ مـنـاسـبـةـ التـقـيـرـ.

كما يوضح الإمام ابن كثير، يرحمـه الله، صـفـةـ المـجيـءـ الثـابـتـةـ للـلهـ عـنـ تـفـسـيرـهـ لـهـذـهـ الـآـيـاتـ فيـ صـ ٥١٠ـ منـ الـجـزـءـ الـرـابـعـ، حيثـ قـالـ: وجـاءـ ربـكـ : يعنيـ لـفـصـلـ الـقـضـاءـ بـيـنـ خـلـقـهـ، وـذـلـكـ بـعـدـ ماـ يـسـتـشـفـعـونـ إـلـيـهـ بـسـيـدـ وـلـدـ آـدـمـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ مـحـمـدـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـةـ عـلـيـهـ، بـعـدـ ماـ يـسـأـلـونـ أـوـلـيـ الـعـزـمـ مـنـ الرـسـلـ وـاحـدـاـ بـعـدـ وـاحـدـ، فـكـلـهـمـ يـقـولـ لـسـتـ بـصـاحـبـ ذـاكـمـ، حـتـىـ تـنـتـهـيـ بـالـنـوـيـةـ إـلـىـ مـحـمـدـ ﷺـ فـيـقـولـ: أـنـاـ لـهـاـ فـيـذـهـبـ فـيـشـفـعـ عـنـ اللـهـ تـعـالـىـ

في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك، وهي أول الشفاعات وهي المقام محمود، وعند تفسير الإمام ابن كثير، يرحمه الله، لقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْفَمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ... قال، يرحمه الله، في ص ١/٢٤٨ يقول تعالى مهدداً للكافرين بـمحمد صلوات الله وسلامة عليه: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الفمام والملائكة) يعني: يوم القيمة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولهذا قال تعالى: (وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ دَكًا دَكًا ٦١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا ٦٢ وَجَاءَهُ يَوْمَئِمٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنَذَّكِرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّ لَهُ الْذِكْرَ ٦٣ ﴾ وقال تعالى: وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ إِيمَانِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ إِيمَانِ رَبِّكَ .. ﴾ الآية) وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير ه هنا حديث الصور بطوله من أوله عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم.

قلت: وما دام الحافظ ابن كثير، يرحمه الله، يحكم بشهرة هذا الحديث وبأنه ساقه أصحاب المسانيد وقد رواه الحافظ ابن جرير في تفسيره ص: ٢/٣٣٠، فإني أسوق هذا الحديث لما فيه من التصريح بصفة المجيء لله عز وجل، قال الإمام ابن جرير، يرحمه الله، :

حدثنا أبو كريب قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاري عن إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زيد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (توقفون موقفاً واحداً يوم القيمة مقدار سبعين عاماً لا يُنظر إليكم ولا يُقضى بينكم قد حصر عليكم فتبكون حتى ينقطع الدمع ثم تدمعون دماً وتباكون

حتى يبلغ ذلك منكم الأذقان أو يلجمكم فتصيرون ثم تقولون: من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم جبل الله تربته وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً فيؤتى آدم فيطلب ذلك إليه فيأبى ثم يستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبي، قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني فإذا جاءوني خرجت حتى آتي الفحص قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟

قال: قدام العرش فأخر ساجداً فلا أزال ساجداً حتى يبعث الله لي ملائكة فيأخذ بعضدي فيرفعني ثم يقول الله لي يا محمد فأقوم: نعم وهو أعلم، فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم فيقول: قد شفعتك أنا آتيكم فأقضي بينكم قال رسول الله ﷺ: فأنصرف حتى أقف مع الناس فبينا نحن وقوف سمعنا حسناً من السماء شديداً فهالنا فنزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم فقلنا لهم الثانية بمثلي من نزل من الملائكة ويمثلني من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم فقلنا لهم أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم نزل أهل السماء الثالثة بمثلي من نزل من الملائكة، ويمثلني من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم فقلنا لهم أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم نزل أهل السموات على عدد ذلك من التضعيف حتى نزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت سبحان رب العرش ذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يحيي الخلائق ولا يموت سبحانه قدوس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى سبحان ذي السلطان والعظمة سبحانه أبداً أبداً فينزل تبارك

وتعالى يحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم فوضع الله عز وجل عرشه حيث شاء من الأرض ثم ينادي مناد نداء يُسمع الخلائق فيقول يا معاشر الجن والإنس إني قد أنصت منذ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع كلامكم وأبصر أعمالكم فأنصتوا إلى فإنما هي صحفكم وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فيقضى الله عز وجل بين خلقه الجن والإنس والبهائم فإنه ليقتضي يومئذ للجماعء من ذات القرن).

### الموضع السبعون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعِدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

قال المؤلف في ص ٣٧١ من الجزء الرابع من تفسيره : عند مليك مقدر: أي ذي ملك مقدر على ما يشاء وهو الله جل جلاله.

قلت: فسر المؤلف الكلمة (مليك) وأما كملة: (عند) فتركها وهذه الكلمة دلالة عند أهل السنة والجماعة؛ مما يوصف بأنه (عند الله) يختلف عما لا يوصف بذلك، فقد ورد وصف بعض الأشياء بأنها عند الله، فاكتسبت بذلك زيادة منزلة ودرجة عن غيرها، وقد أشار الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره إلى هذا المعنى فقال ص ٤/٢٦٩ :

وقوله تعالى (في مقعد صدق)، أي : في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه، وجوده وإحسانه (عند مليك مقدر) أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدارها، وهو مقدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: (المقطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)، انفرد بآخر اوجه مسلم.

وقد عدَّ شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، جعل بعض الخلق

عنه دون بعض من أدلة علوه تعالى فقال، يرحمه الله، في الفتوى  
ص ١٦٤ وما بعدها من المجلد الخامس: فإذا تبين ذلك فوجوب إثبات  
(العلو لله تعالى) ونحوه يتبع من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن القرآن والسنة المستفيضة المتواترة وغير المتواترة  
وكلام السابقين والتابعين وسائل القرون الثلاثة، مملوءة بما فيه إثبات  
العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات  
وأصناف من العبارات؛ تارة يخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم  
استوى على العرش وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع،  
وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقوله تعالى: (بل  
رفعه الله إليه)، (إني متوفيك ورافعك إلی)، (وتعرج الملائكة والروح  
إليه)، وقوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).  
وتارة يخبر بنزلتها منه أو من عنده، كقوله تعالى (والذين آتيناهم  
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) (قل نزله روح القدس من رب  
بالحق)، (حم تزيل من الرحمن الرحيم)، (حم تزيل الكتاب من الله  
العزيز الحكيم).

وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى كقوله تعالى: (سبح اسم ربكم الأعلى) وقوله  
(وهو العلي العظيم)، ويخبر بأنه في السماء كقوله: (أَمْنَتُمْ مِنْ فِي  
السماء أَنْ يخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورَ امْ أَمْنَتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ  
يُرْسَلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا). فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهية  
أو غيرها؛ كما ذكر في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ  
إِلَهٌ)، وقال تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)، وكذلك قال النبي  
ﷺ: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ)، وقال للجارية: (أَيْنَ اللَّهُ)  
قالت: في السماء، قال: (أَعْتَقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة).

وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض كقوله تعالى: (وله من في  
السموات ومن في الأرض) ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله تعالى: (إن

الذين عند ربك لا يستكرون عن عبادته ويسبحونه ولو يسجدون) فلو كان موجب العندية معنى عاماً لدخولهم تحت قدرته ومشيئته، وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده، ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته؛ بل مسبحاً له ساجداً، وقد قال تعالى: (إن الذين يستكرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين)، وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردأ على الكفار المستكبرين عن عبادته، وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكثافة، وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى.

وقد استتبط الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٤٢/٧: الإشارة إلى صفة قرب المؤمنين من ربهم استدلاً بقوله تعالى: (عند ملوك مقتدر) فقال: (في جنات ونهر) أي: في جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الآنية، والماكل والمشارب اللذيدة، والحوور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضا الملك الديان، والفوز بقربيه، ولهذا قال: (في مقعد صدق عند ملوك مقتدر)، فلا تسأل بعد هذا عما يعطفهم ربهم من كرامته وجوده ويمدهم به من إحسانه ومنته.

قلت: فاتضح أن لقوله تعالى: (عند) دلالة ومعنى في باب الأسماء والصفات، وأن هذه الآية من أدلة إثبات العلو لله عز وجل، وجرى تأييد ذلك بنقل كلام أهل العلم المتضمن لهذا المعنى الجليل، والله أعلم. وما يحسن إثباته هنا كلام للإمام ابن قيم الجوزي، يرحمه الله، فقد ذكر أن الصحابة تنازعوا في تأويل بعض آيات الأحكام مثل: (الذي بيده عقدة النكاح)، ومثل معنى: (لامستم) في قوله تعالى: (أو لامستم النساء)، وغيرها إلى أن قال ص ٢١٠/١ من (الصواعق المرسلة): ولم يتنازعوا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد؛ بل اتفقت

كلمته وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وامرارها، مع فهمهم معانيها وإثبات حقيقتها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد فيبينها الله ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس ولا إشكال يوقع الراسخين في العلم في منازعة، ولا اشتباه. ومن شرح الله لها صدره ونور لها قلبه يعلم أن دلالتها على معانيها أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها، ولهذا آيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس وأما آيات الصفات فيشترى في فهمها الخاص والعام أعني فهم المعنى لا فهم الكنه والكيفية.

### **الموضع الواحد والسبعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيد﴾ [البروج: ١٥] ، قال المؤلف في ص ٦٤٩ من الجزء الرابع من تفسيره عند شرحه للمفردات : أي : صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه ... ، وقال عند شرحه لمعنى الآيات : ذو العرش ، أي صاحب العرش خلقاً وملكاً.

قلت: وصف الله بأنه ذو العرش، يشير إلى معنى أكثر من كونه خالقاً للعرش ومالكاً له، فهذا الوصفان وهما الخلق والملك لا يختص بهما العرش، قال تعالى: (الله خالق كل شيء) وقال تعالى: (الله ملك السموات والأرض)، وأما المعنى المراد من هذه الإضافة فهو إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وقد جرى تقرير هذا المعنى عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: (رفع الدرجات ذو العرش).

## الموضع الثاني والسبعون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿...لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

قال المؤلف عند كلامه على شرح مفردات الآية ص ٤٢٥ من الجزء الرابع من تفسيره: (لتؤمنوا بالله ورسوله..) لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران.

وقال عند كلامه على هداية الآيات ص ٤٢٧ : طاعة الله ورسوله إيمان ومعصية الله ورسوله من الكفران.

قلت: سار المؤلف في عدة مواضع من هذا التفسير على الإجمال في العبارات، وعدم التقييد بالحدود والتعريفات المعتبرة عند السلف؛ مما يجعل كلامه محتملاً للخطأ ولو كان هذا الخطأ غير مقصود له. ومن ذلك قوله هنا (ومعصية الله ورسوله من الكفران) ومعلوم أن الكفر؛ منه ما هو كفر أكبر مخرج عن ملة الإسلام، ومنه ما هو كفر دون كفر أي غير مخرج عن ملة الإسلام، ومنه ما يسمى كفر النعمة؛ ومن أمثلته ما ورد في صحيح مسلم ص ١/٨٢ في باب : إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، وروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت)، وهذا الحديث قد أورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يرحمه الله، في باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، وقد شرحه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في ص ٥١٤ من كتابه (تيسير العزيز الحميد) فقال: هما: أي الاثنتان، قوله: بهم كفر: أي هما الناس، أي: فيهم كفر. قالشيخ الإسلام. أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم في الناس؛ فتفس الخصلتين كفر حيث كانتا في أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر،

كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان، وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)، وكفر منكر في الإثبات. اهـ.

ومن ينعم النظر ويتمعن في كلام الشيخ سليمان بن عبد الله، وما ينقله عن شيخ الإسلام يتبيّن له ما يلتزمه علماؤنا، قدّيماً وحديثاً من عبارات عند كلامهم على الحدود والأسماء الشرعية، وحرصهم على الابتعاد عما فيه إجمال أو احتمال.

### الموضع الثالث والسبعون بعد المائة:

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ١ - ٥].

قال المؤلف عند كلامه على هداية الآيات في ص ٣٧٥ من الجزء الرابع من تفسيره: مشروعية تعلم علم الفلك؛ لمعرفة القبلة ومواعيit الصلاة والصيام والحج.

قلت: ما ذكره المؤلف من المشرعية هو كلام مجمل يتضمن حكمًا شرعياً، قد يفهم منه بعض الناس أن على كل مسلم أن يتعلم علم الفلك وليس كذلك.

وقد سار المؤلف - وفقه الله - في تفسيره هذا على إصدار الحكم الشرعي على كثير من الأفعال والأقوال لكلام مجمل كهذا، وهو قوله: مشروعية كذا وكذا، وكثير مما يطلق عليه هذا الحكم هو محل إشكال ولا يظهر دليله، ولعل بعض ما يطلقه من ذلك هو فهم خاص لفضيلته وليس مثبتاً في شيء من التفاسير وكتب الأحكام.

وللإمام شيخ الإسلام ابن تيمية كلام حول العلم بجهة القبلة، وأنه يكتفي في ذلك بالطرق التي سار عليها الصحابة والتابعون، ولا يشترط

لها شيء مما استحدث من العلوم قال، يرحمه الله، في كتابه: (الرد على المنطقين) ص ٢٥٨، وهكذا كل ما بعث به الرسول ﷺ مثل العلم بجهة القبلة، والعلم بمواقع الصلاة، والعلم بظهور الفجر، والعلم بالهلال؛ فكل هذا يمكن العلم به بالطرق المعروفة التي كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يسلكونها، ولا يحتاج معها إلى شيء آخر وإن كان كثيراً من الناس قد أحدثوا طرقاً أخرى، وكثير منهم يظن أنه لا يمكن المعرفة بالشريعة إلا بها وهذا من جهلهم.

كما قد يظن طائفة من الناس أن العلم بالقبلة لا يمكن إلا بمعرفة أطوال البلاد وعروضها، إلى أن قال، يرحمه الله: فهذا علم صحيح حسابي يُعرف بالعقل، لكن معرفة المسلمين ب قبلتهم في الصلاة ليست موقوفة على هذا؛ بل قد ثبت عن صاحب الشرع، صلوات الله عليه، أنه قال: (ما بين المشرق والمغارب قبلة) رواه الترمذى وقال حديث صحيح.

وأما قول المؤلف: مشروعية تعلم .. الخ، فهذا حكم شرعى ، وهو كما تقدم يحتاج إلى دليل؛ إذ المشروعية من وجوب أو ندب أو تحريم لا يثبت شيء منها إلا بالأدلة الشرعية عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ، والرسول ﷺ هو الذي بلغ إلينا القرآن؛ فرجعت الأدلة إلى مصدر واحد وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وبهذا الشأن يقول الإمام تقى الدين ابن تيمية، يرحمه الله، في كتابه (الجواب الباهر في زوار المقابر) ص ٥٧: وأما القول: بأن هذا الفعل مستحب، أو منهي عنه، أو مباح، فلا يثبت إلا بدليل شرعى؛ فالوجوب، والندب، والإباحة، والاستحباب، والكرابة، والتحريم، لا يثبت شيء منها إلا بالأدلة الشرعية، والأدلة الشرعية مرجعها كلها إليه صلوات الله وسلامه عليه؛ فالقرآن هو الذي بلغه والسنة هو الذي علمها والإجماع بقوله عُرف أنه معصوم، والقياس إنما يكون حجة إذا علمنا أن الفرع مثل الأصل، وأن علة الأصل في الفرع، وقد علمنا أنه ﷺ لا يتناقض فلا يحكم في المتماثلين بحكمين

متاقضين، ولا يحکم بالحکم لعنة تارة ویمنعه أخرى؛ مع وجود العلة إلا لاختصاص إحدى الصورتين بما یوجب التخصيص، فشرعه هو ما شرعه هو ﷺ، وسنته ما سنها هو، لا یضاف إليه قول غيره وفعله، وإن كان من أفضل الناس إذا أردت سنته؛ بل ولا یضاف إليه إلا بدليل يدل على الإضافة، ولهذا كان الصحابة كأبي بكر وعمر وابن مسعود رض يقولون باجتهادهم ويكونون مصيّبين موافقين لسنته، لكن يقول أحدهم: أقول هذا برأيي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، فإن كل ما خالف سنته فهو شرع منسوخ أو مبدل، لكن المجتهدون وإن قالوا بآرائهم وأخطأوا فلهم أجر، وخطأهم مغفور لهم.

#### **الموضع الرابع والسبعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿... يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَمَ اللَّهِ ...﴾ [الفتح: ١٥]. قال المؤلف عند تفسيره لهذه الجملة في ص ٢٧١ من الجزء الرابع من تفسيره: يريدون أن يبدلوا كلام الله: وهو وعده لأهل الحديبية بأن يغنمهم غنائم خير.. الخ.

قلت: رد الشيخ صالح الفوزان مثل هذه العبارة على : محمد علي الصابوني ، واعتبرها تأويلاً لصفة الكلام الثابتة لله تعالى ، فقد قال في ص ٣٧ من تعقيباته وملاحظاته على الصابوني:

هذا تأويل لصفة من صفات الله، وهي الكلام، فلو قال: أي يريدون أن يبدلوا كلام الله الذي وعد به المؤمنين .. لكان هو الصواب.

#### **الموضع الخامس والسبعون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]. قال المؤلف في ص ٤٩٩ من الجزء الرابع من تفسيره : العزيز: أي: العزيز في الانتقام من أعدائه ، الحكيم: في إجراء أحكامه وتدبير شؤون عباده.

قلت: جرى الكلام على هذين الاسمين من أسماء الله الحسنى وبيان دلالتهما، وذلك عند الكلام على تفسير المؤلف للآية الأولى من سورة الحديد وهي قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. كما جرى إيضاح هذين الاسمين في مواضع عدّة بما يغنى عن الإعادة هنا. والله أعلم.

## **الموضع السادس والسبعين بعد المائة:**

قوله تعالى: ﴿وَالثَّيْنِ وَالرَّيْتُونِ﴾ [الثين: ١].

عند كلام المؤلف على هداية الآيات في ص ٦٨٣ من الجزء الرابع من تفسيره استتبط حكماً شرعياً هكذا: استحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما.

**الموضع السالب والسلبيون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَلَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّهِ﴾ [الماعون: ١].

قال المؤلف في ص ٧٠٧ من الجزء الرابع من تفسيره عند كلامه على هداية الآيات:

تقرير عقيدة البعث والجزاء، ثم قال في الفقرة التي بعدها: أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبـهـ شـرـ الـخـلـقـ لـاـ خـيـرـ فـيـهـ أـلـبـةـ.

قلت: تعبير المؤلف بـ(عقيدة البعث) غير كافٍ في إيضاح المراد؛ بل العبرة الصحيحة أن يقال الإيمان بالبعث، فكلمة (الإيمان) هي العبارة التي ترد بنصوص الشرع.

ففي صحيح مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: سلوني، فهايوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبته فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: ألا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، قال: صدقت، قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتومن بالبعث وتومن بالقدر كله قال: صدقت، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت، قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت المرأة تلد ربها؛ فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصنم البكم ملوك الأرض؛ فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان؛ فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمون إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا

<sup>(٤)</sup> صحيح مسلم كتاب الإيمان ج ١ ص ٤٠.

فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكُوِّنُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ [القمان: ٣٤]، قال ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ: (ردوه على)، فالثمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألو.

وفي صحيح مسلم <sup>(١)</sup> أيضاً عن ابن عباس قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن هذا الحي من ربعة قد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمر نعمل به وندعوا إليه من ورائنا قال: أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله ثم فسرها لهم فقال: (شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم وأنهاكم عن الدباء والحنث والنمير والمقيّر)، زاد خلف في روایته وشهادة لا إله إلا الله وعقد واحدة، فهذا الحديثان جرى اختيارهما من صحيح الإمام مسلم وفيهما التصريح من الرسول عليه الصلاة والسلام بكلمة (الإيمان) وكلمة (تؤمن): لأنها تحدد المعنى وتحصره في المراد، وهي أدق وأكثروضوهاً من كلمة الاعتقاد ذات الاحتمال، فقد جاء في المصبح المنير <sup>(٢)</sup>.

اعتقدت كذا، عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به، قوله عقيدة حسنة سالمه من الشك، وقال العلامة الشيخ محمد السفاريني في شرح الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية <sup>(٣)</sup>: الاعتقاد: هو حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقاً للواقع فهو صحيح وإنما فهو فاسد، قلت: فتحصل أن العبارة السليمة هي عبارة : الإيمان بالبعث، فهي أوضح دلالة من عبارة عقيدة البعث ، كما سبق توضيح ذلك وبيانه.

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم كتاب الإيمان ج ١ ص ٤٦.

<sup>(٢)</sup> انظر المصباح المنير للفيومي ص ٢١٦٠

<sup>(٣)</sup> انظر لوامع الأنوار البهية ص ١٦٠

## الموضع الثامن والسبعين بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

قال المؤلف في ص ٣٧٣ من الجزء الرابع من تفسيره: النجم والشجر يسجدان:

النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق، يسجدان: يخضعان لله تعالى بما يريد منها في طواعية كالسجود من المكلفين.

قلت: في معنى النجم الوارد في الآية قولهان ساقهما الحافظ ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره، أحدهما: هو ما ذكره المؤلف، والأخر وهو الراجح أنه النجم الذي في السماء، قال الإمام ابن كثير في تفسيره ص ٢٧٠/٤: والنجم والشجر يسجدان: قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله: (والنجم) بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ قال : النجم ما أنبسط على وجه الأرض، يعني من النبات، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري وقد اختاره ابن جرير، يرحمه الله، تعالى وقال مجاهد / النجم الذي في السماء وكذا قال الحسن وقتادة، وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالى:

﴿أَلمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكَرِّرٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فهذا القول الذي رجحه ابن كثير لا يليق بإغفاله وعدم ذكره؛ لا سيما وهو يتفق مع المشهور من اللغة بأن النجم هو المعروف في السماء، وإن كان التفسير الآخر مروياً عن السلف أيضاً، فلا يمنع ذلك من ذكر هذا القول.

وتفسير المؤلف السجود بالخضوع مردوداً أيضاً؛ لعدم الدليل الصارف

للسجود الوارد في الآية عن معناه المعروف، وقد ردَّ الشيخ صالح بن فوزان في تعقيباته على صفة التفاسير ص ٢٨: تفسير السجود بالانقياد فقال: وكل شيء يسجد لله سجدةً حقيقةً بكيفيته ويعلمها الله؛ كالتسبيح وقد قال تعالى: ﴿... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنَّ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤]، قلت وقد ورد حديث فيه التصريح بسجود الشمس ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره وذكر أنه في الصحيحين فقال: ص ٣٢١١: وفي الصحيحين عن أبي ذر رض قال: قال اللي رسول الله صل: أتدرى أين تذهب هذه الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجع من حيث جئت، وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه.

وقد ذكر في جامع الأصول حديث أبي ذر هذا بزيادة بعض الروايات، وهو أبسط قليلاً مما ذكره الإمام ابن كثير ونسبة إلى البخاري ومسلم والترمذى، فقال: أبو ذر الغفارى رض قال: كنت مع رسول الله صل في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس؟ فقلت: الله ورسوله أعلم قال: تذهب لتسجد تحت العرش فستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجع من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَّهَا أَذْلَكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. وفي رواية ثمقرأ: (ذلك مستقر لها) في قراءة عبد الله، وفي رواية فقال رسول الله صل: تدرؤن متى ذاكم؟ ذاكم حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وفي أخرى مختصرأ قال: سألت النبي صل عن قوله (والشمس تجري مستقر لها) قال: مستقرها تحت

العرش – هذه روايات البخاري ومسلم وفي رواية الترمذى مثل الأولى.<sup>(١)</sup>  
وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى وجوهاً في معنى السجود من الشمس  
والقمر ومن هذه الوجوه السجود الحقيقى فقال ص ٢٩/٩٠<sup>(٢)</sup>

حقيقة السجود توجد منها وإن لم تكن مرئية، كما يسبح كل منها  
وإن لم يُفقه كما قال تعالى: (ولَكُنْ لَا تَفْهَمُونَ لِتَسْبِيحُهُمْ).

وقد تكلم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، يرحمه الله، في تفسيره على  
سجود الظل في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا  
وَظَلَّلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَابِ ﴾ [الرعد: ١٥]، ثم قال في آخر كلامه ص ٨٨ ج ٣،  
ونحن نقول: إن الله جل وعلا قادر على كل شيء؛ فهو قادر على أن يخلق  
للظل إدراكاً يسجد به لله تعالى سجوداً حقيقة، والقاعدة المقررة عند  
علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من  
كتاب أو سنة، ولا يخفي أن حاصل القولين:

أحدهما: أن السجود شرعى، وعليه فهو في أهل السموات والأرض من  
العام المخصوص.

والثاني: أن السجود لغوى بمعنى الانقياد والذل والخضوع، وعليه فهو باق  
على عمومه. والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من  
الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية، حُمل  
على الشرعية؛ وهو التحقيق خلافاً لأبي حنيفة في تقديم اللغوية. ولمن قال  
يصير اللفظ مجملأً؛ لاحتمال هذا وذاك، وعقد هذه المسألة صاحب  
مراقي السعود بقوله::

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| إن لم يكن فمطلق الشرعي      | واللفظ محمول على الشرعي   |
| بحث عن المجاز في الذي انتخب | فاللغوي على الجلي ولم يجب |

<sup>(١)</sup> انظر جامع الأصول ص ٢٦ ج ٤

<sup>(٢)</sup> تفسير الفخر الرازى ج ٢٩ ص ٩٠.

قلت: فهذا القول الذي قاله الشيخ الشنقيطي في سجود الظل، وأنه إذا دار اللفظ بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، وأمكن حمله على الحقيقة الشرعية فإنه يُحمل عليها، هذا القول أيضاً ينطبق على السجود من الشمس والقمر فيُحمل سجودهما على الحقيقة الشرعية، ويوكِّل علم كيفية ذلك إلى الله عز وجل، فالعباد ليسوا مكلفين أو متبعين بكيفيات لم يعلّمهم الله إياها؛ بل المطلوب منهم الوقوف مع النصوص؛ مما ثبت بالكتاب أو السنة وجب الإيمان به، وما لم يثبت فلا تكليف بشأنه.

### **الموضع التاسع والسبعين بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ۱۱]. قال المؤلف في ص ۱۳۶، ۱۳۷ من الجزء الرابع من تفسيره عند تفسيره لهذه الآية:

أي السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم، ثم قال: وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

قلت: قد أخذ المؤلف صفة السمع الثابتة لله عز وجل من قوله تعالى (وهو السميع) أما صفة البصر المأخوذة من قوله تعالى (البصير) فقد أخذ منها إثبات صفة العلم، وصرفها عن صفة البصر التي نسبت إليها.

وقد أشار المفسرون إلى استبطاط صفتين السمع والبصر من هذه الآية، فقال أبو جعفر ابن جرير، يرحمه الله، في تفسيره ص ۲۵ ج ۱۲:

وقوله هو السميع البصير: يقول جل ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه السميع: لما تتطق به خلقه من قول البصير لأعمالهم لا يخفي عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه مُحصٍ صغره وكبيره (لتجزى كل نفس بما كسبت) من خير أو شر

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، يرحمه الله، في تفسيره<sup>(١)</sup> فله جل علا سمع وبصر حقيقيان يليقان بكمال لله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر مناسبان لحاله وبين سمع الخالق وبصره وسمع المخلوق وبصره من المنافة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره<sup>(٢)</sup> : وهو السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

البصير: يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها دليل لذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله (ليس كمثله شيء) وعلى المعطلة في قوله: (وهو السميع البصير).

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، في شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٣:

قلت: إثبات كونه سمعاً بصيراً، وأنه ليس مجرد العلم بالسموعات والمرئيات هو قول أهل الإثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف والمتكلمين؛ من الصفاتية إلى أن قال ص ٧٤:

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قرأ على المنبر (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سمعاً بصيراً) ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق؛ فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك.

<sup>(١)</sup> أضواء البيان ص ٢٧٦ ج ٢.

<sup>(٢)</sup> تيسير الكريم الرحمن ص ٥٩٧ ج ٦.

وقال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزي، يرحمه الله، في كتابه (طريق المجرتين وباب السعادتين) ص ٤٤:

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لآصوات عباده على اختلافها وجهتها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغليطه الآصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها؛ بل هي عنده كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاتها وسكناتها، وتيقن أنه بمرأى منه سبحانه، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وقال ابن القيم، يرحمه الله، تعالى في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) ص ٢١٢:

فهو سميع بصير بلا حدود ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفتة، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفتة الواصفون.

قلت: فظهور مما تقدم إثبات صفتتي السمع والبصر لله تعالى، وأنهما سمع وبصر حقيقةيان، وأنهما غير صفة العلم، كما جرى ضرب بعض الأمثلة للسموعات والمبصرات، وهو ما يسمى متعلق هاتين الصفتين؛ فمتعلق السمع هو السموعات، ومتعلق البصر هو المبصرات.  
والله أعلم.

## الموضع الثمانون بعد المئة:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

قال المؤلف في ص ٧١٢ في الجزء الرابع من تفسيره: الله الصمد: أي الله الذي لا تتبعي العبادة إلا له.

الحمد: السيد الذي يُصمد إليه في الحاجة، فهو المقصود في قضاء الحاجة على الدوام.

قلت: مع سلام عبارة، المؤلف فإنها غير وافية بالمقصود في شرح هذا الاسم الكريم من أسماء الله الحسنى، وبيان مقتضاه ودلالته.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، يرحمه الله، في كتابه (منهاج السنة النبوية) ص ١٨٦ ج ٢: فاسم الصمد يتضمن صفات الكمال؛ كما روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: هو العليم الذي كمل في علمه، والقدير الذي كمل في قدرته، والسيد الذي كمل في سؤده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه وتعالى هذه صفتة لا تتبعي إلا له.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، يرحمه الله، في تفسيره ص ٦٢١ ج ٥: الصمد: هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وضروراتها وأحوالها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي، يرحمه الله، كلام حول معنى الصمد في (أضواء البيان) ص ١٦٦، ١٦٧ ج ٢، نقتطف شيئاً منه قال:

قال بعض العلماء: الصمد؛ السيد الذي يُلجأ إليه عند الشدائيد والحوائج، وقال بعضهم: هو السيد الذي تكامل؛ سؤده وشرفه وعظمته وعلمه وحكمته، وقال بعضهم: الصمد؛ هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وعليه بما بعده تفسير له، وقال بعضهم: هو الباقي بعد فناء

خلقه، وقال بعضهم: الصمد؛ هو الذي لا جوف له ولا يأكل الطعام، وهو محل الشاهد، وممن قال بهذا القول ابن مسعود وابن عباس رض، وسعید بن المسیب، ومجاہد، وعبدالله بن بريدة، وعکرمة، وسعید بن جبیر، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العویفی، والضحاک، والسدی، كما نقله عنهم ابن کثیر وابن جریر وغيرهما.

قال مقيّده، عفا الله عنه: من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم، وعلى شيء المصمت الذي لا جوف له، ثم قال: فإذا علمت ذلك؛ فالله تعالى هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائـد والحاجات، وهو الذي تزهـ وتقدس وتعالـ عن صفات المخلوقـين؛ كـأـكل الطعام ونحوـ سبحانهـ، وتعالـ عن ذلك علـواً كـبـيراً.

### **الوضع الواحد والثمانون بعد المائة:**

قوله تعالى: ﴿...مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَئِنَّ مَا كَانُواٰ ثُمَّ يُتَّهَمُ بِمَا عَمِلُواٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قال المؤلف في ص ٢٨٤ من الجزء الرابع من تفسيره : إلا هو معهم أينما كانوا ، أي: في أي مكان من الأرض أو السماء.

قلت: لا يخفى ما في هذا الكلام من الإجمال، وعدم الوضوح فهو غير مبين لدلالة الآية، ولمعنى المعية الشرعية الواردة في هذه الآية؛ بل ربما فهم منه بعض الناس فهماً خاطئاً حول معنى الآية، وقد قسم علماء أهل السنة المعية إلى قسمين: معية خاصة، ومعية عامة، وهذه المعية المذكورة في هذه الآية من المعية العامة.

وفي أضواء البيان<sup>(١)</sup> عند تفسير المؤلف لآخر سورة النحل شرح لمعنى المعية وأقسامها حيث قال: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ

<sup>(١)</sup> انظر أضواء البيان ص ٣٥٤، ٣٥٥ ج ٢.

محسنون) ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه مع عباده المتقين المحسنين، وقد تقدم إيضاح معنى التقوى والإحسان، وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين وهي بالإعانة والنصر والتوفيق.

وكرر هذا المعنى في مواضع أخرى كقوله: (إني معكم أسمع أرى)، قوله: (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم)، قوله: (لا تحزن إن الله معنا)، قوله: (كلا إن معي رب سيهدين)، إلى غير ذلك من الآيات.

أما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته جل وعلا؛ فالكائنات في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل، وهذه هي المذكورة أيضاً في آيات كثيرة كقوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم)، الآية قوله: (وهو معكم أينما كنتم) الآية، قوله: (فانة من عليهم بعلم وما كنا غائبين)، قوله: (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو جل وعلا مستؤ على عرشه، كما قال على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقـه كلـهم في قبـضة يـده، لا يـعزـبـ عنـهـ مـثـقـالـ ذـرـةـ فيـ الأـرـضـ وـلاـ فيـ السـمـاءـ وـلاـ أـصـغـرـ مـنـ ذـلـكـ وـلاـ أـكـبـرـ إـلـاـ فيـ كـتـابـ مـبـيـنـ .  
وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين، يرحمـهـ اللهـ، فيـ تعليقاتـهـ علىـ (العقيدة الواسطـيةـ) صـ ٣٣ـ وـ ماـ بـعـدـهاـ:

المعية؛ لغة: المقارنة والمصاحبة، ودليل ثبوت المعية لله عز وجل قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)، وتنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة؛ فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق؛ كقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) ومقتضى المعية هنا الإحاطة بالخلق: علماً وقدرة وسلطاناً وتدبرًا ، والخاصة؛ هي التي تختص بالرسل وأتباعهم كقوله تعالى: (لا تحزن إن الله معنا)، قوله: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

وهذه المعية تقتضي مع الإحاطة بالنصر والتأيد؛ والجمع بين المعية والعلو من وجهين:

**أولاً**: أنه لا منافاة بينهما في الواقع فقد يجتمعان في شيء واحد، ولذلك تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا مع أنه في السماء.

**الثاني**: أنه لو فرض أن بينهما منافاة في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط.

ولا يصح تفسير معية الله بكونه معنا بذاته في المكان:

**أولاً**: لأنه مستحيل على الله حيث ينادي علوه، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

**ثانياً**: أنه خلاف ما فسرها به السلف.

**ثالثاً**: أنه يلزم على هذا التفسير لوازمه باطلة.

### **الموضع الثاني والثمانون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّ الْأَعْلَم﴾ [الليل: ٢٠].

قال المؤلف عند تفسيره لهذه الآية في ص ٦٧٦ من الجزء الرابع من تفسيره: لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتقاء مرضاه الله عز وجل.

قلت: ويستدل أهل السنة أيضاً بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة. وممن أشار إلى ذلك الإمام ابن كثير، يرحمه الله، في تفسيره ص ٥٢١ / ٤ حيث قال:

أي: طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

### **الموضع الثالث والثمانون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩].

قال المؤلف في ص ١٩١ من الجزء الرابع من تفسيره وقوله تعالى (بل هم في شك يلعبون)، دال على أن إقراراهم بأن الله رب السموات ورب الخلق

عندما يُسألون، لم يكن عن يقين؛ إذ لو كانوا على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به، إذاً فهم في شك يلعبون في الأقوال فقط.

ثم قال في نفس الصفحة : لم يكن إفراد المشركين بريوبية الله تعالى لخلقه عن يقين؛ بل هم مقلدون فيه فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف.

قلت: المشركون مقررون بتوحيد الريوبية وهو توحيد الله بأفعاله تعالى، وذلك حسب نصوص القرآن الكريم في مواضع شتى من الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>٨٤</sup>  
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ﴿ ٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُونَ ﴿ ٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ  
 شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُمْسِكُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ  
 فَإِنَّكُمْ سَاحِرُونَ ﴿ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] الآيات.

وسوف أقتطف بعض العبارات من الإمام ابن كثير في تفسيره، التي تدل على اعتراف الكفار بتوحيد الريوبية وإقرارهم به .

قال، يرحمه الله، في تفسيره ص ٢٥٢ وما بعدها: يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصريف والملك؛ ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تتبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالريوبية وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون شيئاً، ولا يستبدون بشيء؛ بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفي (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي)، فقال: (قل لمن الأرض ومن فيها)، أي: من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات (إن كنتم تعلمون سبقولون لله) أي: فيعرفون له بأن

ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك قل: أفلأ تذكرون، أي: لا تتبغي العبادة إلا للخالق الرزاق لا لغيره.

وقال ابن كثير، يرحمه الله، ص ٢٥٣/٣: قوله سيقولون لله أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجبر ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له. وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، يرحمه الله، في كتابه مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ص ٣٤/١: فتوحيد الربوبية معناه الإقرار بأفعال رب وتدبيره للعالم وتصريفه فيه، هذا يسمى توحيد الربوبية وهو الاعتراف بأنه الخالق الرزاق مدبر الأمور ومصروفها، يعطي ويمتنع، ويختفي ويعرف، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، وهو على كل شيء قادر.

وهذا في الجملة أقر به المشركون كما قال سبحانه: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)، وقال سبحانه: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

فهم معترفون بهذه الأمور لكنهم لم يستفيدوا من هذا الإقرار في توحيد الله بالعبادة، وإخلاصها له سبحانه وتعالى؛ بل اتخذوا معه وسائل، وزعموا أنها شفاء وأنها تقربهم إلى الله زلفى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَلَاءُ شُفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ ..... ﴾، فقال سبحانه رداً عليهم: ﴿ قُلْ أَتَنْتَهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. فهو سبحانه لا يعلم له شريكًا في السماء ولا في الأرض؛ بل هو الواحد الأحد سبحانه وتعالى، الفرد الصمد المستحق للعبادة جل وعلا، وقال سبحانه

وتعالى: ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين﴾، ﴿أَلَا لِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُونَ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أَنْجَدُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَأَمَّا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾، والمعنى يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلف، يعني ما عبدناهم لأنهم يضرون وينفعون، أو لأنهم يخلقون ويرزقون أو لأنهم يدبرون الأمور، ولكن عبدناهم ليقربونا إلى الله زلف، وليشفعوا لنا عنده، كما قالوا في الآية السابقة من سورة يونس: (هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ)، وعرف بهذا أنهم لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر، وتحبب وتميت وترزق وتعطى وتنزع، وإنما عبدوهم ليشفعوا لهم، وليقربوهم إلى الله زلف؛ فاللات والعزى ومناة المسيح ومريم والصالحون من العباد، كل هؤلاء ما عبدهم المشركون لأنهم ينفعون ويضرون؛ بل عبدوهم لأنهم يرجون شفاعتهم، وأن يقربوهم إلى الله زلف؛ فحكم الله عليهم بالشرك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُنَّكُمْ أَلَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾.

وقال في آية الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾. فحكم عليهم بالكفر والكذب حين قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلف؛ وبين أنهم كذبة في زعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلف، كفراً بهذا العمل؛ وهو عبادتهم إياهم بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة، ونحو ذلك.

وقد دعاهم عشر سنين يقول لهم: يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فأعرض عنه الأكثرون ولم يهتد إلا الأقلون، ثم أجمع رأيهم على قتله، فأنجاه الله من شرهم ومن كيدهم وهاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام، فأقام بها شريعة الله ودعا فيها إلى الله وتقبل الدعوة الأنصار، وجاهدوا معه عليه الصلاة والسلام، وجاهد معه المهاجرين من

قريش ومن غيرهم، حتى أظهر الله دينه وأعلى كلامته، وأذل الكفر وأهله، وهذا النوع الذي أقربه المشركون هو توحيد الربوبية؛ وهو توحيد الله بأفعاله من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة، وغير ذلك من أفعاله كما سبق، وهو حجة عليهم في إنكارهم توحيد الله بالعبادة؛ لأنه يستلزم ويدل عليه ويوجبه، فلهذا أقام الله الحجة عليهم بهذا الإقرار قال: (فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنْ) وفي الآيات الأخرى: (أَفَلَا تَعْقِلُونْ)، (أَفَلَا تَذَكَّرُونْ)، ومن تدبر هذا الأمر الذي أقروا به، استفاد لو عقل أن هذا المتصف بهذه الصفات هو المستحق لأن يُعبد، ما دام هو الخلاق وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت وهو المعطي وهو النافع وهو المدير للأمور، وهو العالم بكل شيء، وال قادر على كل شيء، فكيف تصرف العبادة لغيره؟ بل كيف يُرجى غيره ويُخاف غيره لو عقل أولئك الكفار، ولكنهم لا يعقلون: ﴿أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُمْ ذَكَرُ اللَّهُ أَوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الظَّمِيرُونَ﴾، وقال في المنافقين: ﴿صُمُّ بَعْضُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، وهكذا أشباههم كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ حَكَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ هؤلاء هم الغافلون حقاً، وهم أشباه الأنعام، بل هم أضل منها كما وصفهم الله بذلك في آيات بينات، وحجج نيرات، وبراهين ساطعات، ومع ذلك لم يفهموها ولم يعلقوها واستمروا على كفرهم وضلالهم، ولم تنفع فيهم الآيات، ولم يستفيقوا من غفلتهم وإعراضهم، ولله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى والحجة الدافعة، ثم إنه سبحانه أظهر نبيه وأعز دينه وقه الأعداء ففزاهم ﷺ يوم الفتح، ونصره الله عليهم وفتح بلادهم ودخلوا في دين الله أفواجاً، وعند ذلك أظهر عليه الصلاة والسلام توحيد الإلهية وقبله الناس، ودخلوا في الحق، ثم قامت ضده هوازن وأهل

الطائف، فأظهره الله عليهم وشتت شملهم واستولى عليه الصلاة والسلام على نسائهم وذرياتهم وأموالهم، وجعل الله العاقبة والنصر لنبيه ﷺ ولعباده المؤمنين، فالحمد لله على ذلك. انتهى كلام سماحته جزاءه الله خيراً حول هذا النوع من أنواع التوحيد، وهو توحيد الريوبية، وفيه التأكيد على أن المشركين لم ينكروه؛ بل اعترفوا به وأقرروا به، ولكنهم رفضوا توحيد الإلهية فأشركوا في الإلهية وزعموا أن هؤلاء الشركاء هم وسائل بينهم وبين الله؛ كما حكى عنهم ذلك بقوله عنهم (هؤلاء شفعائنا عند الله)، وحکى عنهم قولهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

وقد تم نقل شيء من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) عند الكلام على تفسير المؤلف لقوله تعالى: (وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، في الفتاوى ص ٢/٣٧: وكل واحد من وحدانية الريوبية والإلهية وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البدوية، وبالشرعية النبوية الإلهية؛ فهو أيضاً معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية.

لكن المتكلمون إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الريوبية، وهذا مما لم ينزع في أصله أحد من بني آدم؛ وإنما نازعوا في بعض تفاصيله كنزاع المجوس والشوية والطبيعة والقدرة وأمثالهم من ضلال المقلسفة والمعتزلة ومن يدخل فيهم. وأما توحيد الإلهية فهو الشرك العام الغالب، الذي دخل من أقر أنه لا خالق إلا الله ولا رب غيره من أصناف المشركين؛ كما قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

وللإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، يرحمه الله، كلام في معنى الإله والرب، قال، يرحمه الله، في (إغاثة اللھفان) ص ٢٧ ج ١: الإله: هو الذي

تأله القلوب محبة وإنابة واجلاً وإكراماً وتعظيمًا وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلًا، والرب هو الذي يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى مصالحه، فلا إله إلا هو ولا رب إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل فكذلك إلهية ما سواه، وقد جمع الله هذين الأصليين في موضع من كتابه: كقوله: (فَاعْبُدْهُ وَتُوَكِّلْ عَلَيْهِ)، وقوله عن نبيه شعيب: (وَمَا تُوفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تُوكِلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، وقوله (وَتُوَكِّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبْعَ بَحْمَدِهِ)، وقوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتِّلَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) وقوله: (قُلْ هُوَ رَبُّنَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تُوكِلْتُ وَإِلَيْهِ مُتَابٌ)، وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (رَبُّنَا عَلَيْكَ تُوكِلْنَا وَإِلَيْكَ أُنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ..)

#### **الموضع الرابع والثمانون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَبُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةَ ﴾<sup>٨</sup> وَأَصْحَبُ الْمَشْمَمَةَ مَا أَصْحَبُ الْمَشْمَمَةَ ﴾[الواقعة: ٨ - ٩].

قال المؤلف ص ٣٨٧ من الجزء الرابع من تفسيره، عند كلامه على هداية الآيات، قال:

اليساريون هم أشقياء الدنيا والآخرة؛ لأنهم عندما أخذ غيرهم ذات اليمين طالبين الإيمان والاستقامة أخذوا هم ذات الشمال طالبين الكفر والفسوق.

قلت: قد أشار المؤلف عند كلامه على معنى الآيات أن أصحاب المشتمة هم الذين يؤتون كتبهم بشمائتهم، وأصحاب الميمنة هم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، ولكنه عندما ذكر ما تهدي إليه الآيات عاد ليحمل هذه الآية على الإشارة إلى الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية، وإن كان لم يصرح بكلمة الأحزاب، ولكن عبارته تشير إلى أن المراد بالآية الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية ، فيفهم منها أن الأحزاب

اليسارية مذمومة والأحزاب اليمينية محمودة، ومعلوم أن هذه الأحزاب الحادثة في آخر الزمان والتي يطلق على بعضها اليمين وعلى بعضها اليسار، كلها مذمومة و بعيدة عن الإسلام على اختلاف في ذلك بقدر التزام أصحابها بالدين؛ إن كانت ممن ينتمي إلى الإسلام وعدم التزامه. فتحن بذمتنا لأحزاب اليسار نكون قد مدحنا أحزاب اليمين، وهي قد تكون كافرة، وما وقوعنا في هذا المحذور إلا بسبب حملنا لكتاب الله على ما لا يدل عليه، فيقع بسبب ذلك الإضطراب وعدم الثبات؛ فتجد المؤلف يفسر الكلمة بتفسير عند المفردات، وعند المعنى العام أو عند هداية الآيات يفسرها تفسيراً آخر، والمؤلف في تفسيره هذا يحاول إثبات أن القرآن دل على بعض الأشياء العصرية، ويستشهد بها أحياناً لإثبات بعض أمور العقيدة، وهذا المنحى في التفسير بعيد، من وجهة نظري على الأقل. أقول: بعيد عن الصواب؛ إذ أن القرآن العظيم لم يتعرض لكل مذهب من مذاهب الضلال وجد أو يوجد في آخر الزمان؛ بل منهج القرآن بيان سبيل الهدى وطريق الضلال، فما وافق الحق فهو حق، وما وافق الباطل فهو باطل.

### **الموضع الخامس والثمانون بعد المئة:**

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩].

قال المؤلف في ص ٣٢٢ من الجزء الرابع من تفسيره، عند كلامه على هداية الآيات:

مشروعية الدعاء بكلمة هنيئاً لمن أكل أو شرب إتساءً بأهل الجنة.  
قلت: قد اطلعت على كلام المفسرين حول هذه الآية، فكلهم يشير إلى أنها خطاب لأهل الجنة، ومن ذلك قول الإمام ابن جرير الطبراني في تفسيره ص ٢٤/٢٧ يقول تعالى ذكره: (كُلُوا وَاشْرِبُوا) يقال لهؤلاء المتقيين في الجنات: (كُلُوا) أيها القوم مما آتاكم ربكم (واشْرِبُوا) من شرابها (هنيئاً) لا تخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذى ولا غائلة (بما

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَعَلَى هَذَا النَّهْجِ سَارَ الْإِمَامُ أَبْنُ  
كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ص ٢٤١ ج٤، وَكَذَلِكَ الشِّيخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِيٍّ فِي  
تَفْسِيرِهِ ص ١٨٩ ج٧، وَقَدْ بَحْثَتْ فِي بَعْضِ كَتَبِ الْأَذْكَارِ مُثَلَّ (الْوَابِلُ  
الصَّيْبُ) لِإِلَمَامِ أَبْنِ قَيْمِ الْجُوزِيَّةِ، وَ(تَحْفَةُ الْذَاكِرِينَ) لِلشُّوكَانِيِّ فَلَمْ  
أَجِدْ فِيهَا دُعَاءً يُقَالَ لِلَّا كُلُّ؛ بَلْ إِنِّي وَجَدْتُ فِي كِتَابِ (الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ)  
لِأَبْنِ مَفْلِحِ الْحَنَبِلِيِّ ص ٢٣٧ ج٣: فَأَمَّا الدُّعَاءُ لِلَّا كُلُّ وَالشَّارِبِ فَلَمْ أَجِدْ  
الْأَصْحَابُ ذِكْرَهُ، وَلَا ذِكْرٌ لَهُ فِي الْأَخْبَارِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ لَا  
يُسْتَحْبِطُ.

قَلْتَ: وَهَذَا هُوَ مَا أَرَاهُ؛ إِذْ إِنَّ الْأَمْرُ التَّعْبُدِيَّ لَا يُقَالُ فِيهَا إِلَّا بِمَا  
ثَبَتَ بِالْدَلِيلِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سَنَةٍ، وَلَمْ نَجِدْ عَلَى هَذَا دَلِيلًا مِنَ الْكِتَابِ  
وَالسَّنَةِ؛ فَنَتَوَقَّفُ عَنِ إِثْبَاتِهِ لِعدَمِ الدَّلِيلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
أَجْمَعِينَ.

وَأَهْرَادُهُوا نَأْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

# الفهرس

| الصفحة | السورة / الآية      | قوله تعالى  | الموضع          |
|--------|---------------------|---|-----------------|
| ٦      | [البقرة: ١٤]        | وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ هَامَنُوا قَالُوا نَامَّا ...          | الأول           |
| ٨      | [البقرة: ٢٩]        | ... ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّكَمَاءِ ...                      | الثاني          |
| ١١     | [البقرة: ٣١]        | وَعَلَمَ إِدَمَ الْأَنْسَاءَ كُلَّهَا ...                       | الثالث          |
| ١٢     | [البقرة: ٦٢]        | إِنَّ الَّذِينَ هَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ...               | الرابع          |
| ١٢     | [البقرة: ١١٥]       | وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...                         | الخامس          |
| ١٣     | [البقرة: ٣٠]        | وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ ...                        | السادس          |
| ١٥     | [البقرة: ١٥٧]       | أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ ...              | السابع          |
| ١٧     | [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤] | وَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ إِلَّا وَجَدُّهُمْ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ ... | الثامن          |
| ١٩     | [البقرة: ١٧٧]       | لَيَسَ الْبَرُّ أَنْ تُولِّوا وُجُوهَكُمْ ...                   | التاسع          |
| ٢٠     | [البقرة: ١٨٦]       | وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي ...                             | العاشر          |
| ٢٢     | [الأنعام: ٧٠]       | .. أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ..             | الحادي عشر      |
| ٢٢     | [البقرة: ٢١٣]       | كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ...                            | الثاني عشر      |
| ٢٣     | [البقرة: ٢٨]        | كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ...                                | الثالث عشر      |
| ٢٤     | [المائدة: ١٩]       | يَتَأْهِلُ الْكِتَابُ فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا ...              | الرابع عشر      |
| ٢٥     | [البقرة: ٢٥٥]       | ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ                                | الخامس عشر      |
| ٢٦     | [آل عمران: ١٩٠]     | إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..                  | السادس عشر      |
| ٢٦     | [الأنعام: ١١٩]      | ... وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ ...              | السابع عشر      |
| ٢٦     | [الأنعام: ١٨]       | وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ...                          | الثامن عشر      |
| ٢٧     | [النساء: ٣٤]        | الرِّجَالُ قَوَّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ ...                      | التاسع عشر      |
| ٢٩     | [المائدة: ٥١]       | يَتَأْهِلُ الَّذِينَ هَامَنُوا لَا تَسْخِدُوا إِلَيْهِمْ ...    | العشرون         |
| ٣٠     | [آل عمران: ٢١]      | إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِيَقِنَتِ اللَّهِ ...              | الواحد والعشرون |

| الصفحة | السورة   الآية      | قوله تعالى   | الموضع           |
|--------|---------------------|--|------------------|
| ٣٠     | [الأنعام: ٧٣]       | ...عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةِ ...                                       | الثاني والعشرون  |
| ٣١     | [الأنعام: ٨٣]       | إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ   | الثالث والعشرون  |
| ٣١     | [آل عمران: ١٤٥]     | وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ   | الرابع والعشرون  |
| ٣٢     | [المائدة: ٤٠]       | ...يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ ...                        | الخامس والعشرون  |
| ٣٣     | [البقرة: ٢٨]        | كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا                              | السادس والعشرون  |
| ٣٥     | [الأنعام: ١١٩]      | ...وَإِنَّ كَثِيرًا لِيَضْلُوْنَ بِأَهْوَاهِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ...           | السابع والعشرون  |
| ٣٦     | [النساء: ٧٩]        | مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فِيْنَ اللَّهُ ...                               | الثامن والعشرون  |
| ٣٧     | [آل عمران: ٤٢ - ٤٤] | وَإِذَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِئُمْ ...                                  | النinth والعشرون |
| ٣٨     | [النساء: ٣٤]        | ...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْاً سَكِيرًا ...                                   | الثلاثون         |
| ٣٩     | [المائدة: ٦٤]       | وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ...                              | الواحد والثلاثون |
| ٤١     | [الأنعام: ٩٧]       | وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْجُنُوبَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ..                  | الثاني والثلاثون |
| ٤٢     | [آل عمران: ١٦٢]     | أَفَمِنْ أَتَيْعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ...  | الثالث والثلاثون |
| ٤٣     | [المائدة: ٦٣]       | لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ ...                        | الرابع والثلاثون |
| ٤٤     | [آل عمران: ١٧٨]     | وَلَا يَحْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَاءَنُلِّي لَهُمْ ...                   | الخامس والثلاثون |
| ٤٥     | [النساء: ١٧٥]       | فَامَّا الَّذِينَ إِمَّا نَمْوَى بِاللَّهِ ...                                 | السادس والثلاثون |
| ٤٦     | [الأنعام: ١٢٨]      | رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ   | السابع والثلاثون |
| ٤٧     | [البقرة: ١٢٤]       | وَإِذَا أَبْتَلَ إِبْرَهِيمَ رَبِّهِ بِكَلْمَتٍ فَأَتَهُمْ                     | الثامن والثلاثون |
| ٤٨     | [المائدة: ١١٨]      | ...وَإِنْ تَعْفُرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ               | التاسع والثلاثون |
| ٤٩     | [الأنعام: ١٣]       | وَلَهُ دَمَاسِكَنَ فِي الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ ...                             | الأربعون         |
| ٥٠     | [النساء: ٥٩]        | يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا نَمْوَى أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ | الواحد والأربعون |
| ٥١     | [النساء: ١١]        | ...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا                                       | الثاني والأربعون |
| ٥٣     | [آل عمران: ٣١]      | قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَجْنُونَ اللَّهَ ...                                       | الثالث والأربعون |
| ٥٦     | [الأنعام: ١٣٩]      | ...سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ   | الرابع والأربعون |
| ٥٧     | [آل عمران: ١٤٣]     | وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنَوْنَ الْمَوْتَ   | الخامس والأربعون |

| الصفحة | السورة   الآية | قوله تعالى   | الموضع              |
|--------|----------------|--|---------------------|
| ٥٧     | [الأنعام: ٦١]  | وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادَتِهِ ...                               | ال السادس والأربعون |
| ٥٩     | [النساء: ١٢٧]  | وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ  | السابع والأربعون    |
| ٥٩     | [المائدة: ٦٨]  | ... وَلَزِدَرَكَ كَثِيرًا مِنْهُمْ                                     | الثامن والأربعون    |
| ٦٠     | [الأنعام: ٦٧]  | لَكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقْرٌ ...  | التاسع والأربعون    |
| ٦٠     | [الأنعام: ٤٦]  | قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنَّ الْخَدَّ اللَّهَ سَمِعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ ... | الخمسون             |
| ٦٠     | [الأنعام: ٥٧]  | ... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَعْلَمُ الْحَقَّ                   | الواحد والخمسون     |
| ٦٠     | [الأنعام: ٣١]  | قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ                       | الثاني والخمسون     |
| ٦٦     | [البقرة: ٢١٧]  | ... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ                            | الثالث والخمسون     |
| ٦٨     | [البقرة: ٢٥٥]  | اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ ...                 | الرابع والخمسون     |
| ٦٩     | [الأعراف: ١٨٠] | وَإِلَهُ الْأَسمَاءِ الْحَسَنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...                   | الخامس والخمسون     |
| ٧٣     | [الأنفال: ٦٣]  | ... إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  | ال السادس والخمسون  |
| ٧٥     | [الأنفال: ٧١]  | ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ  | السابع والخمسون     |
| ٧٦     | [الأنفال: ٧٢]  | إِنَّ الَّذِينَ ءاْمَنُوا وَهَاجَرُوا ...                              | الثامن والخمسون     |
| ٧٧     | [التوبية: ٤٠]  | ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  | التاسع والخمسون     |
| ٧٨     | [الحجر: ٩٩]    | وَاعْبُدُ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْقِيَمَتُ                        | الستون              |
| ٧٩     | [النحل: ١٣]    | ... إِنَّكَ فِي ذَلِيلٍ لَّا يَأْكُلُهُ يَدْكُرُونَ                    | الواحد والستون      |
| ٨٠     | [يونس: ٣]      | إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...   | الثاني والستون      |
| ٨١     | [الحجر: ٦٥]    | فَأَسْرِرْ يَأْهَلَكَ بِقِطْعَةِ مِنَ الْأَيَّلِ                       | الثالث والستون      |
| ٨٢     | [الرعد: ٢]     | اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا       | الرابع والستون      |
| ٨٣     | [الرعد: ٢]     | ... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...                                | الخامس والستون      |

| الصفحة | السورة   الآية | قوله تعالى   | الموضع           |
|--------|----------------|--|------------------|
| ٨٣     | [الأنفال: ٦٥]  | يَكَبِّهَا النَّئِي حَرَرِضُ الْمُؤْمِنِينَ ...                | السادس والستون   |
| ٨٤     | [يونس: ٦٨]     | قَالُوا أَتَخَذَ اللَّهَ وَلَدًا سُبْحَنَهُ                    | السابع والستون   |
| ٨٥     | [الكهف: ١٠٩]   | قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّ            | الثامن والستون   |
| ٨٧     | [التوبه: ٩٩]   | إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ                                 | التاسع والستون   |
| ٨٩     | [التوبه: ١٢٩]  | فَإِنْ تَوَلُّوْ فَقُلْ حَسِيبٌ اللَّهُ                        | السبعون          |
| ٩٠     | [يونس: ٣٤]     | قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّ كَافِرٍ مِنَ يَبْدُوا الْخَلَقَ           | الواحد والسبعون  |
| ٩٢     | [التوبه: ٢١]   | يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ           | الثاني والسبعون  |
| ٩٣     | [التوبه: ٦٠]   | ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ                                  | الثالث والسبعون  |
| ٩٤     | [التوبه: ١٠٦]  | ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ                                  | الرابع والسبعون  |
| ٩٥     | [الأعراف: ١٥٠] | ... وَأَخَذَ إِرَاسِ أَخِيهِ بِجَرَّهِ إِلَيْهِ                | الخامس والسبعون  |
| ٩٦     | [الكهف: ٧٧]    | ... فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ            | السادس والسبعون  |
| ٩٧     | [الكهف: ٣٩]    | ... إِنْ تَرَنَ أَنَا أَقْلَى مِنْكَ مَالًا وَلَدًا            | السابع والسبعون  |
| ٩٧     | [الإسراء: ٥٢]  | ... وَنَظَرُوكُمْ إِنْ لَيَشْتَمِ إِلَّا قَلِيلًا              | الثامن والسبعون  |
| ٩٧     | [الإسراء: ٣١]  | ... وَلَا نَقْتُلُوْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِلَمْلَقٌ ...     | التاسع والسبعون  |
| ٩٧     | [الإسراء: ٥٤]  | رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُفَّرِ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكُمْ          | الثمانون         |
| ٩٨     | [الإسراء: ٦١]  | وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِأَدَمَ              | الواحد والثمانون |
| ٩٩     | [الإسراء: ٦٢]  | ... لَئِنْ أَخَرَتْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ                 | الثاني والثمانون |
| ٩٩     | [الأعراف: ١٥٤] | ... أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا                      | الثالث والثمانون |
| ١٠٠    | [الأنفال: ٢٣]  | ... وَلَوْ أَسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْهُمْ مُعْرِضُونَ            | الرابع والثمانون |
| ١٠٠    | [الإسراء: ١١٠] | ... أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقَنَّ ...  | الخامس والثمانون |
| ١٠٠    | [يوسف: ٥٣]     | وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّوَءِ | السادس والثمانون |
| ١٠٤    | [يوسف: ١٠]     | ... إِنَّ رَبِّ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ                          | السابع والثمانون |

| الصفحة | السورة   الآية       | قوله تعالى  | الموضع           |
|--------|----------------------|---|------------------|
| ١٠٥    | [الإسراء: ٤٢]        | قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُءَ أَهْلَهُ كَمَا يَقُولُونَ                  | الثامن والثمانون |
| ١٠٧    | [يونس: ١٠٨]          | ... وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا ...                  | التاسع والثمانون |
| ١٠٨    | [هود: ٥١]            | ... إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ...                | التسعون          |
| ١٠٨    | [التوبه: ٤٦]         | وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا عَدُوا لَهُ عُدَّةٌ                 | الواحد والتسعون  |
| ١٠٨    | [هود: ٩٣ - ٩٢]       | فَالَّذِي نَقَمُونَا إِلَيْهِ أَعْزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ | الثاني والتسعون  |
| ١٠٩    | [يوسف: ١٤]           | ... لَئِنْ أَكَلَهُ الظَّبْابُ وَنَحْنُ عَصِيبَةٌ                   | الثالث والتسعون  |
| ١٠٩    | [الأعراف: ١٣١]       | ... أَلَا إِنَّمَا طَلَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ...                   | الرابع والتسعون  |
| ١٠٩    | [الأعراف: ١٣٤]       | لَتُؤْمِنَنَّ لَكُمْ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكُمْ ...                   | الخامس والتسعون  |
| ١١٠    | [الأعراف: ١٣٦ - ١٣٤] | وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْبَرْجُ ...                            | السادس والتسعون  |
| ١١٠    | [الأعراف: ١٦٢]       | فَبَدَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا ...                    | السابع والتسعون  |
| ١١١    | [يوسف: ٥١]           | ... الْفَنَ حَصَحَصَ الْحَقَّ ...                                   | الثامن والتسعون  |
| ١١١    | [الكهف: ٤٩]          | ... وَيَقُولُونَ يَوْمَ لَنَا ...                                   | التاسع والتسعون  |
| ١١١    | [الإسراء: ٢٢]        | لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ ...                        | المئة            |
| ١١٢    | [هود: ٩٠]            | ... إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَّدُودٌ                                    | الواحد بعد المئة |
| ١١٣    | [يوسف: ٣٦]           | وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ ...                             | الثاني بعد المئة |
| ١١٤    | [الحاقة: ٤٥]         | لَا يَخْذُنَاهُنَّ بِالْيَمِينِ ...                                 | الثالث بعد المئة |
| ١١٦    | [الكهف: ٨٣]          | وَيَشْلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ...                            | الرابع بعد المئة |
| ١١٧    | [طه: ١١٤]            | فَلَعْنَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ...                            | الخامس بعد المئة |
| ١١٩    | [طه: ١٢٢]            | سُمْ أَجْبَبَهُ رَبُّهُ، فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى                   | السادس بعد المئة |
| ١١٩    | [طه: ١٣١]            | وَلَا تَمْدَنَ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَسَّنَا يَهْدِي                  | السابع بعد المئة |
| ١١٩    | [فاطر: ٤١]           | إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا       | الثامن بعد المئة |
| ١٢٠    | [الأنبياء: ٢٢]       | فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ                | التاسع بعد المئة |

| الصفحة | السورة   الآية   | قوله تعالى   | الموضع                     |
|--------|------------------|--|----------------------------|
| ١٢٠    | [الحج: ٦٢].      | ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ                             | العاشر بعد المئة           |
| ١٢٣    | [الأحزاب: ٥٣]    | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ | الحادي عشر بعد المئة       |
| ١٢٣    | [الروم: ٢٧]      | وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ        | الثاني عشر بعد المئة       |
| ١٢٥    | [النمل: ٤٠].     | قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ                   | الثالث عشر بعد المئة       |
| ١٢٦    | [النمل: ٧٨]      | ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ                                 | الرابع عشر بعد المئة       |
| ١٢٧    | [القصص: ٢٢]      | .. قَالَ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَهْدِيَنَا سَوَاءً أَسْكَنَنَا     | الخامس عشر بعد المئة       |
| ١٢٨    | [القصص: ٤٥]      | ... وَلَكُنَا أَنْشَأْنَا شُرُونَا ...                           | السادس عشر بعد المئة       |
| ١٢٨    | [القصص: ٧٧]      | ... وَأَحَسِنْ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ...             | السابع عشر بعد المئة       |
| ١٢٩    | [السجدة: ٤]      | ... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...                          | الثامن عشر بعد المئة       |
| ١٣٠    | [سبأ: ٤٣]        | ... وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْلَاقٌ مُّفْرَقٌ ...           | التاسع عشر بعد المئة       |
| ١٣٠    | [فاطر: ٢]        | ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ                                 | العشرون بعد المئة          |
| ١٣٠    | [فاطر: ١٣]       | .. وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الظَّلَلِ ...                        | الواحد والعشرون بعد المئة  |
| ١٣١    | [فاطر: ١٦].      | إِنْ يَشَاءْ يَذْهِبُ كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ             | الثاني والعشرون بعد المئة  |
| ١٣١    | [فاطر: ٣٧]       | وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِحْنَا ...             | الثالث والعشرون بعد المئة  |
| ١٣١    | [النمل: ٧].      | إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي أَذَّتُ نَارًا               | الرابع والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٢    | [النمل: ٢٠ - ٢٦] | وَتَفَقَّدَ الظَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمَهْدَهُ      | الخامس والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٣    | [سبأ: ٣٩]        | قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْعُطُ الرِّزْقَ                             | السادس والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٤    | [الأحزاب: ٥٢]    | لَا يَحِلُّ لِكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ                        | السابع والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٤    | [الأحزاب: ٥٠].   | ... قَدْ عِلِّمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ...                 | الثامن والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٥    | [يس: ٧٠]         | لِئَنِذِرَ مَنْ كَانَ حَيَا وَيَحْقِقُ الْقَوْلَ ...             | التاسع والعشرون بعد المئة  |
| ١٣٥    | [فاطر: ١٣]       | ... كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمٍّ ...                           | الثلاثون بعد المئة         |
| ١٣٥    | [يس: ١٥]         | فَالَّذِي قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا          | الواحد والثلاثون بعد المئة |

| الصفحة | السورة   الآية   | قوله تعالى   | الموضع                     |
|--------|------------------|--|----------------------------|
| ١٣٥    | [يس: ٩]          | ... فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ                    | الثاني والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٦    | [فاطر: ٣٢]       | ... وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَادِنْ ...                | الثالث والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٦    | [الصفات: ٢٣]     | ... فَأَهْدَوْهُمْ إِلَى صَرَاطِ الْجَحْنَمِ ...                 | الرابع والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٦    | [العنكبوت: ٣]    | ... فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ...               | الخامس والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٦    | [الصفات: ١٦١]    | فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ...                                | السادس والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٧    | [القصص: ٤٨]      | ... أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنزِلَ مُوسَى ...                 | السابع والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٧    | [القصص: ٥٠]      | ... وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ أَبْيَعِ هَوَانٍ ...                    | الثامن والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٨    | [القصص: ٥٠]      | ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ..         | التاسع والثلاثون بعد المئة |
| ١٣٨    | [القصص: ٥٨]      | وَكُمْ أَهْلَكْتَنَا مِنْ قَرْيَةٍ ...                           | الأربعون بعد المئة         |
| ١٣٨    | [القصص: ٧٠]      | ... لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ ...                 | الواحد والأربعون بعد المئة |
| ١٣٩    | [العنكبوت: ٧]    | ... وَلَيَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنُ الدُّرْيَى كَثُرًا يَعْمَلُونَ  | الثاني والأربعون بعد المئة |
| ١٣٩    | [العنكبوت: ٥]    | مَنْ كَانَ يُرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ ...                           | الثالث والأربعون بعد المئة |
| ١٣٩    | [الأحزاب: ٥٥]    | ... وَأَتَيْنَ اللَّهَ إِنْجَالَهُ ...                           | الرابع والأربعون بعد المئة |
| ١٤٠    | [السجدة: ٢٥]     | إِنَّ رَبِّكَ هُوَ يَقْصِلُ بَنَاهُمْ ...                        | الخامس والأربعون بعد المئة |
| ١٤٠    | [الأحزاب: ١]     | ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا                       | السادس والأربعون بعد المئة |
| ١٤٠    | [الأحزاب: ٥]     | ... وَلَكِنْ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ ...                      | السابع والأربعون بعد المئة |
| ١٤٠    | [سبأ: ٦]         | وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا ...                                    | الثامن والأربعون بعد المئة |
| ١٤١    | [النور: ٦١]      | فَإِذَا دَخَلْتُمْ مُؤْتَمِنًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ... | التاسع والأربعون بعد المئة |
| ١٤٢    | [النور: ٣٣]      | ... وَلَا شُكْرُهُو فَتَتَكُمُ عَلَى الْيَغْلَوَ ...             | الخمسون بعد المئة          |
| ١٤٣    | [النمل: ٤٢ – ٤٤] | فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشَكَ قَاتَ كَانَهُ هُوَ   | الواحد والخمسون بعد المئة  |
| ١٤٥    | [لقمان: ٢٥]      | وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ أَسْمَوْتُ وَالْأَرْضَ                | الثاني والخمسون بعد المئة  |

| الصفحة | السورة   الآية     | قوله تعالى   | الموضع                    |
|--------|--------------------|--|---------------------------|
| ١٤٦    | [الصافات: ٧٩]      | سَلَّمَ عَلَىٰ تُوحِّي فِي الْعَالَمِينَ                           | الثالث والخمسون بعد المئة |
| ١٤٧    | [الشعراء: ٤٣ - ٤٩] | قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَقْرَأُمَا أَنْتُمْ مُلْقُوْنَ               | الرابع والخمسون بعد المئة |
| ١٤٨    | [الطارق: ٥ - ٧]    | فَلَيَنْظُرِ إِلَيْنَاهُ مِمَّ خُلِقَ                              | الخامس والخمسون بعد المئة |
| ١٥١    | [الزمر: ٤٦]        | قُلْ لَلَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ                  | السادس والخمسون بعد المئة |
| ١٥٣    | [الصف: ١٢]         | يَغْفِر لَكُوْذُوبِكُو وَيَدْخُلُكُو جَنَّتِي                      | السابع والخمسون بعد المئة |
| ١٥٥    | [ق: ١٦]            | ... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ              | الثامن والخمسون بعد المئة |
| ١٥٧    | [الزخرف: ٣٢].      | ... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ                   | التاسع والخمسون بعد المئة |
| ١٦١    | [المطففين: ٣٥]     | عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ                                     | الستون بعد المئة          |
| ١٦٢    | [الزخرف: ١٣].      | لِتَسْتَوْا عَلَى طُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعْدَهُ رَبِّكُمْ   | الواحد والستون بعد المئة  |
| ١٦٤    | [غافر: ١٥]         | رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ دُوْلُ الْعَرَشِ ...                          | الثاني والستون بعد المئة  |
| ١٦٦    | [الرحمن: ٢٧].      | وَبَقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوْلُ الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ             | الثالث والستون بعد المئة  |
| ١٦٨    | [ص: ٣١ - ٣٣]       | إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّدِيقَتِيْنَ الْمُحَمَّدَ    | الرابع والستون بعد المئة  |
| ١٦٩    | [الاذاريات: ٤٦].   | وَقَوْمٌ تُوحِّي مِنْ قَبْلِ إِنْتَهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ | الخامس والستون بعد المئة  |
| ١٧١    | [التين: ٨]         | أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمُ الْحَكَمَيْنَ                          | السادس والستون بعد المئة  |
| ١٧٢    | [الحديد: ٣]        | هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ                 | السابع والستون بعد المئة  |
| ١٧٤    | [الدخان: ٤٢].      | ... إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ                             | الثامن والستون بعد المئة  |
| ١٧٥    | [الفجر: ٢٢]        | وَجَاهَ رَبِّكَ وَالْمَلَكَ صَفَّاصَفًا                            | التاسع والستون بعد المئة  |
| ١٧٨    | [القمر: ٥٥].       | فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْنَدِيرٍ                    | السبعون بعد المئة         |
| ١٨١    | [البروج: ١٥]       | دُوْلُ الْعَرَشِ الْمَجِيدِ  | الواحد والسبعون بعد المئة |
| ١٨٢    | [المجادلة: ٤]      | ... لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ                             | الثاني والسبعون بعد المئة |
| ١٨٣    | [الرحمن: ١ - ٥]    | الرَّحْمَنُ ① عَلَمَ الْقَرْمَانَ ...                              | الثالث والسبعون بعد المئة |
| ١٨٥    | [الفتح: ١٥]        | ... يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَاتَ اللَّهِ ...              | الرابع والسبعون بعد المئة |
| ١٨٥    | [النَّعْمَانَ: ١٨] | عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ               | الخامس والسبعون بعد المئة |

| الصفحة | السورة   الآية   | قوله تعالى  | الموضع                     |
|--------|------------------|---|----------------------------|
| ١٨٦    | [التين: ١]       | وَالْتَّيْنِ وَالرَّبِيعُونَ                                | السادس والسبعون بعد المئة  |
| ١٨٧    | [الماعون: ١]     | أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَدِينَ                   | السابع والسبعون بعد المئة  |
| ١٨٩    | [الرحمن: ٦]      | وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُانِ                         | الثامن والسبعون بعد المئة  |
| ١٩٢    | [الشورى: ١١]     | لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ       | التاسع والسبعون بعد المئة  |
| ١٩٥    | [الإخلاص: ٢]     | اللَّهُ أَكْبَرُ  | الثمانون بعد المئة         |
| ١٩٦    | [المجادلة: ٧]    | مَا يَكُونُ مِنْ هَجَوَيْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاكِعُهُمْ | الواحد والثمانون بعد المئة |
| ١٩٨    | [الليل: ٢٠]      | إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى                   | الثاني والثمانون بعد المئة |
| ١٩٨    | [الدخان: ٩]      | بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ                              | الثالث والثمانون بعد المئة |
| ٢٠٤    | [الواقعة: ٨ - ٩] | فَأَصْحَبُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةَ         | الرابع والثمانون بعد المئة |
| ٢٠٥    | [الطور: ١٩]      | كُلُّوا وَاشْرِبُوا هَنِيسًا يُعَاكِثِرُ تَعَمَّلَوْنَ      | الخامس والثمانون بعد المئة |
| ٢٠٧    |                  |   | فهرس المواضيع              |

## المؤلف في سطور

هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن راشد بن مشاري بن عبد الله الرومي، يرحمه الله تعالى.

وُلد في الزلفي عام ١٣٦٤هـ، ونشأ في كنف والده الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن الرشيد الرومي، فنشأ على الصلاح والرغبة في طلب العلم؛ فقرأ القرآن الكريم على الشيخ محمد العمر، يرحمه الله تعالى، ثم قرأ على الشيخ أحمد العلي الحميدان، يرحمه الله تعالى، والشيخ موسى العمير السيف، يرحمه الله تعالى، والشيخ عساف بن محمد الحواس يرحمه الله تعالى، قاضي الزلفي، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز التويجري، يرحمه الله تعالى، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله الفالح، يرحمه الله تعالى.

وللمؤلف باع في الخطابة والوعظ والإصلاح بين الناس، وإبداء المشورة والنصائح مع كتم الأسرار التي يطلع عليها من شؤون الناس وحسن الصمت والسمت والنزاهة، وكان قلماً أن تأسله عن علم من العلوم إلا وجدت عنده نصيباً وطرفأً فيه؛ إذ أتاحت له ثقافته الواسعة الاطلاع على الكثير من المعرفة والعلوم.

دراسته:

التحق بالمدرسة الابتدائية الأولى بالزلفي عام: ١٢٧٦هـ، وأنهى تعليمه الابتدائي عام: ١٢٨٠هـ، ثم التحق بالمعهد العلمي بالزلفي عام ١٢٨٣هـ، وتخرج منه عام ١٢٨٧هـ، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض منتظمًا، وتخرج منها عام: ١٢٩١هـ.

أعماله:

عمل، بعد تخرجه من كلية الشريعة، ككاتب عدل بالدمام، وذلك من عام ١٢٩٢هـ إلى عام ١٢٩٣هـ. انتقل بعدها للعمل بكتابة العدل الأولى بالرياض خلال الفترة من: ١٢٩٤هـ إلى ١٤٠٤هـ، وفي عام ١٤٠٥هـ انتقل عمله إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، ثم انتقل عام ١٤١٧هـ إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وكان، يرحمه الله، مختصاً أداء جميع الأعمال الموكلة إليه، وقد اتصف بالسماحة وحسن الخلق ولين الجانب ومحبة الخير وسلامة الصدر؛ لذا أحبه كل من عرفه أو زامله أو جاوره. له رغبة في الاطلاع والقراءة والمعرفة الواسعة بالكتب الشرعية والأدبية والتاريخية.

وافته المنية يوم الخميس الموافق ١٢٢١١٤٢١هـ، يرحمه الله رحمة واسعة،

ونفع بعلمه وبارك في ذريته، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

له عدة مؤلفات شرعية وأدبية منها:

- ١- الموعظ والرقائق والحكم.
- ٢- الدعوات المستجابة.
- ٣- نظرات في أيسر التفاسير لكلام العلي القدير للشيخ أبي بكر الجزائري.
- ٤- صدى المنابر.
- ٥- محيط المحيط لبطرس البستاني، تبيهات واستدراكات وملاحظات.
- ٦- نظرات في دائرة المعارف، لبطرس البستاني.
- ٧- مختارات من الشعر.
- ٨- الأجوية المسكتة عند العرب.